

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01142 9028

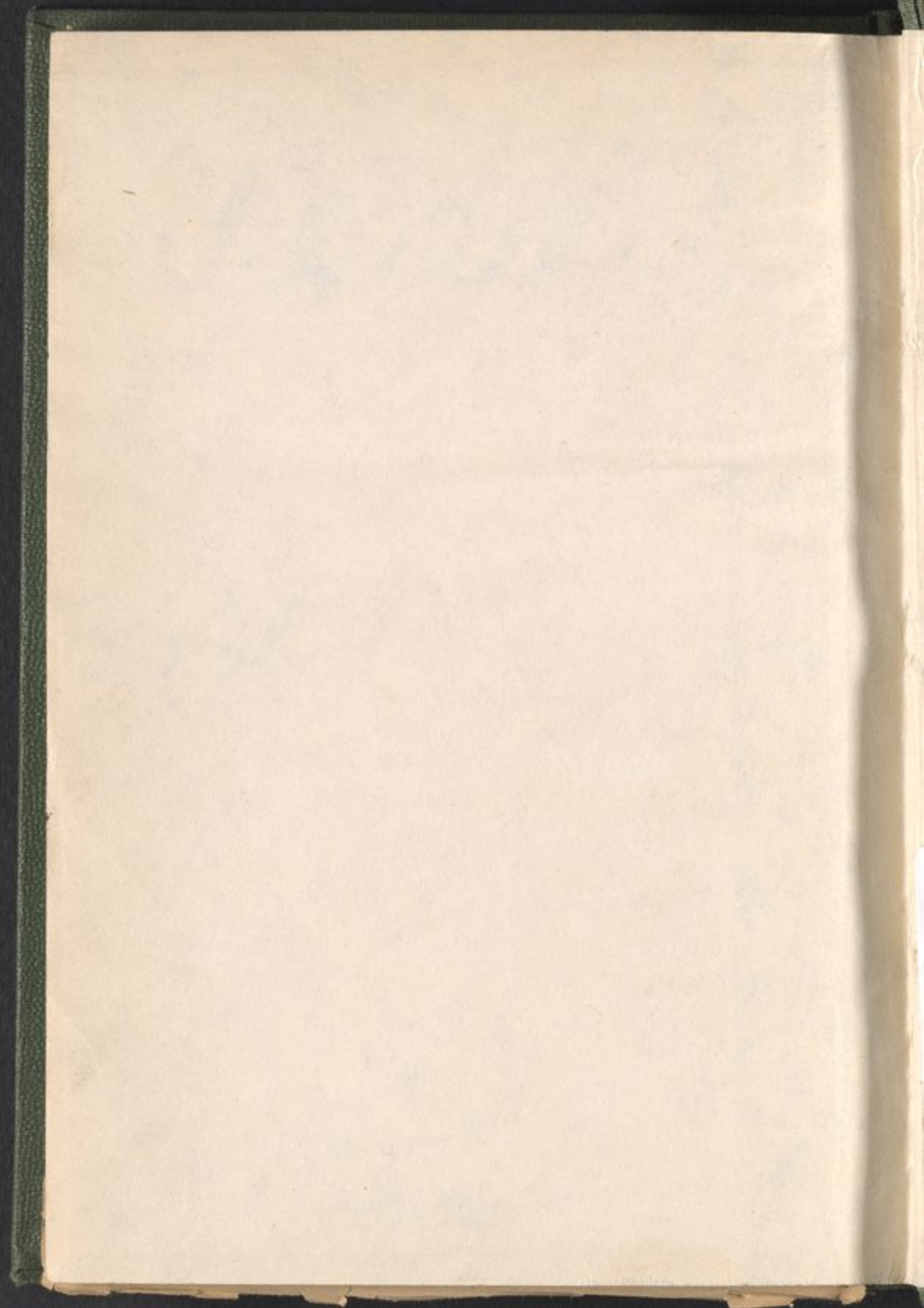
03-8985

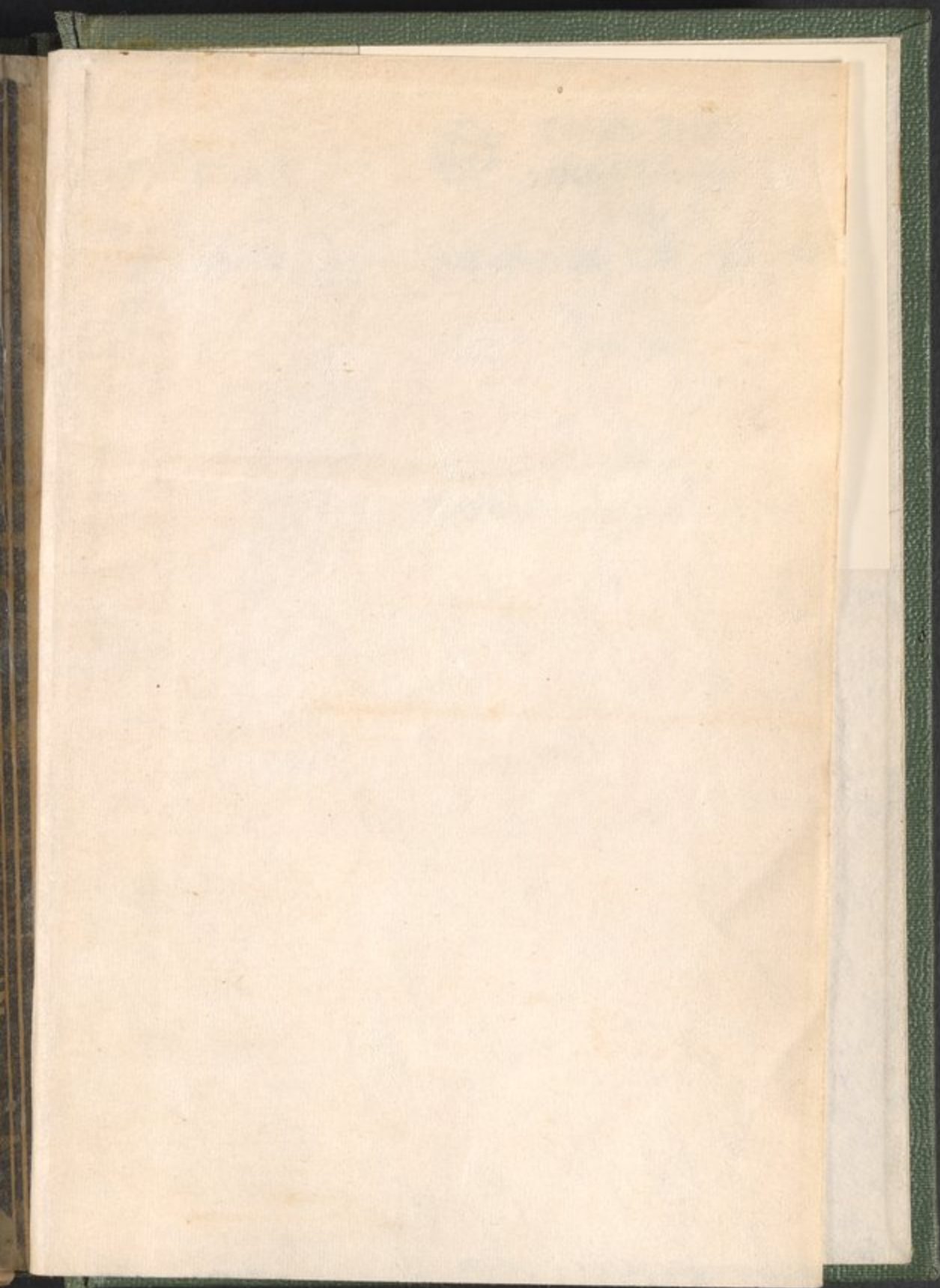
27 febr 7



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة





الوزراء الذين

PJ
7832
A4
W3x
1933

محمد أمين حسونة

مجموعة

أقاصيص مصرية

وصور من الفن القصصى الحديث



OCLC
43144395

B12936285
14567477

892.74

٨١٣, ٥٨

H279

٢١٠, ٥٤

15795

القاهرة

١٩٣٣ م — ١٣٥٣ هـ

طبعة اشرف شافع كاؤنك نصاب انكي ارزفا

PJ
7832

78

W3X

1933



محمد أمين حسونة

الاهراء



الى روح المرحوم محمد تيمور

باعث نرضة القصة في مصر والشرق العربي

مسودة

للمؤلف



قصص

مصر الحرة	تفقدت
أشبال الثورة	»
الورد الأبيض	نشر
الحب عند بائعي اللوتريا	يظهر قريباً

تراجم

أعلام المدرسة الحديثة	يظهر قريباً
-----------------------	-------------

أدب

في الادب المصري الحديث	يظهر في يناير القادم
------------------------	----------------------

اقتصاديات

انشاء السكك الحديدية في مصر	يظهر في اكتوبر القادم
مصر الاقتصادية	يظهر قريباً

عنوان المؤلف :

مصلحة هندسة السكك الحديد المصرية

بالقاهرة

تصدير

للمستشرق الجليل مستر باكستون

الاستاذ بالجامعة المصرية

در
أند

بين الاقاصيص الممتعة التي تحويها مجموعة « الورد الابيض »
للقصاصة « في الواحة » التي تفضل باهدائها الى حضرة مؤلفها
الامتاذ حسونة حينما نشرها في جريدة « البلاغ » الغراء . وقد
وجدت فيها الوانا جديدة من فن القصة التي نعشقها ، حببت الى
كتابة هذه الكلمة .

والاقصاصة المصرية اليوم ، هي فرع من فروع الادب
المصرى الحديث ، ويمكننا أن نقول ، انها لا تزال في مهدها . وفي
الحقيقة نجد أن مؤلفي هذه الاقاصيص يتابعون في كثير من
الاحيان أفكار المؤلفين الاوربيين في أقاصيصهم ، ثم يلبسونها
لباسا مصرية . ومما يذكر مع الاسف في نظر الاوربيين ، أنه كثيراً
ما يترك المؤلفون المصريون ما يخص مصر في حياتها التقليدية
وجاذبيتها ثم يختارون ما يخص الحياة المصرية النصف غريبة الزائلة
ان الخطأ في هذا ، ليس خطأ المؤلفين مطلقاً ، فأن جمهور المتعلمين
مخطأ قبلهم . فأن عدد الاشخاص الذين يستطيعون القراءة قليل

جداً في مصر ويزيد الطين بلة أن هذه الاقلية لا تشجع المؤلفات الحديثة فتبتاعها لتروى منها ظمأها . ومن هنا كانت خسارة المؤلف المصري فادحة . أضف الى هذا ، أننا لانزال نجد بعض اعتقادات القرون الوسطى ، وهي ان القراءة أمر جدى ، وان غرض الكتب أن تعلم وتهذب القارئ فان لم يوجد في الكتاب تعليم ولا تهذيب كان كتاب لا قيمة له . واكثر وأشد من هذا الاعتقاد ضرراً ، أن تصوير حياة الطبقة الدنيا من الناس لا يستحق التأليف اذ يظن أن هذا مما يمس كرامة مصر أمام العالم الخارجى . وليكنى أقول وأنا — رجل أوربى — أن هذه النظرية خاطئة ، لان الاوربى يفضل القراءة عن المصرى الفقير الساذج ، على ان يقرأ عن تفكير الافندى الذى يجلس فى المقهى ، وهو النموذج الذين يتخذون بعض ظواهر التمدين الاوربى ويتركون تقاليدهم وثقافتهم الوطنية وما أخرجوا حتى الآن ، ثقافة خاصة بدلا عنها .

ومن الواجب على القارىء فى مصر والعالم العربى أن يشجع مواطنه المؤلف المصرى ، والذى هو مع فقر جهوده ، يرفع لواء وطنه فى العالم ، ورب قلم كان أقوى من السيف . ووجهة نظر العالم نحو مصر ، تتوقف على معرفة الحياة المصرية الصميمة ، والمأمى بها إنما يكون عن طريق القصة ، ومما يؤيد هذا الاعتقاد المأمى العالم بقصص الف ليلة وليلة .

عندما بدأت دراستى « باكسفورد » ، كان لزاماً على أن

أخصص في علم من العلوم ، ويكفي أن أقول ، أنني كنت إذ ذاك في التاسعة عشرة من عمري ، ولم أكن أعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ، سوى بعض الفاظ جرت في اللغة الانجليزية الحديثة كنتيجة للاتصال بالشرق . ومع ذلك فأنني بمجرد أن بدأت دراستي للغات الشرقية ، لم أحاول أن أنقص على عقبي ، أو أن أندم في اختياري على الأقل ، ومعني هذا ، أنني صابرت وجالدت سنوات دون أن أنجح بفكري الى مكافأة قد أناها كنتيجة لدأبي ، لكنني كنت أتمثل بعبارة للشاعر الأمريكي لونغفلو في قصيدته « حداد القرية » : اذا حاولت شيئاً وأصبته فاسترح ليلة .

وفي رأيي أن طائفة كبيرة من المستشرقين ، المختصين بدراسة الادب العربي ، انما ينتهون في دراستهم عند عصر « ابن خلدون » أو على الاصح الى بدء القرن السادس عشر ، ولهذا السبب - ما عدا أفراد قلائل - لا يهتمون بالادب العربي الحديث اهتماماً جدياً ، لانهم يعتقدون أن « الادب الحديث » ان هو الا تقليد ضعيف للادب القديم أو ان شئت ، ققل أنه ترجمة للافكار الاوربية الحديثة .

✓ حقيقة ان التقاليد هي احدى الدعامات اللازمة لتكوين الثقافة ولكنها ليست من الاشياء الجوهرية . ولا يجب أن تترك كحجر عثرة في هذا السبيل ، فالادب يجب أن يعبر عن أفكار وميول الشعب ، وكيف تريد بالادب أن يؤدي هذه الميول والمشاعر ،

إذا ألبسناه هذه الثياب البالية القديمة .

ان أفكار بنى البشر بوجه عام ، وأفكار الشعوب بصفة خاصة ، عرضة للتغيير والتبديل وهذا بطبيعة الحال يستلزم تغيير في طرق الكلام إذن يجب أن تتجه الأغراض الى ادماج بعض التقاليد القديمة من الثقافة مع تلك الأفكار التي تتصل بها ، وبذا تتكون لدينا مجموعة صالحة متناسقة .

ومن رأي أن الاستاذ الدكتور طه حسين ، قد وصل الى هذه الغاية في كتابه « الايام » ، وهذا ما حدا لان يحرز كتابه المذكور التقدير التام من كافة الناطقين بالضاد .

لقد سألني الكثيرون عن سبب اهتمامي بالاقاصيص المصرية ✓ وفن القصة ، وأنى أحيلهم على فكرة ذكرها المستشرق الكبير سير دينسون روس في إحدى محاضراته بالقاهرة حيث قال : « إن الامم القديمة كانت تتبادل السلع والبضائع فقط ، لكنها ما كانت تتبادل الثقافة والأفكار » .

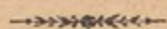
ولربما كانت الاقاصيص أو الروايات هي أسهل طريقة في نقل أفكار وعادات الشعوب بعضها الى بعض ، إذ أنها لا تفقد كثيراً في النقل أو الترجمة . هذا فضلاً عن أن القصة المترجمة تحوز رضا القارىء وتجعله في نفس الوقت ، ملماً بخيال الكاتب الذي يقرأ لغته وإذا كان لدى انتقاد أوجهه الى كتاب الادب الحديث من المصريين ، خاصة الذين يؤلفون الروايات القصصية ، فذلك النقد

هو أنهم لا يهتمون كثيراً بالحوادث الروائية أو بروح القصة ، بل
يحرصون اهتمامهم في الخيال الشعري ، الذى هو من أمن الذخائر
التي يحافظ أبناء العرب عليها الى اليوم ، والذي في الوقت نفسه
من الامور التي قلما يهتم لها القارىء الاوربي . ان في استطاعة
الكتاب الناشئين ، الذين عليهم وحدهم الآن انتشال اللغة والادب
من الايدى العاجزة تقويمها وتنقيتها من شوائب السجع والتزام
القافية ، عليهم أن يوجهوا جهودهم نحو كتابة أقاصيص حافلة
وأن يبينوا لنا أوجه الحياة المصرية وما توحىه من الوان شتى
وانى موقن تماما ، أن الاستاذ محمد امين حسونة ، الذى يشق
طريقه نحو هذه الغاية ، قد بدأ يحقق لنا أحد الآمال الذهبية
المعلقة على النهوض بالادب المعاصر . وأقاصيصه الممتعة التي طالعها
له حتى اليوم تعطينا خير مثال للتطور الفكرى فى الادب المصرى
الحديث ، وهى على ما فيها من قوة وحيوية تراها تمتاز بدقة
الملاحظة وروعة الوصف وانسجام الخيال وطبيعة لغة الحوار وابتكار
الحوادث الملائمة ، وهى صفات كافية لتكوين قصة قوية ناضجة .
واختتم كلمتى بشكر الاستاذ المؤلف على مجهوده الكبير ، وآمل
أن يستمر فى هذا الميدان ، رافعا لواء الادب الحديث مناضلا عن
فكرته حتى يأتى يوم نضوج القصة المصرية تماما ، الامر الذى قد
يكون على يديه .

١٠٥ . باكتوبر

مقدمة

القصة المصرية الحديثة



رأيت بالاتفاق مع صديقي الفاضل الاستاذ حسونة صاحب الكتاب أن تكون كلمتي هذه التي أصدر بها مؤلفه القيم خاصة بتاريخ القصة المصرية الحديثة . والموضوع في ذاته عميق متشعب النواحي يصح أن تؤلف فيه الكتب . فاذا ترك الكاتب لنفسه حرية الكتابة استطال به البحث وطغى على صفحات الكتاب وضائق مؤلفه ولانعكس القصد ورأيناه يقدم نفسه للقراء عوضاً عن أن يقدم صاحب الامر . . . لذلك اختصرت الحديث اختصاراً اضطررت معه أن ألم بأطرافه دون أن أستوعب دقائقه . وعذري في ذلك واضح لدى صديقي وقرائي .

لا نغالى اذا قلنا أن كتاب « حديث عيسى بن هشام » المرحوم المويلحي يعتبر أول كتاب قصصي راق ظهر في البلاغة القصصية المصرية . فاذا أردنا أن نكتب عن تاريخ القصة المصرية الحديثة وجب علينا أن نبدأ بحثنا بهذا الكتاب ، أى أن نعود الى الوراء ما يقرب من الثلاثين عاماً ، ولعل أكبر مميزات الكتاب أنه كان يعبر عن الذهنية المصرية والروح المصرية في ذاك العهد . والكتاب

في الواقع ليس قصة بالمعنى الصحيح لها عقدها وتسلسل حوادثها إنما هو استعراض مناظر وأخلاق يتخلله نقد وفكاهة . كل ذلك بلغة جذابة يفسدها بعض الشيء ، قليل من السجع مما كان شائعاً في ذلك الوقت . ومن العجيب أن تمر السنون تلو السنون ولا تحظى العربية بكتاب قصصى غير هذا .

وبعد انقضاء أكثر من عشرة أعوام على ظهور كتاب المويلحى رأينا نجماً جديداً يعلو في ليل بلاغتنا القصصية وذلك بظهور رواية « زينب » للدكتور هيكل وكما أن حديث عيسى بن هشام كان أصدق تعبير للذهنية المصرية والروح المصرية في وقت المويلحى « زينب » أصدق مظهر لهذا التطور الجديد الذى لحق الذهنية المصرية في ذلك العهد . وبهنا أن نتكلم عن « زينب » كمظهر لذلك التطور الاجتماعى أو الادبى ، غير غافلين طبعاً أهميتها كرواية قصصية ناضجة وقطعة حية في البلاغة القصصية الحديثة . فعهد زينب كان بدء تحرر الادب من السيطرة العربية القديمة واستلهامه من الادب الغربى أى بدء ظهور النفوذ الغربى فى أدبنا العصرى . فالرواية أول قصة مصرية كتبت على النمط الغربى بينما حديث عيسى بن هشام كان أول كتاب قصصى كتب على طريقة المقامات ، أما الأسلوب فى الأولى فهو الأسلوب العصرى السلس الذى يهبط بك بعض الاحيان الى درجة العامية ، بينما هو فى كتاب المويلحى الأسلوب العربى الذى يعتمد على السجع

والمحسنات اللفظية . فحديث عيسى بن هشام يمثل الادب القديم
الذى يحاول أن يتجدد ولكن من غير أن يتعدى الدائرة التقليدية
التي رسمتها المذاهب القديمة للكتاب . أما زينب فهي أول محاولة
لتخطى هذه الدائرة وأول مجهود لتحطيم الاغلال القديمة . ولم
يكن ذلك الا نتيجة منطقية للتطور الذى لحق المجتمع المصرى اثر
اتصالنا المتزايد باوروبا . والدكتور هيكل من هؤلاء المتحمسين
الذين آمنوا دراستهم فى اوروبا وعادوا الى أوطانهم وهم يتحرقون
شوقا الى الاصلاح وفى جعبتهم بذور التفكير الغربى يذرونه
بين مواطنيهم .

وكنا قد بدأنا نسمع فى ذلك الحين والدهشة ملء قلوبنا كلاما
عن « المصرية » فى الوطن واللغة والادب (فى الجريدة التى كان
يديرها الاستاذ لطفى السيد) وأخذت تلك النزعة تشتد وتنمو
حتى جاءت الحرب الكبرى ففصلت بين الماضى والحاضر وأظهرت
« المصرية » فى أقوى وأتم نزعتها . وانتابت المصرى خلال الحرب
وبعدها حمى « المصرية » فجعل يصبغ كل شئ حوله بصبغتها .
وهذا شئ طبيعى من أمة ذاق مرارة السيطرة الاجنبية حيناً من
الدهر وبدأت تدافع عن كرامتها وتظهر شخصيتها الملأ بكافة
الوسائل الممكنة .

واندفع الادب فى ذلك ذلك التيار فعبّر بنظمه ونثره عن هذه
الحركة الجديدة ورأينا على المسرح « الكوميديا المصرية المحلية »

في شكل بدائي وهاجمتنا الاغانى الحماسية العامة التي كانت تمجد
الوطن في لهجة ساذجة ، وتجدد نشاط كتاب « الجريدة » وتلاميذهم
في مجلة « السفور » فبدأنا نقرأ الادب الجديد بأسلوبه السهل ونقدمه
الحديث . وطغت علينا الافكار والتعابير والمذاهب الاوروبية .
وظهر لأول مرة بحث نقدي على أصول حديثة لاجل طلبه الجامعة
في كتاب « أبى العلاء المعري » للدكتور طه حسين .

وكان من الطبيعي أن نجد للقصة ، وهي أقوى جوانب الادب
الغربي ظهوراً مكانة جديدة في هذه النهضة ، فقرأنا لأول مرة
أقاصيص محمد تيمور (ما تراه العيون) ورأينا فيها تلك الحيوية
الغريبة وذلك التعبير الصادق وتلك الملاحظة الدقيقة ، مما دعانا
لأن نضعها في صف أرقى الاقاصيص الغربية التي من نوعها ،
و « ما تراه العيون » يعتبر التطور الثالث في تاريخ الادب القصصى
في عصرنا الحديث (بعد حديث عيسى بن هشام وزينب) . وبها
وجد في أدبنا ذلك النوع الجديد — القصة الصغيرة — الذى كان
مجهولاً تماماً . فلمحمد تيمور فضل السبق في ذلك المضمار ويعتبر
بلا نزاع مؤسس الاقصوصة المصرية الراقية في الادب العربى .

وحذا حذو محمد تيمور نفر من الادباء درجوا على منواله .
ومن ثم بدأت الاقصوصة تغزو الادب الجديد بحماسة غريبة
وانتشرت ، ليس في مصر وحدها بل في العالم العربى كله فقرأنا
أقاصيص لكاتب عراقيين وسوريين وما شابههم .

والافصوصة المصرية الحديثة تجتاز طوراً من أشق أطوار
حياتها ، وهى الآن فى شبه فوضى ، جهود متضاربة وانتاج غزير ،
قليلة ابتكار صحيح وكثيره ضعف وسخف ، ويصح لنا أن نميز
هذا العصر بعصر سيطرة الادب الغربى . ففينا كثير من المقلدين
والمقتبسين . وأنه ليشكل علينا الامر بعض الاحيان وينتابنا الشك
فى انتاجنا الادبى ، فنسائل أنفسنا أهى ابتكارية أم مزيفة ، لكن
كل هذا يسير وفق قانون الطبيعة ، وهل كنا ننتظر غير ذلك
من فن لا يزيد عمره عندنا عن خمس عشرة سنة (تاريخ
الافصوصة) . أليس من المعقول أن نحس بذلك الرد فعله العجيب
الذى جعلنا نستقى الهامنا من الادب الغربى بعد أن كنا فى عصر
المويلحى لا نعرف الا مورد الادب العربى القديم ، لكن لا بد
لكل فوضى من استقرار ، واننا لنشعر باننا بدأنا نستقر وبدأ الفن
القصصى يتمركز ويتخذ له لونا يميزه وطريقاً ثابتاً يسير فيه ،
واصبحنا نرى غربال الزمن يغربل منتجات دقولنا فيطرح السخيف
ويبقى على الناضج ، وبدأنا نشم روح العالمية تظهر فى أفاصيصنا بعد
أن كانت محلية صرفة محدودة بتلك الالوان الصارخة .

اما من جهة الاسلوب فقد عم ذلك الاسلوب السهل الذى
يحاول أن يتحد مع لغة الكلام أو بالاحرى يحاول أن يخلق للعربية
لغة واحدة يصح أن تكون لغة مخاطب وكتابة ، ومن ثم رأينا أثر
العامة الراقية ظاهراً فى أسلوبنا الحالى ، كذلك وجدنا لغتنا

الجديدة توسع المكان للتعبير الافرنجية .

والآن يقوم بيننا شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين ربيعاً ،
هو صديقنا الأستاذ محمد أمين حسونة فيقدم لابناء الناطقين بالضاد
ثاني مجهود له في ميدان الفن القصصى وهو كتاب «الورد الابيض»
والانسان يشعر لأول وهلة بعد انتهائه من مطالعة هذا السفر
الطريف أنه أمام صورة من تلك النزعات التى تجيش فى قلوب
أدباء التجديد ممن تأثروا بالادب الغربى ومذاهبه المتعددة والذين
ينزعون دائماً الى التخلص من العيش فى كنف الادب العربى
القديم ويطمحون الى اقرار ادب مصرى له طابعه ومميزاته الخاصة،
أدب يوافق روح العصر ومزاجنا القومى .

وللأستاذ حسونة ميزة لا أظنها تخفى على عارفه من أصدقاء
✱ وقراء ، هى النشاط الجهم المتوافر الذى يغمر كل ناحية من نواحي
أعماله ، وهذا يدل على تلك الحيوية الغربية التى تنفذ بين جوانحه
وتكاد تلمس أثر هذا النشاط فى أبحاثه الغزيرة القيمة التى يطرق
بها شتى الموضوعات من أدبية الى اجتماعية الى اقتصادية . وقد
جاهد أخيراً جهاداً يشكر عليه فى سبيل خدمة الفن القصصى
فى مصر .

✱ بدأ الأستاذ حسونة حياته القصصية «بأشبال الثورة» وهى
رواية كبيرة تقع فى نحو ٣٠٠ صفحة ، أودعها خلاصة نظرات
إشبال فى التجدد وأعارها صوراً فذة من نفسه الشائرة ومزاجه

العاصف . وهذه الرواية تعطينا صورة صحيحة للفترة الملتهبة التي خاضت مصر غمارها واشتد فيها النزاع بين الغلبة المعصرية والقهر الاجنبي ، قدمها الينا في صورة رائعة ، تذكى في نفوس الشباب شعلة الحماسة والتضحية .

« فالورد الابيض » هي الباقية الثانية التي نمت وزهت في حديقته الياض ، وفاح شذاها في الادب القصصى العربى ، وسوف يتلوها ورود أخرى نستروح عبيرها بعد حين .

ولا ننسى أخيراً أن للاستاذ حسونة سهولته الغريبة في كناية القصة فلا تحس وأنت تقرأه بأى عمل أو اجهاد ، بل تشعر بحبه لفنه من تلك العاطفة الصادقة التي تغمر أقاصيصه . وأسلوبه السهل بعباراته السلسة وكلماته المنتقاة ، تعطينا خير مثال لتطور الاسلوب في العصر الحديث .

فأنا فخور جداً حين أقدم الى القراء ، أحد شباب الفكر ، شباب المدرسة الحديثة ، الذين يعملون في صمت ، بعيدين عن الدجل الادبى ، يعمل كما يقول الفرنسيون « من الفن للفن » . وللقراء أن يزنوا الاعتبار التي ذكرتها فيقدروا معنى قيمة العمل الفنى الخالد ، الذى يعمل صديقى الفاضل فى سبيله .

محمود تيمور

الجزيرة يونيو ١٩٣٣

الورد الابيض

الورد الابيض

في أرجاء الحدائق وبين منعطفاتها ورود متعددة الألوان
« قد نهفو نفسك لاقتطاف أحداها ولكنك ان تجد
بينها أشد نصوعاً من الورد الابيض . .
كذلك بين صدور العذارى المائسات قلوب تفيض
« بالحب الزاخر والتضحية الصامته ، ولكنك ان تجد بينها
« أشد صفاء من قلب كوتر . . .
ومن سخرية الحياة ، أنها كانت لا تحب من الورود غير
« الورد الابيض .

— ١ —

اكتظ رصيف « الوجه القبلى » بمحطة القاهرة ، بصنوف
متباينة من الاهل والاصدقاء ، وفدوا لتوديع الضابط عبد السميع
زكى ، الذي تخرج حديثاً من المدرسة الحربية ، وكان من نصيبه
الالتحاق بوظيفة « ملازم ثان » بمصلحة الاشغال العسكرية بالخرطوم ،
وقد حمل كل منهم هدية او تذكاراً لطيفاً يقدمه اليه .
وكانت عربات القطار غاصة بكثير من الضباط والموظفين
المدنيين ، العائدين من أجازاتهم الى مقر أعمالهم بالسودان ،
وبعض أورط من الجيش الانجليزى في طريقها الى مديريات
الصعيد .

وكان الحر شديداً لافحاً ، وأصوات الباعة تدوى على أرجاء
الرصيف من آن لآخر ، تنادى على صنوف مختلفة من السميط والبيض

— ١٨ —

ولعب الاولاد والصحف والكتب والسجائر الانجليزية ، والكل
في حركة غير عادية ، فهذا الضابط العظيم ، يسير منتفخ الوداج
وقد حمل صدره العريض عدة نياشين ومداليات أحرزها في مواقع
دارفور و كردفان وأم درمان ، وذلك موظف انجليزى يسأل خادمه
عما اذا كانت هناك أوامر صدرت بتأخير القطار أم يسافر في
ميعاده ، وفي المؤخرة جماعات من النوبيين وقد حشروا في عربات
الدرجة الثالثة « كالسردين في العلب » . ودق جرس المحطة
ايذانا بتحريك القطار فسرت حركة بين المودعين ، وسرعان
ما ارتفعت اصواتهم حتى امتزج بعضها ببعض كاللغط ، وأقبل
الاهل والاصدقاء يودعون الم لازم عبد السميع ويعانقونه عنقا
حاراً ، داعين له بمستقبل باهر وإقامة طيبة

وسط هذا الهرج والمرج ، كانت فتاة نحيلة الجسم ، طويلة
القامة ، تتشح بازار أسود وتضع علي وجهها نقاباً شفافاً ، أبيض اللون
تشق لها طريقاً وسط الزحام وهي تحمل بين يديها ، باقة كبيرة من
الورد الابيض وأخذت تتفرس في وجوه الركاب بعين قلقة ، الى
أن وقع نظرها على عبد السميع في سترته الخاكية ، تزينها نجمة
واحدة على كتفه ، وهو مظل من نافذة العربة ، فجرت اليه مسرعة .
وما أن رآها حتى افترت شفته عن ابتسامة غامضة ، وأخذت دقات ،
قلبه تثب في عنف وقوة

ومدت اليه يدها النحيلة المضطربة لتحجيه ، فقبض عليها حتى

كاد يهصرها في قبضته القوية، على حين كانت يدها الأخرى تمتد
إليه بياقة الورد، وقد أودعتها دمعة سخينة طفرت من عينيها، ثم
قالت في صوت ضعيف خافت :
— على بركة الله

وتحرك القطار، فعلت في الجو صيحات مختلفة، تلاشت بعد
فترة قصيرة في صوت صفير القاطرة المزعج، وسرعان ما ارتفعت
الأيدي بالمناديل البيضاء، وأخذ الهواء يحركها في دعة وسكون،
وقد رسمت في الجو صوراً من شعور المودعين، وأخذ القطار يبتعد
عنهم شيئاً فشيئاً، والقلوب تشيعه... إلى أن اختفى عن الأنظار.

..... ١٩١٨

لا تزال مصر في اضطراب وقلق، تترجح تحت أعباء وويلات
شتى، جرتها عليها الحرب العالمية الكبرى، ولا يزال سوادها
يثنون من ارتفاع أسعار بعض الحاجيات ونضوب البعض الآخر
حتى أن السكر والغاز والدقيق، كانت تباع للأفراد بتصریح خاص
من الحكومة وبأفدح الأثمان، أما المزارع والمصانع فاقفرت من
الأيدي العاملة، بعد أن هجرها أهلها للالتحاق بالسلطة العسكرية
في ميادين القتال، وكانت عشرات القطارات تفد في كل يوم وهي
تحمل آلاف الجنود والجرحى والأسرى، إلى حيث تؤويهم
المستشفيات ودور المدارس التي تحولت إلى معسكرات ومعتقلات

كان كل شيء يجري في مصر على غير طبيعته ، حتى أن العائلات لم يكن لديها في مجتمعاتها سوى أخبار الحرب وانتصار الألمان أو الخذال الحلفاء ونحو ذلك .

وعاد أمين أفندي ظهر ذات يوم إلى منزله ، وصرخ ينادي أمه وأخته كوثر ، فجرت الأم مفزوعة ، تتبعها ابنتها ، وقد حسبت أن ولدها أصابه مكروه غير أنه أخبرها بأن كتابا جاء اليوم من والده فأنعقدت أسارير الدهشة على جبين كل من الأم وابنتها ، وأخذ أمين أفندي . يقص عليهما قائلا : انه بينما يغادر عمله بمكتب « لجنة التموين » إذ جاءه ابن عمته وناولته كتابا قال عنه ، أن أحد أصدقاء والده يحمله معه من مالطة . وفض أمين أفندي الخطاب وأخذ يتلوه عليهما فاذا برب الاسرة يطمئنهم على صحته وحاله ويذكر أنه لا يزال في الأسر ، ويترقب بفروغ صبر أن تنتهى الحرب وأن تضع أوزارها ليؤوب اليهم وإلى وطنه عاجلا . وأخذت تفيدته هانم الكتاب من يد ولدها ، لتمتع عينها بخط زوجها ، وانهمرت الدموع من مآقيها بغزارة حتى ابتل الخطاب وكادت تمحى بعض كلماته .

وانفردت كوثر في غرفتها بعد ساعة ، واستندت رأسها إلى الوسادة ، فوقع نظرها على الصورة الزيتية الكبيرة المعلقة على جدار الغرفة ، والتي تمثل والدها البكباشي عاكف بك في وقفته العسكرية تحلى صدره الأوسمة والنياشين التي أحرزها ، وحلقت بذهنها

في أجواء الذكريات ، رجاء أن تنزع من الماضي بعض صورته ...
ذكرت والدها ، ذلك الرجل الحنون ، الذي كان يحبها
بكل ما يملك من بر وعطف ، كانت إذ ذاك طفلة في العاشرة من
عمرها ، وكان يحمل إليها من آن لآخر كميات متنوعة من اللعب
والشكولاته وذكر عبد السميع ابن عمها وإيام الطفولة
الهائلة التي قضتها الى جانبه ، كان اذ ذاك طالبا بالمدرسة «التوفيقية»
وهي في «البون باستير» بشبرا ، يمر بها في الصباح ليصحبها في
الطريق ، كل الى مدرسته ، وكانت تجد لذة ما في أن يوليها عنايته
وان يحمل لها كتبها

وسافر والدها الى استامبول في اجازة ، وفيما هو يتأهب
للعودة الى وطنه ، اذ نشبت الحرب العالمية الكبرى فاعتقلته السلطات
الانجليزية وبعثت به الى مالطة . ومر عامان وكثر الفقر عن
أنيابه من بعيد ، وكان أخوها امين قد حصل على شهادة البكالوريا
ورأى ان يختزل دراسته فالتحق بخدمة الحكومة حتى يقوم بأوداسرته
وصارحها عبد السميع في يوم ما بحبه وكشف لها عن دفين
قلبه ثم وعدها بالزواج ، وبادلته نفس عاطفته ، ومذ ذلك اليوم وهما
يعتبران نفسيهما خطيبين في عرف الهوى وشرعية كيويده .

— ٢ —

وانقطعت أخبار عبد السميع بعد سفره الى السودان انقطاعا
باتا . وكانت كوثر تتلهف عليها من آن لآخر ، فلا تظفر بشيء .

— ٢٢ —

وإذا صادف ومر ساعى البريد ، أخذت تسأله في جزع عن موعد
وصول « البوستة السودانية » فيجيبها بأنها سوف توزع في نهاية
الاسبوع ، فتظل تنتظر نهاية الاسبوع على آخر من الجمر ، حتى
إذا لم يصلها شيء . انتظرت الاسبوع الذي يليه وهكذا دواليك .
وخطر ببالها في عصر ذات يوم ، أن تروح عن نفسها قليلا
فتقصد الى « حديقة طوسون » باطراف شبرا ، تستلهم من أشجارها
وأزهارها ، الذكريات الغالية التي قضتها مع عبد السميع ، وكان
يخيل اليها أنه جالس ينتظرها على أحد المقاعد كعادته ، أو كما
عهده في آخر مرة ، وقد انعكست شمس الغروب الذهبية فوق
سترته الخاكية فلمعت النجمة الوحيدة التي زين بها كتفه حديثا
في ظلال الاشعة الغاربة .

وحمل اليها النسيم آنئذ ، صوت حفيف غصون أشجار السرو
واللبخ ، وخيل اليها أنها تهمس بآخر كلماته :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا اذا هام بكم شرب الدمع وعاف القدحا

ومرت أربعة شهور ولم يصل شيء من عبد السميع ، وأخذت
الفاقة تطحنهم طحناً مرا ، وماهية أخيها تكاد تفي بحاجياتهم
الضرورية ، واشتدت أزمة المساكن ، وارتفعت أجورها ، فأوا
أن يستبدلوا المسكن الذي يقيمون فيه بآخر أقل أجراً

وانتقلت أسرة عا كف بك الى شقة بسيطة في «رحبة عابدين»
تحتوى على صالة وثلاث غرف ، وصعدت كوثر مرة الى سطوح
المنزل الجديد ، فاذا بشاب حدث السن ، جذاب المنظر ، جالس
بالقرب من غرفته التي يقيم فيها بالسطوح ، وأمامه لوحة يرسم
عليها منظرأ يمثل تكسر الامواج على صخور الشاطئ ، ساعة الغروب
فاعجبت باللوحة كثيراً ، وخجل الشاب وحاول أن يحجبها ولكنها
ابتدرته قائلة :

- حضرتك رسام ؟

.. لا ... لسه تلميذ في مدرسة الفنون الجميلة !

- الصورة دي فنية وبديعة ... ابتكار أو نقل عن صورة

أخرى ؟

- منقولة عن الطبيعة .

- ذوق سليم !

- دا من لطفك ... أظن أنكم السكان اللي شرفوا في أول

الشهر ؟

- نعم ... وحضرتك هنا من كثير ؟

- سنتين ودى الثالثة ... أصل بلدنا المنصورة وأنا هنا في

المدرسة ... سوف انتهى منها في هذا العام

- وبعد ذلك ؟

- أسافر الى ايطاليا

- تشتغل ؟

- لا ... أتم دروسي ، ناظر المدرسة وعد أن يرسلني في بعثة
مدة سنتين .

ودوى من أسفل المنزل صوت تفيده هانم تصيح على ابنتها :
- كوثر ... بتعملى أيه عندك أخوك زمانه جاي من الديوان
- ولا حاجة ياماما .. أديني نازلة

وانصرفت بعد ان شكرت الشاب في ابتسامة رقيقة ساحرة
ووصل خطاب من عبدالسميع بعد أربعة شهور يذكر فيه أنه
سافر الى دارفور وأصيب بالحمى هناك ، وقد لبث طريح الفراش
بالمستشفى الى ان عوفي أخيراً ، وبداخل الخطاب شيك بخمسين جنيه

و كانت الثورة المصرية إذ ذاك في إبان عنفوانها وشدها ،
فالمدارس مغلقة ، والموظفون منقطعون عن أعمالهم ، والسكك الحديدية
معطلة وكل حركة في البلاد مشلولة ومهددة بالدمار

وخرج حمدي من منزله في صباح ذات يوم ليشارك في إحدى
المظاهرات التي كان الطلبة يقومون بها من آن لآخر ، والتقى في
طريقه بمظاهرة تسير في شارع الصناديق وتقص الى ناحية الازهر
فانضم اليها ، وهتف معها ، ونحرت القوة الانجليزية بالمتظاهرين
فاعتصموا بالازهر ، ولكن القوة لم تعبأ بهذا بل تبعتهم وأرادت
اقتحام باب الجامع ، فتصدى لها الطلبة ودارت المترليوزات وأطلقت

البنادق ، وجن الطلبة فاندفعوا يقتحمون الرصاص الذي كان
ينهمر اذ ذاك كالمطر . وأصيب حمدي برصاصة في فخذه فوقع
يتخبط في دمائه الى أن نقل بعد ساعات الى « القصر العيني »

وكانت كوثر تصعد كعادتها في كل يوم فلا تظفر برؤية الشاب
المصور الذي التقت به أمام غرفته منذ ثلاثة أسابيع وهو يرسم إحدى
لوحاته ، وشغلتها غيبته الى أن سمعت مرة جارة لها تقول ، أن
التلميذ الذي يقطن إحدى غرف السطح أصيب بالرصاص في إحدى
المظاهرات .

وتأثرت كوثر وهزتها هذه الحادثة في عنف وأكبرت الشاب
في عينها ، وخرجت مرة تزور دولت هانم صديقتها في المنيرة ،
فسمعت منها أن لجنة من السيدات ستزور بعد الظهر المستشفيات
لمواساة الجرحى الشهداء ، الذين أصيبوا في المظاهرات ولتقديم
هدايا لهم ، فذكرت كوثر في الحال جاراها المصور ، وما عتمت
أن صحبتهم الى مستشفى « القصر العيني »

وتقدمت الى سرير المصور الشاب ، تمد اليه باقة جميلة من
الورد الابيض ، محلاة بأشرطة حريرية حمراء ، تمثل في ألوانها العلم
المصري ذو اللون الدامي ، وهي تقول :

- أيها البطل إن الوطن في حاجة الى أمثالك .
فبهت الشاب وظل يحيل النظر فيها وفي السيدات اللواتي يحطن

بها ، وتأثر بحرقه وأراد التجلدا منهن ، ولكن الدموع غلبته فأهمرت
من مآقيه بغزارة ، وخاطبهن في لهجة مؤثرة قائلاً :
- كلنا فداء الوطن

وانصرفن بعد أن واسينه بكلمات طيبات ، ولكن الشاب ظل
على حاله مبهوتاً ، يفكر في جارته ، وعما اذا كانت تعمدت أن تحضر
لنراه ، أم ان الصدف هي التي قادتها لرؤياه ، ووضع باقة الورد التي
قدمتها اليه على الوسادة ، وكما نظر إليها ، تمثل له وجه جارته بين أوراقها
ومرت عشرة ايام ، وغادر الشاب - وكان اسمه حمدي -
المستشفى الى منزله . وجاءت اليه شقيقته من المنصورة لتعني بحالته
وفي ذات يوم صعدت تنيدة هائم ومعباً ابنتها لزيارته والتقتا بشقيقته
وطفقت يتحدثن زهاء ساعة ، ويواسين حمدي في مرضه .

وخرجت شقيقته مرة لشراء بعض الادوية ، وطرق باب
غرفته . وكان الطارق كوثراً ، دخلت اليه كلاك يحمل بلسم الشفاء
واخذت تسأله عن حاله ، وهو يشكرها في لهجة رقيقة ، عن اعتنائها
به ويقول إنه يماثل الى الشفاء بفضل رعايتها وزيارتها له .

ووقع نظرها فجأة على شيء ملق الى جانب رأسه على الوسادة
فتميخته ، فاذا به باقة الورد الابيض التي قدمتها اليه وهو طريح الفراش
في المستشفى ، وقد ذبلت أوراقها قليلاً ، فانتفضت ورפרف عليها
في صدرها كالطائر الذبيح .

وظلت كوثر تعود حمدي في غرفته وتشارك أخته خدمته ،
ودنت منه في ذات يوم تسأله إن كان في حاجة الى شيء ، وكانت
الغرفة خالية الا منهما الاثنين ، فأمسك بيدها وهدق النظر اليها ثم
قال في صوت حبيس :

- كوثر أحبك !

فانتفضت المسكينة فزعاً ولم تدرك ما تفعل ، وأسدت عينيها الى
الارض حتى تتحاشى نظره الثابتة ثم قالت في حسرة :
- أنا مخطوبة

فوقعت هذه الكلمة على رأسه كالصاعقة وتطلع اليها لحظة
وهو كالذهول ، ثم قال :
- ما أتعسني

وساد الصمت برهة قصيرة ، الى أن قال في صوت ضعيف :
- ومن يكون خطيبك

- ابن عمي ، عبد السميع زكي ، ضابط بالجيش المصري في
السودان ، سوف يعود بعد عام أو أكثر ليتزوجني .
فدهش لدى سماعه هذا الاسم . وأثار منه ذكريات من
الماضي البعيد ، فقال في هدوء :

- عبد السميع زكي لقد كان طالبا معي في المدرسة
الناصرية ، كان في الفرقة النهائية بينما كنت في الفرقة الثانية ، كان
« كابتن » كرة القدم بالمدرسة ، أنه صديقي صديقي !

وأصيب حمدي بالحمل بعد ذلك ، وعاد اليه جرحه يؤلمه ،
وحب كوثر يكويه بناره ويعذبه وأنى الطبيب يعودده ، فبعد أن
فحصه قال : إنه فى حاجة الى الراحة ، راحة الجسم والفكر معا ،
واعتنت به كوثر الى جانب شقيقته ، وكانتا تقضيان الليل الى
جانبه احيانا ، حتى تماثل للشفاء واستطاع أن يخرج برفقتهما الى
بعض الحدائق لتبديل الهواء .

وشفى حمدي بعد أسابيع مما ألم به ، وأخذ يسلي نفسه ويشغل
اوقات فراغه بالرسم ، وفى يوم ما ، وقفت كوثر الى جانبه تنظر
اليه فى صمت وخشوع ، وريشته تجرى على اللوحة لترسم مأذنة
المسجد الذي يتراعى عن بعد ، وسألها ، إن كانت ترضى بأن تصحبه
بعد الظهر للتنزه فى « حدائق الحيوانات » ، فلم تشعر الا وعاطفة
خفية تدفعها الى أن تجيبه : نعم . نعم .

وذهب الى هناك ، وجلسا تحت شجرة سندية ضخمة ، وأخذ
حمدي يحدثها قائلا : - لقد كتبت هواى الى اليوم صابراً متعذباً
قالى متى يا كوثر ؟

ونظرت اليه مشدوهة ، فاذا به يحيل النظر اليها ، وإذا بقوة
سحريه تنبعث من عينيه ، فلم تشعر بنفسها الا وهى مستسلمة اليه
وأن تقع تحت تأثير نظراته ، كما يقع الوسيط تحت قوة النوم .
وكشف هذا الحب الجديد عن بصيرتها ، وجعلها ترى آفاقا
رائعة لم تكن رأتها من قبل ، فهى وأن تكن قد أحبت عبد السميع

ونعمت بقربه أعواماً ، الا أن شعورها نحوه ، كان أخوياً ، فقد
تربيا منذ الصغر في بيت واحد ، ولكن حمدي . هذه القوة الخفية ،
هذا الاتصال الروحاني بينها وبينه ، جعلها تفهم الحياة على وضع
آخر ونظر لها الدنيا وما فيها .

وذهبت مرة برفقة حمدي يتنزهان في ضوء القمر ، فهمست
في أذنه قائلة:

- سوف أكون زوجتك في يوم ما !

- وعبد السميع ؟

- أضحي به أنت أملی في الحياة !

- وأهلك ؟

- لا حاجة لی بهم ، ما دمت بقربك !

- ولكنك تعلمين أني سارحل الى ايطاليا خلال هذا العام .

- أنتظرک الى ان تعود ؟

- يا لك من طيبة القلب ؟

ثم ضما كفيهما في وشيجة واحدة

- ٣ -

ومرت الايام مر السحاب

و كانت الحرب العالمية قد وضعت أوزارها ، وسمح لبعض

المبعدين بالعودة الى أوطانهم ، وعاد عاكف بك الى مصر ، شيخاً

- ٣٠ -

يناهز الحلقة السابعة من العمر ، وإن كان يبدو عليه بعد النشاط
العسكري ، وطيف من العز والسؤدد القديم .

وسمع عبدالسميع بعودة عمه ، فحضر الى القاهرة في أجازة
طويلة بعد غيبة أعوام ثلاث ، وكان حمدي قد سافر الى إيطاليا
في بعثة لاتمام دراسته .

وانفجرت شفتي الدنيا عن ابتسامة عريضة لهذه الاسرة التي
طحنتها الفاقة وكشرت لها عن أنيابها أعواما طويلة ، فقد عاد
عاكف بك بعد غيبة طال مداها ، ورقي امين افندي الى درجة
رئيس قسم باحدى المصالح الحكومية ، ولم يق الا شيء واحد ،
أمل ظل يتردد في الصدور منذ سنوات ، هو زواج عبدالسميع
بكوتر . . .

وفاتح عاكف بك ابنته في أمر هذا الزواج ، فلم يجد بدا
من القبول ، إذ لو رفضته لاثارت من حولها أقاويل وأشاعات جمة
ومر شهر وزفت كوتر ، ولكن القدر أبى الا أن يسمم ليلة
الزفاف بحادثة تكدر صفوها ، فقد كانت أمها تشكو دائما من
علة في القلب ، وازدادت هذه العلة الى أن توفيت فجأة في هذه
الليلة ، وارتبكت الاسرة واضطربت لهذا الحادث الفجائي ، هل
تؤجل حفلة الزواج وينقلب العرس الى مأتم وبذا يعكرون صفو
المدعويين ، أم يكتموا خبر الوفاة الى الغد وتنتهي الليلة بسلام !
كان المدعويين في سرورهم ، الموسيقى تشجيمهم وصالح

عبدالحى يطربهم ، والأُم على فراش الموت تحتضر...

ومر شهر العسل ، وكان أسود دا كنا ، وانتهت أجازة
عبدالسميع وقفل راجعا الى مقر عمله بالسودان ، وكان قد ابتاع
منزلا صغيرا بالقرب من حدائق النعام بالمطرية لتقيم فيه زوجته مع
شقيقته وأمه .

ومرت شهور ووضعت كوثر غلاما اسمته محسن ، وجاء
زوجها بأجازته الصيفية ، وفرح برؤية الطفل وتفاءل به خيرا ،
وذهب برفقتها مرة الى « حدائق الحيوانات » لتمضية النهار ، وفيما
هما يتجولان بالقرب من أقفاص القردة ، إذ شاهد عن بعد شابا
فى نحو العقد الثالث من العمر ، يسير وحده متمهلا . فناداه باسمه
قائلا : حمدى

والتفت الشاب اليه ثم تقدم منه وتصافحاطويلا، وأخذا يذكران
أيام المدرسة ولعب الكرة . وقدمه الى زوجته . ووقعت العين
على العين ، فكاد أحدهما يصيح مدهوشا : كوثر ، ويقول الثانى :
حمدى . حمدى .

وذهبوا الى « جزيرة الشاى » بالقرب من كشك الموسيقى .
وجلسوا على حافة البحيرة يتناولون الشاى . وولى حمدى
وجهه شطر الصخرة القائمة فى الطرف الشوقى للبحيرة وقد قامت
كبقايا القصر المهدم . ثم حول وجهه الى ناحية كوثر وكاد ينطق قائلا :

- أنتظرين الى بقايا هذه الصخرة ؟ انها قائمة كأطلال جبنا !
وتسكلم حمدى فذكر انه سافر الى ايطاليا وبعد ان مضى
هناك نحو عامين ونصف ، عاد اخيراً الى مصر منذ خمسة اسابيع
وانه قد شيد معرضاً صغيراً للصور والتماثيل في منزله « بعزبة النخل »
فقال عبد السميع :

- اذن قانت تقيم بالقرب منا ، فانا نسكن المطرية ، ثم دعاه
الى تناول طعام العشاء فى منزله فى تلك الليلة

وذهب عبد السميع ليتحدث مع بيته بالتليفون من « بوفيه
الحديقة » كما يهيوأعشاء للضيف القادم ، وساد صمت بليغ بين
حمدى وكوثر ، ونظر كل منهما الى الآخر نظرة حاول بها ان
يستعيد ذكريات الماضي السعيد ، وتكلمت كوثر فقالت :

- حمدى كيف ترانى هل تغيرت ؟

وتردد هذا الصوت داخل صدره كلحن سحرى ، واستثار
من نفسه ذكريات غالية ، فذكر الفتاة الجميلة التى كانت تعجب
بلوحاته وهو طالب بالمدرسة ، وذكر « الاخت » التى كانت
تقوم على فراشه بخدمة التمريض ، وذكر الحبيبة التى كان يخرج
معهما يتنزهان بالقوارب فى النيل . ويتناحيان فى ضوء القمر ، ثم
مرت بذهنه الجملة التى همست بها فى أذنه مرة : « سوف أكون
زوجتك فى يوم ما »

ذكر كل هذا ، ثم النفث اليها وقال :

- معاذ الله لقد صرت كشبح جميل قام من هذه البحيرة
فضحكت ضحكة قصيرة ، ثم اخذت بقطعة من فتات الخبز
في يدها ، ورمتها الى الطيور التي تجمعت في البحيرة بالقرب منها
وعاد عبد السميع حينئذ وقال ، ان العشاء سوف يكون في
الساعة التاسعة ، ثم اقترح ان يذهبوا جميعاً لتمضية الوقت في السينما
وذهب حمدي برفقتهم الى السينما فالى المطرية ، حيث قدمه
عبد السميع الى شقيقته ووالدته . وطالت الاحاديث بينهم على
المائدة ودارت النكات وعلت أصواتهم بالضحك ، وشعرت زينب
هانم شقيقة عبد السميع بميل شديد الى حمدي ، وسحرت لها نظراته
وظرف منطقته ، فودت لوانه يكثر من التردد عليهم ، تشبع نفسها
وحسها من أحاديثه الشيقة .

من هذا اليوم أصبح حمدي صديق العائلة ، وكان يتردد عليها مرة
او اثنتين في الاسبوع ، ورسم صورة زيتية للصغير محسن حازت
اعجاب الجميع ، وكانت زينب هانم تؤمل انها وان كانت قد فاتت
سن الزواج ، الا ان سهامها كفيلة باصابة قلب حمدي فيتزوجها
ولكن هذا الرجل كان قلبه عاتياً عليها ، ولم تلبث نصالها ان تكسرت
على صخرة كبريائه الصلبة ، وشعرت بالخيبة المرة وبدأت الغيرة
تأكل قلبها وجسمها ، فصارحته مرة وهما على افراد : انه ما من
محب مكروه الا وهو خطر .

وسافر عبد السميع بعد انتهاء اجازته ، والتفتت كوثر الى
العناية بطفلها وحصرت كل آمالها فيه ، وكلما لاح لها عن بعد شبح
حمدي ، سألت الله أن يعصمها من الخطيئة وان يجعلها وفية لزوجها
حتى النهاية .

ولكن الذكريات كانت عنيفة فاخذت تطفو شيئاً فشيئاً على
ذهنها ، ذكريات الحب الذي قضته بالقرب من ذلك العبود الذي
قدسته أعواماً والذي اذاقها طعم الحب يوم ان وهبت قلبها للحب
ونظرت الى نفسها بعد سفر زوجها فاذا بها في وحدة أروع
من وحده المقابر وشعرت بظماً شديداً في قلبها ولمسته تلك الكلمات
السحرية التي خاطبها بها حمدي منذ يومين :

انك تعيشين في عزلة لا في السماء ولا في الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ومن يتنشق هذا الشذى
ومر حمدي اذ ذاك امام المنزل وكان الليل قد انسلخ منه نحو
ثلثه ورأى بصيصاً من النور ينبعث من غرفة كوثر الواقعة في الطرف
الشرقي من المنزل فدخل من باب الحديقة ووقف تحت نافذتها
يناديهما في سكون ، فأطلت عليه وفي ناظرها بريق من الامل
وسأله لماذا وكيف أتى فانها كانت تشعر بحياتها تمر في هدوء وسلام !
فقال لها : كنت في غرفتي . . . وشعرت بوحده قاتلة وفكرت
أنك لا بد أن تكوني وحيدة مثلي ولم أدر الا وانا ارتدى ملابس
وأجيتك طائراً على أجنحة الحب .

وقفز فجأة الى غرفتها وصار أمامها وجها لوجه ، ودنت المسافة
التي بينهما وحقق بها طويلا ، فرأى الخوف والظلم في عينيها ، وما
علم ان اقتراب منها يضمها الى صدره ، ويطويها بين ذراعيه ، وهو
يقول : يا حمامتي الصغيرة !
ولم تلبث كلماته ان سحرتها ، فاستسلمت اليه ، وخفضت لحيه
جناح الذل من الرحمة

ووقعت كوثر في الخطيئة وأضل الحب مسراها ، وكثيراً
ما ذهبت برفقة حمدي الى خلوة او الى ملهى ، ولكن هذا الاتصال
الدائم بينها وبينه ، لا يمكن أن يمر بسلام ، فان زينب هانم ووالدتها
كانتا تحترقان غيظاً ، حتى ان الجيران والخدم بدأوا يتهايمسون
وبعد شهور رأت كوثر انه لا يمكنها ان تستمر علاقتها بحمدي
بعد اليوم ، فهي امرأة متزوجة ، وقد أقسمت لزوجها ان تحافظ
على عرضه ، ولكنها لو ثقت سمعته ، واقرفت العار تحت سقف
بيته ، وأسلمت نفسها الى رجل غيره لم يكتف بما ناله منها ، بل
عرض احدي رسوماتها في لوحات بالمعارض العامة ، اذن فلتكتب
اليه تنذره بقطع علاقتها به .

ووصل الكتاب الى حمدي ، وأجابها بانه سوف يطيع أمرها
ويرحل منذ الغد الى المنصورة ، فقد اعتزم أن يمضي فترة بين أهله
هناك ، يتناسى خلالها هذا الحب . وندمت كوثر على ذلك ، وفيما

هى تفكر فى أن تكتب اليه ثانية ، اذ يمر ساعي البريد ، ويناولها
خطابا من زوجها ، يحمل موعد أوبته .

— ٤ —

وعاد عبدالسميع الى القاهرة فى صيف عام ١٩٢٢ ليمضى اجازته
بين زوجته وأهله ، وتقابله أخته وأمه ، كالأفعى والشعبان ، محاولان
أن تنفثا سموهما فى جسمه .

ففى ذات ليلة ، ذهبت كوثر تعود امرأة أخيها المريضة فى
شبرا ، اجتمعت زينب هانم ووالدتها فى حديقة المنزل ، وكان
الوقت حاراً ، وازهار الحديقة وورودها تتنفس من قيظ النهار ،
وجاء عبدالسميع وجلس بالقرب منهما يقرأ فى كتاب ، فابتدرته
شقيقته تسأله :

— لماذا تركت زوجتك تذهب وحدها ... ؟

فلم يدرك مغزى حديثها وقال فى عدم اكتراث :

— وماله ... فيه حاجة ؟

وهنا وجدت أمه ان الفرصة سانحة ، فتقدمت فى رباطة جأش

وقالت :

— ان بعض الناس يهملون بأشياء مريبة ...

— وماله ... فيه حاجة ؟

— وعلى من يدور هذا الهمس ؟

- طبعاً على الهانم زوجتك ... يقولون أن لها علاقة بالمصور
حمدي ! وتقول أخته :

— ان الجيران رأوها مرة في خلوة بمحديقة النباتات .

فيقول عبدالسميع :

- أقاويل الجيران ليست ببرهان .

وقالت أمه :

- لقد تأخرت مرة منذ ثلاثة شهور الى منتصف الليل ، ولما

حضرت ذكرت لنا بأنها كانت مدعوة الى حفلة عرس إحدى

صديقاتها ، أما الحقيقة فأنها كانت سهرانه في «الفانتازيو» مع حمدي

وتبدأ الشكوك تلعب برأس الزوج الغيور ، ولكنه يتصنع قلة

الاهتمام أمامهما ويقول :

- كل هذا ليس عندي ببرهان ، هل شاهدتموها بأعينكما في

رية ؟ أنا أعرف كوثر زوجة وفية ، طيبة القلب ، لقد كانت

رسائلها تصلني من حين لآخر وأنا في أقاصي السودان ، وكلها

تفيض بصدق الحب والوفاء ، وفي كل مرة أحضر الى هنا بالاجازة

لم ألاحظ عليها أقل شك أو رية ، بل كانت تزداد حباً وتعلقاً بي

أكثر من قبل .

وهنا تنظر اليه شقيقته نظرة عميقة ، تحاول بها ان تستشف

ما يجول بخاطرهِ ، ثم تقول في صوت رزين هادئ ، كأنما تزن كلماتها

بعثقال :

— والصورة التي عرضها المصور حمدي لزوجتك في معرض
«الصور منذ شهرين وتحدث عنها الجميع ، أليست ببرهان ؟
وأنتفض عبد السميع من مكانه كأتما وخزته أبرة ، ثم رمى
بالكتاب من يده الى الارض ، وقال :

— أية صورة تعنين ؟

— « السيدة حاملة الورد الابيض » اللوحة التي
حازت الجائزة الاولى في « صالون القاهرة » واثنى عليها الصحفيون
جَمِ الثناء !! كل هذا ليس ببرهان ؟ وحديث الناس في المجتمعات
وبين العائلات ، وغمزات بعض الصحف الاسبوعية ، ليس ببرهان
وولدك التي تجرأت عائلة صبور بك وأذاعت انه ابن حمدي ، كل
هذا ليس ببرهان

وهنا صرخ عبد السميع من أعماق نفسه ، وقال :

— كفى لقد احتملت كل شيء إلا هذا !!
وسكنت العاصفة قليلا

وعادت كوثر في نحو الساعة التاسعة مساء بعد أن زارت
زوجة أخيها المريضة ، ولكن بعد أن عرف عبد السميع كل شيء ،
ووقف على خيانة زوجته ، وعثر على ما يؤيد أحاديث شقيقته ،
فانكسر قلبه تحت هذه الضربة الاليمة ، وواجهها بكل هذا الاتهام
فلم تستطع ان تنكر ما حدث . وأن هي الا ساعة أو بعض ساعة

حتى كانت عربة عاكف بك تقف أمام منزل عبد السميع لتحمل
كوثر إلى بيت أهلها .

وذهبت إلى غرفتها لتعد ملابسها وحاجياتها ، ثم انطلقت إلى
حيث الخادمة لتأمرها بأن تهياً طفلها ليصحبها ، ولكن زوجها وقف
حائلاً وقال : أنه لا يسمح لها بأن تأخذ محسن معها لئلا تدنسه ،
فهو لا يود أن يتركه بين أحضان أم خانت زوجها ، ترضعه بلبان
البغض والكراهية لوالده وعشيرته .

فقتل كوتر وتبكي وتحتدم المناقشة بحدة بينهما ، ويحضر
عاكف بك أثر ذلك ، يجر قدميه ويطأطأ هامته إلى الأرض خزيًا
فيخجل عبد السميع من نفسه ويخفف من حدته ، مهما يكن فكيف
يحرم أمًا من طفلها ؟ أن القانون والعاطفة ، يمنعانه من اتیان ذلك ،
فيتقهقر ويقول في استسكانة :

— أن طفلك رهن اشارتك ، ساعة في كل اسبوعين لتريه .
وتغادر كوتر منزل زوجها بعد أن نزلت عن العرش ، وتمشى
تتعثر في اذيالها كالملكة المخلوعة ، إلى حيث تنتظرها حياة العزوبة
ويقف شبح الفضيحة والعار بمنجله وبوقه على بابها .

- ٥ -

وتمر شهور وكوتر تعيش بين أحضان حمدي على
شاطئ الاسكندرية

ويقبل البدر في ذات ليلة يختال في هدوء بين الغيوم ويتقدم

مقباطاً ومتردداً كالخجل الى أن ينفذ في خلال غصون أشجار
« حديقة الزهرة » حيث كان الحبيبان ، حمدى وكوثر ،
فيسمعها تقول :

- ما ألد قبلاتك انى أعبدك !

- أنك تكذبين ، فبك أنما يهبط مقياس حرارته فى كل
يوم عن الآخر ..

- حمدى أن حبك يقودنى الى الهاوية ، لقد ضحيت
باسمى وشرفى من أجلك ، ونزلت عن عرشى كى أعيش لك ، ولك
وحدك ، أيها الرجل ألا تصدق ما أقول ؟

ثم دنت منه وقالت فى تضرع وبصوت حبيس :

- ان نصف حياتى ميت ضائع وعليك أن تخلقنى

من جديد !

فيتأثر حمدى من كلماتها ، ويدلن قلبه أمام تضرعاتها ، كما يلين
الحديد أمام النار

وتزوج حمدى من كوثر بعد أن « أوفت عدتها » . وقد
اعتقد كل منهما أنه عثر على نصف حياته المنشود
وأنخذلها لهما مسكناً بسيطاً « بكلمب سيزار » ، وكان حمدى يعمل
آناء الليل وأطراف النهار ، ويعد المعدات لمعرض التصوير الذى
يقومه فى الربيع القادم باحدى قاعات فندق « ماجستيك » بالاسكندرية

ويشتد حنين كوثر لرؤية طفلها ، ولكنها لا تستطيع أن تترك
حمدي وحده في هذه الآونة العصيبة . فتفضل أن تكتب اليها
والدها ، ليذهب الى المطرية كي يرى الطفل ويكتب اليها عن
صحته وحاله . ولكن لما ذهب عاكف بك الى منزل صهره القديم ،
رفضت شقيقة عبد السميع أن تسمح له برؤية الطفل

وأقام حمدي معرضه خلال شهر مارس ، وكانت لوحة
السيدة حاملة الورد الابيض ، التي بنى عليها مجده ، في مقدمة
اللوحات التي عرضت ، ووقفت كوثر على باب المعرض تبيع التذاكر
وتستقبل الوافدين .

في عصر ذات يوم ، وفدت زائرة أوربية ، بدينة الجسم
لتتفقد المعرض ، ووقفت طويلا ، أمام لوحة « الغسق » ثم أنتقلت
منها الى اللوحة المجاورة وهي « السيدة حاملة الورد الابيض »
وظلت تتأملها طويلا ، وكان حمدي يرتدى معطفاً لعمل من الكتان
الرفيع ، عارى الرأس ، يحمل في يده « كتاب لوج المعروضات » .
وهو يحادث جماعة من الزائرين الاجانب عن الفن المصري ، والفن
الفرعوني القديم الذي اكتشف اذ ذاك في مقبرة الملك الشاب توت
عنخ آمون ، وتدرج الحديث بهم الى أن يقترحوا عليه ، أن يفكر
في إقامة معرضه القادم بباريس ، فانه يلاقى ولا شك نجاحاً واقبالا ،
وأبتسم حمدي وهو يعدهم خيراً

وأنصرف الزوار وحدى يشيعهم إلى الباب ، وما أن عاد إلى مكانه حتى وجد السيدة الاوربية البدنية ، تترقب حضوره ، وتنظر اليه في أغراء وشغف ، ثم تقدمت منه ولبثت تتحدث معه برهة ، حديثاً خاصاً بالنحت والتصوير ، وبعد أن أبدت له أعجابها بلوحة « السيدة حاملة الورد الابيض » عرضت عليه أن يرسمها في وضع مماثل لصاحبة الصورة ، وأنصرفت بعد أن دعت له لتناول الشاي في منزلها في الاسبوع القادم .

ونجح المعرض نجاحاً تاماً ، وأثنى النقاد الفنيون عليه جم الثناء وعلى اللوحات التي عرضت ، وعاد حمدي في أمسية ذات يوم إلى المنزل ، وهو يحمل في يده كمية متنوعة من الهدايا لكوثر فوجدها مهمة بتنسيق باقة من الورد الابيض ليضمها الوعاء الكبير الذي يتوسط المائدة ، وترى كل هذه الاشياء التي يحملها فتهجم عليه وتقبله قبلة حارة ، وتقع عيناه على وعاء الزهر ، فيقول :

— دائماً تحبين الورد الابيض ؟

فتبتسم ثم تجيبه :

— أنه كحبي . . . لا شائبة فيه .

وذهب حمدي في الموعد الذي حددته له السيدة الاوربية ، لتناول الشاي في منزلها ، وهناك استقبلته بحفون ساحرة ، وعيون ملؤها الاغراء ، وعند ما رآته مقبلاً ، قالت له في دلال :

— هذا أنت . . . حمدى بك ، كنت أظن أنك تتأخر عن مواعيدك كبقية الشرقيين ! فيجيبها بأن الفترة التي مضاهها في إيطاليا ، علمته احترام المواعيد .

وتناول الأحاديث بينهما شؤوننا شتى ، وبخار الشاي يعتقد في جو الغرفة سحباً خفيفة ، لا تلبث ان تتبدد كالغيوم وتزول . وانتهى حمدى من عمل الصورة ، وعرضها بعد ثلاثة أسابيع على نخبة من أصدقائه ، غير أنها سقطت سقوطاً فنياً مريعاً ، فلم يقو على عرضها أمام الجمهور .

وأستولت عليه تلك السآمة التي تعشى الفنانين ورجال الفكر أحياناً ، وبدأ يحس بفتور نحو كوثر ويسىء معاملتها ، ويلتزم غرفته التي حولها الى معرض للصور والعمل ، وأحست هى من نفسها بالعناية التي كان يبذلها في رسم لوحة السيدة الاوربية ، فأحاطت بها هواجس وشجون شتى ، وانطوت على نفسها ، وقد شعرت بأن هذا الهناء الذي كانت تمرح فيه وحمدى ، إنما كان هناء قلقاً آثماً ، وتيقظت من سباتها فجأة ، يقظة من تلكم اليقظات التي تعقب الحلم ، فتذكرت طفلها وهناءها العائلى ، وعرشها الذي نزلت عنه ومملكته التي غادرته .

وأقبل حمدى إذ ذاك فألفاها تبكي ، فحاول أن يخفف من آلامها ، ولكنه كان كمن يخمد النار بالزيت ، إذ كانت تنوء تحت عبأً ثقيلاً من الذكريات .

وخاطبها قائلاً وقد أدرك ما يجول بخاطرها :

- وعلام تبكين ؟ هل تندمين على ما فعلت ؟

ثم ضحك في سخرية وقال :

- أن ما فات مات ؟ !!

ان ما فات مات ... هذا صحيح ، ولكن أليس للجريمة أشباح مهما تكن ضئيلة ، فهي مخيفة مفرعة ؟ ان شبح الجريمة يقترب منها شيئاً فشيئاً ، فيذكرها بالحب والهنا العائلي الذي كان بين يديها فخطمته ، وبطفلها الذي كان يضيء ظلمة حياتها فغادرته وسمعت كوثر مرة احدى صديقاتها تقول : ان السيدة الاوربية التي رسم لها حمدي اللوحات ، تعشقه وتعرض عليه فكرة الزواج ، وهنا تحس كوثر بضيق شديد في صدرها ، ويلوح لها شبح زوجها السابق في بذلته الرسمية ، تزين أطرافها ثلاث نجوم ذهبية ويرن في أعماق صدرها صوته ، فتتذكر آخر جملة خاطبها بها وهي تغادر بيته :

- انك امرأة لم تصبري على طعام واحد ، اقتربت من ثمار

الشجرة المحرمة لتتذوقها ، فحلت عليك النقمة واللعنة الابدية

لقد رفعت راية العصيان في وجه زوجك ، وخرجت عن

طاعته ، وسوف يأتي قريباً ذلك اليوم الذي تطيعين فيه

رجال العالم اجمع !

ثم بككت وأنتحبت طويلاً

شتاء عام ١٩٢٥

الجيش المصرى يغادر السودان الى مصر عقب الانذار
البريطانى الاخير ، واليوزباشي عبدالسميع فى طريقه الى القاهرة ،
رفق أورطته للالتحاق بلواء قسم المحروسة .

ويعود حمدى الى القاهرة فى أواخر نوفمبر ، استعداداً
لاشتراكه فى « الصالون الثامن » الذى تقيمه الجمعية المصرية لحماية
الفنون الجميلة ، برفقته كوثر كى ترى طفلها وأهلها

وكان عبدالسميع قد تزوج للمرة الثانية بعد ان نسي خيانة
زوجته الاولى ، وحرص فى هذه المرة على أن يأخذ زوجته معه
الى مقر عمله بالسودان ، الى ان عاد أخيراً بعد حادثة مقتل السردار
المشؤومة ، وأقام فى منزله بالمطرية ، أما طفلة محسن فقد عهد به الى
شقيقته لتقوم بتربيته ، وترعرع الطفل وصار جميلاً ، وبلغ السادسة
من عمره ، والتحق بمدرسة « روضة الاطفال » بالزيتون .

وأصيب الطفل بالتفؤيد ، وشمل الجميع حزن جاف لمرضه ،
وارتفعت درجة حرارته ، فاجتمعوا حول سريريه ومعهم الطبيب
يفحصه ويصدر أوامره ، والطفل مسجى على فراشه ، تتردد أنفاسه
بين الحياة والموت ، والكل جازع مشفق عليه ، وقد رفعوا أكفهم
الى السماء ، يستدرون منها العطف ويطلبون العون ، وكان الصغير
يصرخ من شدة الألم بين آونة وأخرى ليصيح قائلاً : ماما . ماما .

وبعد الغروب بساعة وقد هبت نسائم الليل الخفيفة ، تداعب
في طريقها أشجار حدائق النعام ، والجو قرمزي والسحب عشية
حمراء اللون قانية ، وقد ألفت بظلمها المتورد الناري في النهرات
والجداول فبدى الماء كسبيكة من الذهب الابريز ، بينما يقوم
منزل اليوزباشي عبدالسميع في الطرف الجنوبي منها ، تلمع في نواحي
أبهاؤه وغرفته أضواء باهرة هنا ، وأضواء باهتة هناك ، كان شبح
امرأة هزيل ، شاحبة الوجه كالموتى ، يتلمس طريقه بين أفاريز
الحديقة ، وقد مالت رؤوس الاشجار وتدللت اغصانها من عناء
جو النهار المحرق وقيظه .

دخلت كوثر البيت الذي غادرته منذ سنوات أربع لترى
طفلاً ، خرجت منه امرأة كاملة ناضرة الجمال ، وعادت اليه وقد
تغير فيها كل شيء ، على حين لم يتغير من البيت حتى ولا قلوب
ساكنيه ، فالشعر الاسود الفاحم الذي كان يزين مفرقها قد استحال
لونه ذهبياً بفعل الاوكسجين ، والوجه المشرق الذي لم يكن
يعرف غير الابتسام أفسده التدخين .

وقابلتها وهي في طريقها بحديقة المنزل « جوهرة » خادمتها
الجارية ذات القلب الامين ، والتي قضت في بيت عبدالسميع زهاء
الاربعين عاماً وحزنت لفراقها حزناً شديداً ، قابلتها فلم تعرفها الا
وهلة ووقفت تحيل النظر اليها في دهشة الى أن تكلمت كوثر وقالت :
- جوهرة ؟ ألا تعرفيني ... ؟ انا كوثر ! أين ولدى ؟

وكما ينظر الانسان الى طلل مهدم وتمثال محطم ، عليه روعة
من جلال الماضى و قدسية الذكرى ، حدثت الخادمة العجوز النظر
اليها برهة ، كما تستعيد الى خاطرها ذكريات سيدتها السابقة ، وما
عتمت ان قبلت يدها وبكت طويلا .

وبعد لحظة قصيرة ، وفي خطوات غير منزنة ، كان شيخ
المرأتين يأخذ طريقة بين ظلال الاشجار فى خفة وحذر ، ويصعد
الدرج ويسير بين الغرف ، الى أن وقفت الخادمة بها أمام غرفة
الطفل ، ثم همست فى أذنها وقالت :

— أنه هنا يا سيدتى ... لا تزعجيه فهو راقد .

ووقفت الام أمام سرير طفلها بعد غيبة سنوات أربع ، وهو
نائم يسبح فى أحلام طفولته ، وقد وقع ضوء المصباح فوق شعره
الذهبي ووجهه المحموم يتوهج ويفيض أحمراراً ، ودفعتها عاطفة
الأمومة الى أن تقبل الطفل فى جبينه ، فاستيقظ من نومه مذعوراً
وعاد اليه ألمه فصار يصرخ بشدة ، ولم تدر الام ما تفعل ، سوى أن
شبهت شهقة عالية ثم اخذت تبكى

واسرع عبد السميع اثر سماعه الصياح ، وغشى الغرفة فوجد
الام تركع امام سرير ولدها وتتمتم شفتاها بادعية حارة :
رب ...

أنت الذى قدرت على هذا الداء ، وحملتني هذا البلاء ،
وحكمت على بهذا الشقاء .

وقد استقبلت حكمك طائعة وارتضيت قضاءك شاكرة .
خلقت منى امرأة ذات شعور وقلب ، فاحببت واندفعت
وسقطت .

حكمت على بالشقاء في زواجى اولا وفي حبى ثانياً وفي طفلى
اخيراً

الهى ...

استجب دعائى وحقق رجائى وكن بطفلى شفوفاً رحماً ، اكلته
بعينك وتولاه بفيض من عنايتك فهو أملى الوحيد الذى سوف
اعتصم به فى الملمات

انت فى السماء تنظر الى فى الارض

فكن بنا رحماً

وكانت جائية تسبح شفتاها بهذه الادعية و كأنما هى فى معبد
وثنى حيال تمثال أحد الآلهة .

لم يصدق عبد السميع كل ما يراه ، ونظر فى نواحي الغرفة فاذا
بجوهرة تقف فى أحد اركانها كالصنم ، وتقابل الزوجان - بل
الاخوين - وجها لوجه ، وأدرك الرجل كل شيء ، فحاول ان يفتح
فه ليهبط ردها ، غير انها اسرعت متضرعة اليه وقالت :

— أريد أن استمتع برؤية ولدى ... فكن بى شفوفاً .
وأستدعى جوهرة وسألها قائلاً :

— من أذن لك ، أن تسمحى لهذه الخاطئة ، أن تدنس
بقدمها بيتى ، سوف أطردك من هنا شر طردة .
فانتحبت الخادمة وقالت :

— سيدى . . . أن كوثر هانم لم تكن خاطئة ، لقد كانت
تحبك وتنتظر أوبتك فى كل عام لتقدم اليك دليل اخلاصها وحبها
انها بريئة من كل ما نسبوه اليها ، ان أختك هى التى أساءت
سمعتها عندك ، كى تطلقها وتتزوج من عائشة هانم صديقتها .

وعادت كوثر إلى منزلها وقد أظلمت فى وجهها غياهب السكون
كله ، وغاب عنها كل شىء فى الوجود ، إلا طفلها المحموم ،
وزوجها السابق الذى طردها وحرمها رؤيته .

وكانت حالة حمدى المالية قد ساءت ، فعرض عليها أن تعمل
فى مدرسة الفنون الجميلة « موديل » ، تلخع ملابسها وتقف عارية
امام الطلبة ساعات باكملها ليتخذوا من جسمها نماذج للجمال وتماثيل
للفن ، لقاء بضعة دريهمات يأمنان بها غائلة الجوع ، ولكن كوثر
رفضت هذا الاقتراح فى إباء وشمم ، وأرادت أن تتأثر لكرامتها ،
فصارحته قائلة :

— لقد أصبحت المرأة عندكم كالخرقة ، تسمح بها الفضيات اولا

فالملاحق فالصحنون حتى اذا اتسخت رموا بها إلى ارضية المطبخ
لتنظيف البلاط .

ثم سكتت قليلا وأستأنفت حديثها قائلة :

— كفاية ذل ، فضلنا متحملين استعبادكم وسخريتكم اجيالا
طويلة ، هي الواحدة لما تزوج معناها أنها باعت زوجها حريتها
وحقوقها ، اليوم « موديل » وغداً خادمة وفي المستقبل
فيقاطعها حمدي ويقول ساخرأ :

.. - أو كالسلعة اذا اتسخت من كثرة الايدي التي تتداولها
في السوق ، رموا بها في أحد الاركان وقد صارت كهنة ، فالزجاجة
كسرها لا يجبر ، كذلك الثوب المهبل لا يعود اليه رونقه وجدته.
فتقول كوثر :

- ومع كل ، فلا يهمها أن يمر بها لغط الرجال او تمر هي باللفظ
ما دامت لها نفس كالاشعة ، تمر بالوحل لتعود صافية نقية كالبللور.
المرأة منا ان سقطت فبجسمها ، وان تلوثت فمن ظاهرها ،
والجسم ان هوى الى ارض الفساد فهي مقره ومبتغاه ، أما نفسها ،
أما روحها فهي نفحة من السماء ، فمن المحال ان تمس بسوء أو
تضام بأذي .

أما الرجل منكم ، ان سقط فبعواطفه ونفسه ، ولا يلبث أن

يصبح مجرمًا في حق الله والناس ، لا تقبله ابواب السماء ولا يضمه
باطن الارض

فيهزأ من كلامها وبعد ان يشعل سيجارته يقول :
- من علمك هذه الفلسفة ومن أى عصر كان للمرأة حقوق
في أعناق الرجال .

وأراد أن يغيظها ، فذكر لها انه سوف يتركها قريباً الى باريس
حيث يقيم هناك معرضاً للتصوير ويتزوج من السيدة الاوربية التي
يعرفها في الاسكندرية ، والتي سوف تمده بالمال اللازم للانفاق على
معرضه . وحضر اذ ذاك أحد اصدقائه فاختمى به ولبثا يتحدثان
وحدهما في الغرفة الخارجية

وخات كوثر الى نفسها ، فاذا بها وحيدة طريدة في هذا العالم ، ومرت
بذهنها صور عديدة مختلفة ، فبسي لا تطيق ان ترى امرأة أخرى تشاركها
قلب الرجل الذي ضحت بكل شيء من أجله ونعمت بقربه اعواماً ،
وفصل الحب الذي بينها وبين حمدي اوشك ان ينتهي ، وزوجها
السابق اهانها وطردها من منزله شر طرده ، وحرمها من رؤية طفلها ،
اذن فلم تعد فائدة من الحياة

مرت بها كل هذه الصور فهزتها في قوة وعنف ولم تشعر الا
وقدماها تحملاً لها فجأة الى المطبخ ، وبعد ان اوصدت عليها بابها عمدت

الى صفيحة الغاز ثم سكبتها على جسمها وأشعلت النار
واسرع حمدي اثر سماعه صراخها وحطم الباب، واخذ يطفأ النار
العالقة بجسمها وتبعه بعض الجيران يساعدونه، ثم حضر رجال
الاسعاف بعد قليل يضمّدون حروقها ويخففون من آلامها. وكانت
المسكينة تصرخ من شدة الألم، بين آونة واخرى. ووقع نظرها
نحاة على حمدي وهو واقف الي جوارها يبكي بصوت خافت،
فقات له في انفاس متقطعة :

— أيها الوحش الضاري . . . أتبكي ؟ أنظر ! ماذا فعلت
بي ، قتلت جي وذبحت قلبي ورغم هذا فانتى اعبدك ،
خذني بين ذراعيك انني اموت قبلني !
ثم راحت بعد ذلك في سبات أبدي

أشعلت له جسمها يوم ان وهبته قلبها ، فأضاء له الطريق الى
المجد ، ثم قدمته منذ ساعات قلائل وقودا في أتون الحب فاكلته
النار ، وأصبح الجسم الرشيق المائس الذي كان سبب مجده وشهرته
والذي كان ينشد فيه روعة الفن والمثل الاعلى للجمال ، كومة من رماد

بعد عام واحد من هذه الحادثة المشؤومة كان اليوز باشي
عبد السميع يسير متمهلا في سترته الخاكية وقد وخط الشيب

شعر رأسه ، وشمس يونيه الحارة تلهب الاقدام ، يتبعه ولد صغير
في بنطلون قصير ، وهما يلتمسان طريقهما في مدينة الاموات وقد
سadtها وحشة جافة . ووقفنا أمام احدى المقابر الساكنة ، ثم خاطب
الصغير الذى يصحبه قائلاً :

- لقد كنت تسألنى دائماً يا بنى عن امك . وكنت أجيبك
بانها فى سفر وسوف تؤوب عما قليل . كنت اكذب عليك
يا بنى . فامك راقدة هنا حيث لا عودة لها الينا ولا اياب .
وعاد من حيث أتى ، مطأطأ الرأس الى الارض كالقائد
المنهزم فى الموقعة ، وخلفه ولده كالمهر الصغير الذى يتبع امه .
ومر حينئذ شبح ضئيل بين المقابر ، شبح رجل وان كان فى
صباح الحياة ، الا ان جبينه يحمل شحوب المساء . وما ان رآهما
حتى اختفى سريعاً وراء شجرة بلوط كبيرة ، جاء يزور القبر
كعادته فى كل اسبوع ، ويحمل فى يده باقة كبيرة من « الورد
الايض » .



في الواحة

—٢—

في الواحة

تراس فندق شبرد

حركة مستمرة غير عادية ، خدم الفندق السويسريون ،
يروحون ويحيئون في خفة ونشاط ، يتبع كل منهم اثنان او اكثر
من الخدم النوبيون ، يزهون في ملابسهم المفضضة البيضاء ، الموشاة
أطرافها بنقوش زاهية اللون ، تراهم في الزوايا والاركان ، على
استعداد لتلبية اية اشارة تصدر من نزلاء الفندق الامريكيين
او انريطانيين ، الذين احتلوا مقاعد الشرفة ، يستقبلون منها شمس
مصر الذهبية ، ويتحدثون في لهجات ورطانات متباينة عن كل ما
يقع تحت انظارهم في الشارع .

من هنا يبدأ الشرق

ومن هذه الشرفة المحدودة ، يبدأ الحلم الذي يصحب الرجل
الأوربي منذ حدوثه ، عن الشرق وأسراره ، يتحقق رويداً رويداً .
الوقت بعد تناول طعام الغذاء بقليل ، وشمس ديسمبر الدافئة
تجري مع الحياة ، وتبعث الحرارة في الكائنات ، وتراس شبرد ،
يموج بجماعات السائحين ، الذين وفدوا بقطار مساء الامس عن
طريق بور سعيد او الاسكندرية ، الى أرض الفراغة يمتعوا انفسهم
وحسبهم بسحر اهرامات الجيزة وسقارة وأبي الهول والحفريات

الحديثة ، والقلعة ومقابر الخلفاء والمساجد والكنائس الاثرية وما
تذخر به دور العاديات من نحف ونفائس ظلت مفخرة الاجيال
وتنظر الى شارع كامل ، حيث يقع الفندق الارستقراطي
الفخم ، فاذا بجيش جرار من التراجمة والأدلاء ، يتبعهم جيش آخر
من الباعة ، في انتظار الفريسة التي تقع تحت ايديهم ، وترى جماعة
من السائحين يصغون باهتمام الى حديث احد التراجمة ، وهو يعرض
عليهم بضاعته ، من قضاء سهرة شاذة بين احضان «القاهرة الخفية» :
زيارة مقاهي الرقص العربي و « غرز الحشيش » واوكل الحب
الرخيص ، او الذهاب لرؤية الاهرامات والصحراء ليلا في ضوء
القمر ، فانه منظر جذاب يخلد في الازهان ، او الى مقابر الخلفاء
على ظهور الحمير في غسق الليل ، ويمر بعض الباعة المتجولين ،
ينادون باصواتهم الجافة الخشنة على صنوف مختلفة تنقل سواعدهم
المفتولة : عقود وأساور زجاجية ملونة وجوهرين وتعاويد سحرية ،
او طوابع بريدية ومناظر « كرت بوستال » للقاهرة والاقصر
واسوان ... ويعلوصياح بعض الصبية الصفار ، على صحف ومجلات
اجنبية ، او غيرهم من جامعي اعقاب السجائر وهم حفاة الاقدام ،
انصاف عرايا الا من ملابس رثة ممزقة ، يمدون ايديهم المنحيلة
القذرة ، قائلين « بقشيش - بقشيش » ، او بعض ماسحي الاحذية
يضر بون بفرشاة على صناديقهم الصغيرة ، صائحين « بوية - بوية »

وفي ركن آخر من الشرفة سرب من الامريكيات الحسان تراهن
وقد انتحبن مكاناً قصياً واحطن ، على شكل دائرة ، باحد الحواة
المشعوذين ، وهو يعرض عليهن العابه السحرية ، فيظهرن اعجابهن
ببراعة - ابن الشرق - ومهارته .

وجلس في ركن من اركان الشرفة وحده ، على رأسه طربوشه
الاحمر الذي يميزه عن عشرات المحيطين حوله ، يدخن سيجارة
هافانا في هدوء ، ووقع نظره فجأة عليها ، كانت جالسة على قيد
خطوتين منه ، مزهوة الجمال ، متألقة الحسن ، ترتدي قبعة من القش
الابيض ، وفستانا من قماش السكروته ، وتنتعل في قدميها الصغيرتين
حذاء خفيفا من « الكاوتشوك » استعدادا للرحلة ستقوم بها بعد
ساعة الى اهرامات سقاره على ظهور الابل . وكان أنفها اليوناني
الدقيق يزيد من اشراق وجهها ، وعيناها النجلوان ينبعث منهما
نجر الامل ونور الحياة الباسمة وظل حائر أعجبل فيها النظر ،
يرمقها بعينيه السوداءوين ويشبع نفسه وحسه بصورة حية من صور
جمالها الفتان ، فقد كانت في كل المحافل التي تغشاها قبله الا عين ومحط
الانظار ومهبط القلوب ولكنها كانت منصرفة عنه ، وعن
كل ما يحيط بها من كل جانب ، تطالع مع رفيق لها في كتاب
فتنطق بعض الفاظه في صعوبة ، ثم لا تلبث ان تستغرق في ضحك
عميق ، فتفتتر شفتها عن اسنان لؤلؤية براقه ، ويناو لها رفيقها
سيجارة مصرية فتدخنها في هدوء واستمتاع ، وعيناها لا تزالان

عالتين بالنظر في الصحيفة التي تطالعها . ويتعجب صاحبنا من حالتها ، ويدفعه الفضول الشرقى . . . ان ينظر الى غلاف الكتاب وان يقرأ من عنوانه : كيف تتعلم اللغة المصرية . Self Taught Egyptian فيدرك مغزى استغراقها في الضحك بعد قراءة كل كلمة ، ويجد المجال فسيحاً ليتحدث اليها . فبعد ان ترفع رأسها عن الصحيفة ، تنظر اليه مصادفة لترمقه بنظرة فيها كل معاني الوجد والظما فيتشجع ثم ينطق بهذه الجملة التي يبدأ بها السائحون عادة أحاديثهم :

- ان جو هذه البلاد بديع حقاً !

فتجيبه في بساطة تامة :

- حقاً سيدي

الا انه يردف حديثه الاول قائلاً : لا بد ان سيدتى قد

شغفت بهذه البلاد الى حد انها تريد ان تتعلم لغتها ؟

فتقول :

- أوه سيدي . . . لكم هي جميلة مصر بلادكم وساحرة . . .

بعكس لغتها تماماً . . . اني أجد صعوبة تامة في اظهار مخارج الفاظها

من بين شفتى . . . ألك ان تفضل فتشرح لي شيئاً منها

فيسر صاحبنا لهذه المصادفة الموفقة . . . ويتناول مقعداً الى

جانبها ثم يأخذ في شرح بعض كلمات الكتاب . . . ويتطرق الحديث

بهما الى ان يحدثها عما تذخر به القاهرة - قصبه الشرق والاسلام -

من مظاهر العز الغابر والمجد التالد الذي اسبغ عليها في فترات من
الزمن متفاوتة ...

وتمر فترة سكون قصيرة ، يقبل على أثرها احد التراجعه .
يسير نحوها سيراً حثيثاً . يهرول في قفطانه الفضفاض وعصاه
الغليظة ، وزر طربوشه المغربي يتراوح ذات اليمين وذات الشمال
وبعد ان يرفع يده الى رأسه بالتحية الشرقية ، يحادثهما في لهجة
انجليزيه ركيكه ، فيقول :

- ان السيارة قد اعدت ، والابل عند سفح الهرم تنتظر ...
فلنسرع ان الوقت قد أزف ... !!

فتقوم ومعهما فريق من أبناء جنسها يحملون معهم اشياء شتى :
ادوات للتصوير و « ترمس » المياه ودليل لبعض الاماكن
الاثريه . ثم تحي صاحبنا في ابتسامة ساحرة عذبة وهي تقول :
- اكون سعيدة لو أراك ثانية ... الى الملتقى سيدي ...
اشكرك كل الشكر !!

قضى « عدنان » شطراً طويلاً من عمره في أوروبا متقللاً من
الشمال الى الجنوب ، وصادف في طريقه الوائناً شتى من الجمال الغربي .
فلم تأخذه الروعة ، ولم تغره الفتنة ، ولم تأسره الابتسامة الساحرة
التي اغرته واسرته الساعة ...

لقد عاد الى الوطن منذ اسبوع واحد فقط .. بعد ان مكث

في إنجلترا زهاء اثني عشر عاماً ، نال خلالها شهادات جامعتي لندن
واكسفورد ، ذهب إلى هناك شاباً حدث السن لم تكتمل يفاعته
وها هو يعود إلى ربوعه في أوج الشباب ، ذو وجه مشرق
بسام ، وفتنة تسبي المرأة وتستحوذ على شعورها ، حليق الشارب
متأنق الثياب ، لقد اكسبته الفترة التي قضاها هناك العادات والطباع
السكسونية . . . ! !

وكان والد عدنان .. عظيماً بدوياً، يدعى الحاج راشد، شيخاً
لقبيلة « اولاد حجوج » التي تعيش بالقرب من إحدى القرى
النائية في مديرية الفيوم ، يسط نفوذه وسلطانه على عشرات القبائل
وكلها تدين له وتأتمر بطاعته ، فلما مات - وكان عدنان لا يزال
حدث السن - رأى عمه ان يرسله الى جامعات إنجلترا حتى يعود
اليهم موظفاً كبيراً في الحكومة المصرية ، ونشبت الحرب العالمية
الكبرى وتعذرت عليه العودة الى بلاده ، وكانت الثروة الضخمة
التي تركها له ابوه تساعد على ان يعيش عيشة الرفاهية والترف
في إنجلترا ، فيغشى الاوساط الارستقراطية ، يلعب الجولف
ويحذق « البردج » ويبرع في التجديف وركوب الخيل ، ووضعت
الحرب أوزارها ففكر في العودة الى الوطن إذ كان يشعر نحوه
بشوق وحنين شديد

وكان عدنان قد اعتزم السفر في أمسية هذا اليوم إلى مسقط
رأسه وسط أهله وعشيرته ، بعد هذه الغيبة الطويلة ، ولكن الاقدار ،

والاقدار دائماً!! جرت بان يكون لها نصيب في تغيير خطة اتجاهه.
لقد ذكرت له هذه الامريكية الحسنة التي التقى بها مصادفة في الفندق
هذه الجملة التي لا يزال يردد ها ، يسرني أن أراك ثانية ، وعند ما
قالتها ، كان صوتها عذبا فيه من الرقة والنعومة ما استهوى فؤاده ،
وما جعل الثورة تجتاح نفسه وعاطفته ، وما حدا به الى ان يؤخر
موعد سفره حتى يرى ما سيكون !!

ستقام مساء اليوم حفلة ساهرة ، تعودت ادارة الفندق أن
تقيمها سنويا ، وتتفنن في ضروب المباحج والمراقص لتدخل التسلية
على قلوب نزلائها . أمها لا بد ستحضرها ... سوف يلتقي بها هناك
بل ويراقصها

ويلاه!! ان الفرص تخدمه ، ان « كيوبد » يمهّد الطريق ،
لقد بدأت الاقدار تلعب دورها على « مسرح الحب » !!

الساعة الآن تدق العاشرة مساء

لقد بدأت الحفلة الراقصة « البال ماسكيه »

ففي ردهة فسيحة الارحاء ، قاتمة الالوان ، شيد معبد مصري
قديم صفت في وسطه العمد الشائحات والتماثيل الباهرات ورسمت
على جدرانها الرسوم والنقوش الناطقة بجمال الفن وروعته !!
كانت هناك تماثيل وصور بديعة لها تور آلهة الحب
وحرغيس آلهة الشمس ، وأخرى للعجل ايبس ورع

وامون وفتاح وغيرهم

كانت هناك شخصيات متباينة واجناس مختلفة ، خلع الكل لباسهم وتنكروا شخصيات الفراعنة . فمثلوا عصور مصر القديمة الزاهية من عهد مينا الى بطليموس ومن جنوب النوبة الى شمال الدلتا ها هو هابي مع سبك !! ايزيس تصحب أوزيريس رمسيس يسير الى جانب نيتو كريس . احتمس يتبعه قواد جيشه ، رع الجميل جالس الى ابنه زفس الهه الحكمة . رداس يصحب عائدة عبدة العجل أبيس ، كهنه ايمالك . . . ضيوف في مصر من الحيشين والاشوريين والبابليين . . . الجميع يمجون كبحر خضم زاخر املتهم نشوة النغمات المنبعثة من آلات الموسيقى التي ارتدى ضاربوها ملابس جيش عموناصر ملك الحبشة !!

وعزف « الجاز بند » فهب المدعوون متخاصرين وقد اختلط الحابل بالنابل . وظل صاحبنا يفتش عن فتاته الى ان التقى بها مصادفة وقد بهرتا عظمه العهد الذي مر بمصر خلال تلك العصور الغابرة والتي تلمس آثاره بارزة أمام عينيها وتقدم يطلب يدها للرقص فلم تمنع بل شعرت بقوة خفية تدفعها الى الارتقاء في احضانه . وتراقصا فالتفت الاذرع حول الخصور والصقت الصدور بالصدور . وشعر بانفاسها الحارة تهب على وجهه ممزجة بالهواء وبتيار عنيف يسرى في جسمه فيهز كيانه ويزعزع وجدانه . وأحست هي برفيقها يزداد ضغطا عليها خلال الرقص ، فلم تبال في بادىء الامر

إذ كانت رقصة « التانجو » هي التي تساعد على إثبات هذه الحركات
واوشكت الموسيقى أن تنتهي ، ووقفت رحي الرقص بعد قليل
فحالا ذراعيهما وكل منهما يجيل النظر ويبدى إعجابه بصاحبه ،
ودعاها الى تناول شيء من الشراب . وهناك على أحد مقاعد
البوفيه جلسا يتجاذبان أطراف أحاديث شتى ! !

وخطر له أن يتنزها بعد ذلك قليلا في حديقة الفندق ، فقد
كانت ليلة مغمرة وممتعة حقاً . فنزلا إليها وقد ازدانت أشجارها
بعشرات المصابيح الخافتة اللون ، والنسيم يحرك أطراف الغصون
في هدوء . وصوت الموسيقى يصل إلى آذانها خافتاً . فيحرك
رغبات النفس الفياضة ، وكل ما كان يحيط بهما جمال في جمال ! !
واتكأ على إحدى الأرائك المنتشرة في جوانب الحديقة
وتحت إحدى الحائل الوارفة غصونها . وقد عمل بالمظهر الفاتر
الذي ظهرت به ماري فقد كانت ترتدي فستاناً للسهرة من الحرير
الأسود الموشاة أطرافه بورود أرجوانية ، وتحلى جيداً بعقد من
الؤلؤ زادها جمالاً وفتنة ، وتقى ظهرها وكتفها بشال مزركش من
القطيفة المحلاة برسوم ملونة . واللون الأسود عادة يظهر محاسن
وفتنة المرأة البيضاء ، وكان كل شيء رائقاً لا ينقصه إلا الحب ،
فشعر بالنسيم يهمس في أذنه ، وطبول الموسيقى تدق قائلة : تشجع
تشجع . . . ما أحلى الحب ! ! فجمع اشتات نفسه ثم أقبل عليها
بمحدثها ويقول :

— ماري ... أود أن أعرف شعورك إذا ما صارحتك باتي
معجب بك ... بل وأحبك !!

غير أن وجنتي «ماري» اصطبغت بالحمرة من الخجل طفيفة،
صارت بلون الشفق الباهت ساعة الغروب، ونظرت إليه نظرة
مملوءة بالحيرة والدهشة، ثم نكست رأسها إلى الأرض حياء ...
فعرف أن متابعتها السكوت ان هو إلا إصغاء لاعترافه بما
يقول، فتابع حديثه قائلاً :

— هل أسأت إليك في شيء ...؟ ولكن عليك أن تعلمي
أنني لم أتكلم إلا عن صدق برى. لما في قلبي نحوك
وساد السكون لحظة أخرى في الحديقة، تكلمت ماري على
أثرها في لهجة رقيقة عذبة، فقالت :

— وما يدريك اتني لم أحبيك أنا الاخرى منذ أول لحظة
حادثتني فيها ... اتني أحب الشرق ... بل أعبد ... لقد أحبتك
لأنك صورة الشرق الممثل في ذهني منذ الحداثة، والذي جذبني
اسمه من أقاصي المعمورة ...

فتنهد عدنان ملء أنفاسه ثم بسط ذراعيه بسطة الآمل
المستبشر بينما القت بنفسها على صدره. وهمت عصفورة كانت
على الشجرة في أذن أختها، ثم حلقا فوقهما تغردان وتتناجيان،
وراح القمر يتوسط كبد السماء، ينفذ اليهما ضوءه من خلال
الاعضان، باسطاً عليهما ثوبه الأبيض ...

في رفاص إلى «القناطر الخيرية» ، وفي صباح ذات يوم صحو
 عليل من أيام الآحاد، ذهبت مارى برفقة عدنان ، وكانت الشمس
 تحمر اذ ذاك عن وجهها نقاب الظليل ، ومنظر النيل والحقول
 الضاحكة التي تحيط بالشاطئ من كل جانب ، تهمس في المشاعر
 بان الله جميل يحب الجمال .

هاهو النهر السحري الذي حول الصحراء القاحلة الى رياض
 غناء ، والذي قدس بالامس موسى مياهه يوم ان حملته الى قصر
 عزيز مصر

ويأخذ الرفاص يشق بهما طريقه وسط الماء، وتتكى مارى على
 صدر عدنان وقد وقفت في مقدمة الرفاص تتابع جريان الماء . فكانا
 كما وقف بالامس مارك انطوان وكيلوباترا في طريقهما الى فردوس
 الحب المنشود

ويجلس البحار النوبي يشجيهما بصوته الرفيع ، تلك الاغنية
 القومية التي ظلت مقخرة الاجيال الغابرة والحاضرة ، والتي مطلعها
 « ان كل من يشرب ماء النيل لا بد ان يعود اليه » .

وتبتهج مارى بمنظر هذا الوحش الآدمي، في جسمه الاسود
 ورداء المرقط بنقط بيض كالنجوم ، فترمى اليه بقطعة فضية من
 النقود إعجابا به ، فيتناولها ويشكرها في لهجة انجليزية صحيحة ،
 فتدهش . عجباً ! أيتكلم هذا المارد الاسود لغة أبناء التأمير ! ؟

ولكنه يذكرك لها أنه قضى نحو ثلاثين عاماً بحاراً بشركة «سياحات كوك» ثم يسألها عما إذا كان يسرها أن يغنى لها شيئاً بالانجليزية، فتجيبه في حماس: نعم... نعم... يسرني أن أسمع هذا !
فيبدأ ينشد ما معناه: « أن الشمس اليوم زاهية والورود في الحدائق تردد غناء العصفير، أن الطبيعة ساحرة ولكن لا يشعر بسحرها إلا المحبون... ما الحب إلا هتاف العاطفة الروحانية وسر أحلام السعادة المقدسة المرضية ».

وبصل الرفاص إلى القناطر الخيرية، فيشاهدان هناك خزانات الماء والبوابات الضخمة المقامة على النيل لحفظ مياه الري ويركان عربة الترولى، ويدفعها أحد العمال الوطنيين بساعده القوى فتجرى بسرعة على الشريط، ويشرفان على منظر النيل والحدائق الغناء التي تحوطه من كل جانب فتدهش ماري وتقول: — إلى جانب عظمة بلادكم التاريخية تشاد أكبر الأعمال الهندسية في العالم، حقاً أن مصر لساحرة، بأهراماتها ودور عادياتها ولطف أهلها، إنه فيض من الاحساس عميق لا يستطيع المرء أن يتجاهله. فيسألها عدنان قائلاً: والصحراء؟

فتقول: اتى أحسن جهدى الى رؤيتها... ان سحر اسمها جذبني اليها من أقصى الاقطار، ليتنى أقضى فترة طويلة من حياتي بين نخيلها ورمالها.. ليتنى أظل فيك أبد الدهر يا مصر، منبع المدينيات الخالدة ومجمع الحضارات الازلية.

وهنا يحدثها عدنان عن نشأته بين أحضان الصحراء وأكناف
الواحة ، وبالرغم من أنه مكث في أوربا طول هذه الفترة ، فقد
جذبه سحر بلاده إلى أن يعود ثانية إليها ، سوف يرتدى ملابس
أجداده البدوية ويخلع الزي الافرنجى ، يركب الخيل والابل
ويلعب السيف والمرمح ، ينبذ الخمر والرقص والسيارات ليحتضن
حياة الصحراء الخشنة .. ان قبيلته في حاجة قصوى اليه ليرأسها ،
فعمه قد أصبح شيخا طاعنا في السن ولا يمكنه ان يتزعم القبيلة
بعد اليوم .

وتكون عربة الترولى قد وصلت بهما حينئذ إلى المتحف
الواقع وسط حدائق القناطر ... فيشاهدان هناك نماذج مصغرة
للمشيدات الهندسية المقامة على النيل ، ويقصدان عقب هذا إلى
« البوفيه » الواقع على الرتبة المشرفة على بلدة القناطر ليتناولوا طعام
الغدا .

وتأذن ساعة الرحيل ، بعد نزهة خلوية بديعة ، فيأمر عدنان
البحار النوبى أن يهيئ الرفاص للعودة سريعا إلى القاهرة ، فان
الشمس اخذت ترنو نحو الغروب بعد ان مال ميزانها ، في حين
اصطبغ لون الشفق بحمرة قانية ، وترى قرصها المتورد النارى يسقط
كالهيب رويدا رويدا في النيل ، فتتلون مياه النيل بظله ، حتى صار
وكأنه بحر في دماء . وترمى ببصرها في الفضاء ويستولى عليها
الاعجاب ، وتأخذها نشوة المنظر الساحر ، منظر النيل ساعة

الغروب . . . فتتيه في حلم مروع عميق ، لا تصحو منه إلا وقد وقف الرفاص امام مرساه « بقصر النيل » .

ويتعدد ذهابها عقب هذا برفقة عدنان ، إلى أعلام القاهرة ومشاهدها ، فيقصدان إلى الازهر وإلى مساجد السلطان حسن والرفاعي وقلاوون وتكايما المولوية ويشاهدان المتحف الفرعوني وبقية دور العاديات والكنائس الاثرية ومقابر الخلفاء والقلعة وخان الخليلي . . . ذلك السوق الشرقي الذي لا يذكره السائحون إلا ويذكرون معروضاته الثمينة وتحفه الغالية .

وهكذا ظلت الايام تمر بهما سراعا كما يمر شريط الخيالة ، محتضنهما جو القاهرة الساحر في الشتاء ، وتبعث فيهما حرارة الحب حياة سعيدة باسمه . . .

في ذات ليلة ، فيما كان عدنان مع ماري في بهو الفندق ، يتجاذبان اطراف احاديث شتى ، اذ غشى البهو ، شاب هندي طويل القامة ، وسيم الطلعة ، ذو عينان براقتان كلما اسود ، وشعر فاحم ، يضع على رأسه العمامة القومية لبلاده ، تصحبه فتاة أوربية ساحرة الجمال ، شقراء الشعر ، لفتت الانظار ، بثوبها الزبرجدي المزركش ، وما أن وقعت عين عدنان على الشاب ، حتى قام مسرعا وتقدم نحوه يحييه في شوق وحرارة ، وبعد ان تحدثا برهة قصيرة ، قدمه الى ماري وهو يقول :

— زميلي في جامعة اكسفورد ، « صديق صاحب » ، نجل
أحد نواب الهنود البارزين ، جاء مصر لقضاء شهر العسل مع
عروسه الفرنسية .

وقدم الشاب الهندي زوجته اليها ، ثم جلسوا يتحدثون عن
ارض الفراغة وما تفيض به من شتى الآثار الخالدة ، التي ظلت
مفخرة الدهر

وتكلم « صديق صاحب » فذكر أنه سيقوم بسياحة الى
الوجه القبلى فى مساء الغد ، قاصدا اسوان وبعد تمضية اسبوع
هناك ، يزايها الى الاقصر فى باخرة بالنيل ، ويزور خلال هذا
المعابد والهياكل المنتشرة ما بين ادفو وكوم امبو واسنا . الى ان
قال لعنان ، انه يكون سعيداً لو يرافقه ومعه صديقه ماري ،
فانهم يستفيدون جميعاً ولا شك من معلوماته التاريخية عن آثار
بلادهم .

وابتهجت ماري لهذا ابتهاجا شديداً ، وعند ما سألتها عدنان
عن رأيها ، اجابت قائلة :

— نعم يسرنى أن أقوم بهذه السياحة الجميلة . . .

فى مساء اليوم التالى استقل الجميع القطار الى اسوان ، وكان
الجو باردا قليلا ، فبعد تناول طعام العشاء ، آووا الى مضاجعهم
بعربة النوم .

واستيقظت ماري في صبيحة اليوم التالي ، والقطار ينهب
الأرض بهم بعد محطة أسيوط ، وأخذت تزيح بيدها ستار عربة
النوم قليلا ، لتتأمل من خلال زجاج العربة الأزرق السميك ، فإذا
أشعة الشمس القرمزية تدخل من النافذة وتختلط بزجاجها الملون ،
ويكون كلون قوس قزح جميل ، أخذ يطرد النعاس عن العيون
ووقف القطار في ظهر اليوم التالي لمغادرتهم القاهرة ، عند محطة
أسوان ، فيخاطبهم عدنان قائلا :

— هاهي أسوان ... فلنستعد !

وأخذ الحمالون في نقل حقائبهم ، الى حيث تنتظرهم سيارة
فندق كتاراكت ، وتخرق السيارة بهم شوارع مدينة الشتاء ،
وتعجب ماري وهي تستقبل الجو القرمزي الدافئ فتسأل في
ابتهاج :

— أحقا نحن الآن في سيلين الجميلة ؟ لكم أنا سعيدة بهذا ...

فيجيبها عدنان قائلا :

— نعم ... نحن الآن في أسوان ، البلد الذي لا يعرف أهله
المعاطف في الشتاء ، ولا ارتدء الاصواف في كل فصول السنة . .
والتي يقصدها في كل عام مئات الناس ، من كافة شعوب العالم ،
ينعمون بالهدوء والسكينة . هنا يأتي المصدرون طلبا للشفاء ، فلا
يلبثون أسابيع حتى ينالوا هذا الشفاء . أو بعضه ، ويأتي المصابون
بالروماتزم واللمباجو ، يطعمون أقدامهم وأجسامهم في الرمال ،

فلا تمر عدة أيام حتي تكون رمال الصحراء قد استأصلت مكان
الداء من مفاصلهم وأبدانهم، فالشمس هنا تظهر كل شيء، حتي النفس
من الألم !

وتسكون السيارة وقفت بهم إذ ذاك أمام مدخل فندق
كثاراكت، الواقع على حافة النيل وفوق الرتبة المرتفعة، المحاطة
بأشجار النخيل، وحدائق البلدية . فيقصد كل منهم غرفته،
ليأخذ حماماً ساخناً يزيل به غبار السفر، ثم يستبدلون ملابسهم،
ويتلاقون في قاعة الطعام، لتناول الغذاء .

ويجلسون في الشرفة المطلة على النيل والجنادل المبعثرة في
عرض النهر، وأمامهم الخزان وقصر أنس الوجود وبضع جزر
صغيرة هنا وهناك .

وتقترح عروس الشاب الهندي أن يتنزهوا قليلاً بالقوارب،
في النيل فينزلون من درج الفندق الى حيث تكون عشرات
القوارب الخفيفة ناشرة شراعها الأبيض الناصع في الجو كجناح
العنقاء، يقف أمامها البحارة النوبيون في قفائهم الزاهية .

ويأخذ القارب الصغير يندفع بهم بين الصخور السوداء النائية
في مجرى النهر، كوحوش رابضة تجاه الخزان — مصدر حياة
الوادي — كأنها تحرسه وتقيه شر العيون والابصار .

ويعرون بحزر صغيرة شتى، تقوم وسطها بضعة قصور وحدائق
غناء، هي مشاتي يلجأ اليها بعض الاغنياء، حيث ينعمون بالدفا

والهدوء شهر أو أكثر من شهور السنة، على حين تترأى عن بعد
قبة « على ابن الهواة » القبر العجيب المشيد فوق قمة الجبل، والذي
يطل على أسوان والصحارى والنجوع المحيطة بها، تنظر إليه عن
بعد فيتمثل فيه معنى من معانى الجلال والجلود.

يعود القارب بعد هذا، الى حيث يقصدون الى حمام كيلوباترا
وجزيرة السردار، ويأخذ البحارة النوبيون فى الغناء بأصواتهم
الضعيفة الفاترة، والمجازيف تتحرك فى بطء وسكون، ويبدأ
رئيسهم ينشد قائلاً :

بالك مع مين يا شاغل بالي
فيردد البحارة غناؤه، ويكون منظرًا يجمع الى متعة الحس
والشعور.

ها قد وقف القارب أمام فيلى الساحرة، وهما هو معبد انس
الوجود، يبدو حزينًا عابسًا فى جسمه الشاحب الغارق فى المياه،
لا يبدو منه الا رأسه المكمل بالشيب.... يتلفت فى حيرة صامتة
عن منقذ مجهول، ويحاول ان يرفع جبينه الباهت المتوج بزهرات
اللوئس من بين الامواج المتلاطمة، وعيناه المبلتان بالدموع، تكادا
تتحدثان فى صمت مروع، ما أظلم الانسان وما أشد جحود أبناء
هذا الجيل! تركوا المعبد الفخم الذى كانت أجدادهم
يمجدون فيه بالأمس، الاسماء المقدسة : هاتور وافروديت
وهارندرتس، تركوه ضحية للخزان، ولجشع أمواج النهر التى

تلاطم جدرانها وأروقته في عنف وقوة ، وتسمع لها أصواتاً مروعة ،
كأنها أنفاس الزمن وهممة آلاف السنين ...

وتكون الشمس اذ ذاك ، قد أخذت تميل نحو الغروب ، وتنظر
الى بقايا الاشعة الغاربة ، فاذا بها تتساقط كالتيهر من فوق قبة
«على ابن الهواء» وقد اختلطت برمال الربوة المرتفعة ، فظهرت
ككومة رجراجة من فضة وذهب ...

سكون . سكون . سكون .

الشمس تغرب في هدوء وسلام ، تشيعها الاماني والاحلام
الى حيث ترقد وراء جبال العوبة الشاهقة ، والقارب يسير بهم في
بطء ، وينساب كالافعى بين الجزر

لاشئ . يشوب صفو هذا المشتى الجميل ، غير اصوات المياه
المتلاطمة ، تتدفق فوارة كالزبد من عيون خزان اسوان المائة
والثمانين ، وماعدا هذا فوحشة وسكون يلجأ اليه الجسم ، ليستعيد
فتوته ونشاطه .

يصل عدنان الى الفندق بعد هذه النهضة النيلية البديعة ،
ويصعدون الى الشرفة لتناول الشاي ، وتكون الشرفة اذ ذاك
خليطاً من سواح امريكيين والمانيين وبضعة موظفين انجليز بالحكومة
المصرية او السودانية ، تراهم يجلسون في هدوء وصمت ، على مقاعد
مريحة ، يخلقون بابصارهم بعيداً في الفضاء ، واذا تحدثوا فباصوات

خافته ، كأنهم يخشون ان يعكروا صفو هذا السكون الذى يحيط
بهم . وترى خدم الفندق النوبيين ، فى عمامتهم وملابسهم البيضاء ،
يتوسطها حزام أحمر اللون ، وهم فى حركة دائمة ، يمدون أيديهم
الرفيعة باقداح الشاي ، واذا تحدثوا اليك ، فسرعان ما تلمع أسنانهم
البيضاء وتضحك من بين وجوههم النحيلة الملساء .

الوقت بعد الغروب بقليل ، وقد ظهرت السماء سنجابية
اللون ، هادئة كصفحة النهر ، والبدر فى مستهله ، يبدو كنصف
برتقالة ، لا تسمع من « تراس كتاراكت » الا همسا ، وسيدات
أورجال ، استلقوا باجسامهم المتعبة المريضة على مقاعد طويلة من
القش الاسمر ، واسندوا رؤوسهم الى حافتيها ، ثم حلقوا بعيونهم
فى القبة الزرقاء التى بدت وقتئذ مرصعة بالنجوم ، يحاولون حقيقة
هذا الوجود ، بينما انتشر البعض الآخر فى حدائق الفندق ،
ينعمون بجلال الطبيعة الصامتة ويحاولون كشف النقاب عن
أسرارها الرهيبة .

ويقطع جبل هذا الهدوء ، جلبة واصوات ، فان بعض الرجال
الحمالين ، يستعدون لنقل البيانو وادوات الاوركسترا الى الشرفة ،
حيث حولت « موسيقى المساء » الساحرة ، هذا السكون الى
مرقص تغمره الاضواء والضوضاء .

فى صبيحة اليوم التالى يلتقى عدنان بمارى وبصديقه الهندى

وعروسه في قاعة الطعام، وبعد أن يتناولوا طعام الفطور، يرسم لهم
عدنان برنامج اليوم، فيقول: سنزور أولاً متحف الآثار ومقياس
النيل ومقابر العجول المقدسة والبربا، أما بعد الظهر، فسوف
نركب الحمير أو الخيل، لنزور الخزان ومحطة الشلال.

وتبدو اذ ذاك إحدى بواخر شركة كوك النيلية في عرض
النهر، وبعد أن تلتقي بمرسأها على الشاطئ الشرقي، ينزل منها
عشرات السائحين الأمريكيين في قبعاتهم البيضاء، يرافق كل جماعة
أحد التراجمة، إلى حيث يستقلون القوارب الخفيفة إلى الشاطئ،
الآخر، ويبدو بعض الغلمان في قوارب صغيرة مصنوعة من الصفيح،
لا يستر أبدانهم شيئاً، يجذفون بأذرعهم ويقربون في خفة وسرعة،
إلى حيث تكون قوارب السياح قد انتشرت على صفحة النهر، ثم
يمدون إليهم أيديهم القصيرة السوداء صائحين: «بقشيش، بقشيش»

— سيدتي خذي سارة برنار .

— لا ... لا ... وخير لك أن تربي هذه الناقة، المزدان
عنقها بقلائد من خرز ملون وودع أزرق .. ما اسمها أيها الصبي ؟
— جريتا جاربو أنها تعدو بمعدل عشرين ميلاً في الساعة !
— اما انا فسأركب هذا الحمار الحماوى ... الموشى سرجه
باجراس صغيرة مذهبة ما اسم هذا الحمار ؟
— برنارد شو

- وهذا ؟

- شارلى شابلن

وهكذا يحلوا لصحاب الحير والابل فى اسوان ان يطلقوا اسماء
عظماء العالم وأرباب الفن على حيواناتهم ، وان يقدموها الى
السياح فى اسمائها الظريفة ليمتطوها الى حيث يزورون
المعالم والآثار الراقدة فى بطن الوادى عند سفح جبال ليبيا .
وكانت مارى مبهجة بهذه الرحلة القصيرة أشد الابتهاج ،
وهى تمتطى ظهر «جريتينا جاربو» ، والمكارى الصغير الاسمر ،
يجرى وراءها ويستحثها فى العدو ، بعصار رفيعة فى يده .

وذهبوا بعد الظهر الى «الناشينال بازار» السوق الوطنى ، واشترى
الشاب الهندى لزوجته ، كميات من الاقشة الشرقية المزركشة
وبيض النعام ، كما ابتاع لنفسه بضع أسلحة أثرية ، اما مارى ففضلت
ان تشتري تماسيح صغيرة مخنطة !

واذا جاء المساء فى اسوان ، خاصة فى الفنادق ، تحول سكون
النهار وصمته الى حركة ونشاط دائم ، فان بعض الاجانب
وكبار الموظفين ، يأوون الى أركان القاعات الفسيحة فى الفنادق ،
حيث تشع الانوار ، وتبدو الامريكيات فى أثواب السهرة البديعة ،
يتحدثن عن جمال الجو او يرقصن على نغمات الجاز بند . . . وتأخذ
هذه الاجساد المتعبة من جراء رحلات النهار ، تريح أعصابها
الفاترة على نغمات الموسيقى الهادئة .

وفي كتاراكت ، تغشى الابهاء والصالونات ، و كأنك في أحد
المعابد الفرعونية ، فستأثر النوافذ والابواب ، تظهر وعليها الرسوم
والنقوش الاثرية الدقيقة الصنع ، يعلوها تاجا ايزيس وايزوريس ،
يظللان بجناحيهما محكمة العدل المؤلفة من أربعين قاضياً ، في
صورة وحوش وطيور مفترسة ، والجدران مزينة برسوم ملوك
وملكات الفراعنة ، قبضوا بأيديهم على صولجان الملك ، ويعلو
جبينهم تاج مصر العليا .

- وهل تغادر اسوان دون ان تأخذ حمامات شمس ؟
- يمكنك ان تأخذها ونحن على ظهر الباخرة ، سوف نبحر
في الغد الى الاقصر مع جماعات شركة «كوك»
وجاء ظهر الغد وأقلعت الباخرة «سودان» وعليها ماري
وعدنان وصديقه الهندي وزوجته الفرنسية، وبعدان زاروا البرابي
والهياكل الواقعة بكم امبو وادفو واسنا ، أخذت الباخرة طريقها
الى الاقصر ، تتهادى في سيرها بالنيل كالعروس الغاتنة ، وأخذ
جمال الجو الدافئ وسحره ، يدفع عن نفوس راكبيها تشابه الصور
والمناظر التي يمرون بها ، حتى أخذت الساعات تذهب في أثر
الساعات ، ولا يحسون بضجر او ملل ، الى ان وقفت «سودان»
ليلاً وبعد مسيرة أربعة أيام على الشاطئ . الشرق لمدينة الاقصر
تجاه فندق «وتربالاس» .

واستيقظوا في صبيحة اليوم التالي مبكرين ، وبعد تناول طعام
الافطار استقلوا الزوارق الخفيفة ، وعبروا النيل الذي يصل
الحاضر بالماضي ، ويربط ما بين طيبة الاحياء حيث تجري الحياة وتقوم
مدينة لقصور ، الى طيبة الاموات ، حيث ترقد موميات الفراعنة في
عزلة مخيفة ، بعيدة عن ضجة الحياة ، وحيث يخلد الجسم بعد الموت
الى الراحة والسكون ...

وكانت عربات « الساند كار » ذات العجلات العريضة في
انتظارهم لتحملهم الى « وادي الملوك » ، وأخذت العربات تتجاز بهم
الحقول والنجوع المنتشرة في بطن الوادي ، وأنظارهم تقع من آن
لاخر ، على نساء وطنيات مدثرات في ملابسات قاتمة اللون ، يسرن
في كبرياء وأنفة فرعونية ، وأخذ الطريق يضيق أمامهم ، والشمس
ترسأهم شواظاً من لهب ، الى أن ظهر عن بعد « وادي الملوك » في
عظمة وأبهة ملوكية ، وقد اكتظت ساحته بمئات الزائرين من
السياح الاجانب ، يرافق كل جماعة منهم ، دليل عربي في ملابسه
المفضضة ...

يا جلال الخلود ! هنا تقف العين حائرة مبهوتة ، ماهذه المقابر
بل ماهذه القصور المنقورة في الصخر ، شقت من وسط الجبال في
جوف الصحراء الصامتة وحفرت في باطن الارض ، تخدها أصحابها
ملجأ من العيب والفناء ! تنزل اليها فتشعر بصمت طويل يملأ
القلب روعة وجلالا ، وتقف أمام هذه الجدران ، نقشت عليها

بحروف هيروغليفية طلاسيم ورموز وصور تمثل طقوس العبادات
الجنائزية ، فيتضاءل الاعجاب أمام هذه التحف الفنية الخالدة ،
التي لم يغير مرور الزمن من ألونها وبهائها ، بتأثيل ولوحات ، ورفائيل
وميشيل انجلو واوردن وجاكوب ابستين وغيرهم من فناني المدينة
الحاضرة .

يقصدون اولاً الى مقبرة توت عنخ آمون ، الملك الشاب الذي
أخذ من قرص الشمس رمزاً للاله ، ينزلون اليها بواسطة درج
خشبي ، يتقدمهم الدليل ، الى ان يقف بهم أمام التابوت الذي
يضم مومياء الملك ، تشع في جوانب المقبرة انوار الكهراء ، حيث
تمتزع مخترعات القرن العشرين بمدينة قدماء المصريين ، ويأخذ الدليل
في الكلام فيقول :

— هنا كانت تحفظ ملابس الملك ومتاعه وعرباته الخربية التي
خلدت انتصاراته الباهرة ومجدت اسمه على ممر السنين ، وهنا وجد
طعامه كأنه لم يفرغ منه إلا بالامس القريب ، وهنا عثر على بعض
الزهور وباقات الورود ، ظلت حافظة لرونقها وألوانها ، من يوم
أن قطفها البستاني من حدائق طيبة

انصتوا الى ما يقوله الدليل ، ثم حدقوا بعيونهم ملياً ، في
النقوش الزاهية التي تزين جدران المقبرة ، والى التابوت الذي
ترقد فيه جثة الملك الشاب ، يكاد يتحدث اليهم في صمته ، عن سر
الموت والخلود

وقفت العقول حائرة مشدوهة ، ورفرف قلب عدنان في صدره واهتز طربا ، امام هذا الجلال الصامت الذى تظامن له جبين الدهر ، خلفه الجدود الذى حكموا مصر والشرق آلاف السنين ، وبعثوا المدنية من مرقدها على حين كانت اوربا تغط في ظلمات الجهالة ووراثات القرون ، خلفوها الى ابنائهم لتكون رمزا لماضى وعظة للحاضر وایمانا بالمستقبل .

ظلت مارى تحقق النظر فى شراة الى الصور والرسوم المحفورة فى الصخر ، تكاد تنطق لدقتها وزهاء الوانها ، وتمثل طقوس العبادات من صلاة وتقديم قرابين ودفن موتى ، الى جانبها صور أخرى تمثل الحياة فى مصر الغابرة ، وتنظر الى المرأة الفرعونية فى وقفتها الشائخة وزينتها البسيطة ، فلا تلبث ان تذكر شعر « موريه » فى وصف الجمال الفرعونى :

« شعر أسود أشد فحة من ظلمة الليل ، وأسنان بيضاء تضى الوجه كاللآلى ، وقوام رشيق ضامر ، وصدر ضيق بارز ، وثدى كالكمثرى الناضجة »

ويغادرون مقبرة توت عنخ آمون الى مقابر سيتى وامنحوتب ورمسيس وغيرها من المقابر المنقورة فى بطن الوادى ، يرقد بداخلها ملوك مصر رقدتهم الابدية ، مولين وجوههم شطر أهمهم الشمس ، يرقبون آمون الاله حيث يتربع على عرشه العظيم ، ليطوف بهم فى قاربه البحيرة المقدسة قبل ان يحملهم الى الشاطئ الآخر حيث

هجرة الموت وخلود الجسم في جوف الجبال .

وتنتهى زيارة وادى الملوك بعد ساعتين تقريبا ، فيستقلون عربات السندكار الى وادى الملكات ، وبعد مسيرة نحو ميلين ، تبدو « بيبان الحريم » حيث ترقد ملكات مصر في عزلة عن أزواجهن ، يفحص حارس المقابر تذاكر الدخول ، ثم يقودهم أولا الى مقبرة نفر تارى ، الملكة الشابة ذات الحدود الوردية ، ينزلون اليها في سراديب ودهاليز محفورة تحت الارض ، يتقدمهم الدليل ليضىء بشعله جوانب المقبرة الخالكة السواد ، ثم يزورون بعدها مقبرة حتشبسوت ، الملكة الخليعة الساحرة ، التى تزوجت من أخيها تحتمس الثالث ، واتخذت من جمالها وشبابها ، وسيلة لاغراء الرجال ، وشيدت المعابد والهياكل ومحت اسم زوجها من التماثيل والاماكن المقدسة لتضع اسمها ، وكانت اول امرأة فى العالم طالبت بحقوق بنات جنسها ومساواتهن بالرجال . فلما ماتت وكانت فى شرح شبابها ، محازوجها اسمها من كافة المعابد انتقاما منها ، ورسمها على جدارن الكرنك امام امون الاله ، وهى فى موقف متبذل ، تقدم اليه الشهوة والرجس .

وتحين ساعة الغذاء فيقصدون الى « استراحة كوك » فى بطن الوادى ، تشرف عليها قصور ومساكن العلماء الاوربيين المشتغلين بالحفريات الحديثة . يزورون بعد الظهر الدير البحرى ، حيث شيدت حتشبسوت معبدها الفخم ذا المائة غرفة ، ويكون العمال

الوطنيون يشتغلون اذ ذاك في حمل الاحجار وترميم بعض اجزاء
المعبد وهم في وهج الشمس وحرارتها ، يشرف عليهم بعض موظفي
مصلحة الآثار المصرية ، تنظر ماري اليهم والى النصب الذي
يلاقونه ، فتخاطب عدنان قائلة :

— لقد كتب على نسل الفراعنة أن يكونوا عبيداً ضعفاء أبد
الدهر ، فهام أبناءهم من سكان هذه المناطق ، يحملون الاحجار
الثقيلة في وهج الشمس ويرمون بها ما أفسده الزمن من المعابد
والآثار التي شيدها أجدادهم .

وتنتهي زيارة معبد الدير البحري فيذهبون بعدها الى مدينة
هابو ، ذات الابواب الضخمة ، تقوم وسط الصحراء الصامتة
كاقلاع المحصنة ، فالى الممسسيوم ، حيث اندثر المعبد الجنائزي
الذي شاده امنحوتب الثالث ، يقف بياحه تمثالا ممنون في ارتفاعهما
الشامخ . منذ أجيال والحضارات البشرية ، تسير الواحدة في أثر
الآخرى ، وتمثالا ممنون يقفان في وجه الزمان ، ويبعثان الى النفوس
غصة الشجي ، على المعبد الفخم الذي كانا يحرسانه ، فولى منهما
فراراً ، واكتسحته مياه الفيضان .

ويقصدون في اليوم التالي الى معابد الاقصر والكرنك ،
حيث شيدت المقاصير المقدسة لفتاح وأمون وأييس وخونسو
وسيتوس ، وطريق السكباش أمامهم حيث صفت على الجانبين ،
تماثيل حجرية رابضة في الرمال ، لها وجه انسان وجسم أسد ،

لتجمع بين قوة العقل وقوة الجسم ، يتفقدون غرف المعبد ، واحدة
فواحدة ، فهذه غرف العبادات الجنائزية وتلك غرف التحنيط ، يحنط
فيها جسم الميت قبل أن يحمله امون اله طيبة ، في قاربه المقدس الى
الشاطئ . الغربى . وفى ساحة المعبد ، عشرات الاعمدة الضخمة ،
تعلوها زهرات اللوتس ، بعضها قد تفتحت أوراقها فى ضوء الشمس
والاخرى لا تزال مغلقة ، بينما تقوم مسلة الكرنك فى ارتفاعها
الشامخ ، تكاد تناطح السحاب .

عشرة أيام مرت وهم يمرحون فى جو الاقصر الدافئ ، وأخيراً
وأى عدنان أن يعود ومارى الى القاهرة ، بعد أن ودع صديقه الهندى
وعروسه الفرنسية ودعاها الى زيارته فى الواحة ، لتمضية بضعة أيام .

وتتوالى الرسائل على عدنان من زعماء قبيلته بضرورة أوبته
عاجلاً ، فيخبر مارى بهذا ، فتزعج وتقلص عضلات وجهها ،
وتروح حمرة خديها تغور شيئاً فشيئاً ، لقد ارتبطت معه بوشيجة
من سحر العاطفة ونبيلها فهى لا تود الانفصام عنه أبداً ، انها تحبه
وتهواه ولا تجد غضاضة فى ان تلحق به الى أية بقعة يشاء
ويكتب عدنان الى أهله كتاباً يعلنهم فيه عن موعد وصوله ،
وفى عصر اليوم التالى كانا يعدان عدتهما للرحيل ، ثم يأخذان
ميازة تنهب الارض بهما نهياً ، عن طريق الاهرامات وليبيا
الغربية ، الى ان يشاهدا عن بعد أنوار المدينة الراقدة فى جوف

الصحراء « مدينة الفيوم » ، ويقصدا الى « فندق النخيل » المشرف
على البحيرة الساحرة « بركة قارون » .

وأشرقت الشمس في صبيحة اليوم التالى عن هذه الصحراء
القاحلة المملوءة بالمفاوز والفجوات ، ومارى تعلى ظهر بعير برفقة
قافلة وجهتها الواحات الداخلة ، تستقبل الصحراء بجلاها وصمتها .
ولاول مرة ، كان يبدو منظر الصحراء لهذه الامريكية
الحسنة ، كشيء مخيف مرعب ، تنخلع له أشجع القلوب وأشدّها
بأساً ، بقاع ووهاد شاسعة ظهرت كرقعة هائلة صفراء لا نهاية لها ،
وشمس ترسل شواظاً من نار فتلهب الرمال تحت تأثير حرارتها ،
ورياح تصفر بشدة وتلع تحت ضوء الشمس العظيمة . ولكن هؤلاء
الرجال الذين كانوا يتقدمون الركب الملقين بآبناء البادية فقلما كانوا
يأبهون لهذه المناظر التى ألفوها ، ان كل ذرة من الرمال تعرف
مواقع أقدامهم وحوافر جيادهم

وظلت الجياد والابل تنفّس بانقطاع وتكد تلهث من شدة
التعب ، والسراب يهياً للعين ان كل شيء على مقربة منها . يتقدمها
جواد عربى أصيل ، على ظهره سرج موشاة أطرافه بالفضة ، وحول
عنقه جلاجل ذهبية تسمع لصوتها رنيناً موسيقياً عذباً ، يعلى صهوته
شاب أسمر ، لوحت شمس الصحراء المحرقة وجهه ، وقد تدثر
بعباءة صفراء اللون تدلت أطرافها على ظهر الجواد الادمى ، كان
هذا الشاب عادل أخو عدنان والذي يصغره بأعوام ثلاث ، ومهيب

الريح اذ ذاك صرصر آعائية فتقف القافلة لتحتوي وراء احدى
الصخور الرابضة ، اذ أنهم لو واجهوها لدفتهم في الرمال ، فرواد
الصحارى يعرفون كم من قوافل راحت ضحية هذه الزوابع التي
تهب في مواسم معينة من السنة ، وتمر برهة طويلة كانت ماري
خلالها خائفة وجلة ، منقبضة الصدر ، وتنفض الزوبعة على أثرها ،
ثم تتابع القافلة سيرها ، وجيادها تسير في مفاوز ومنحنيات وتتحول
الى دروب وانفراجات ، الى ان يشرفوا عن بعد على مساكن
قبيلة « أولاد حجوج » الراقدة بين الاشجار الباسقة والنخيل
الذي يكتنف الواحة ، يكاد يعانق في ارتفاعه نجوم السماء ، وخيامها
وبيوتها التي من الطين او الشعر مبعثرة هنا وهناك في بطن الوادي
يصل عدنان الى مسقط رأسه بعد هذه الغيبة الطويلة التي
طال مداها ، برفقته ماري وأخواه عادل وتبارك وخادمه بلال ،
ويستقبله افراد القبيلة استقبالا شائقا ، وتنحرف الذبائح وتقام معالم
الافراح ابتهاجا بمقدمه ، ويترا كض فرسان البدو على ظهور الخيل
والهجن ، وتدوى من أفواه بنادقهم أصوات الطلقات النارية في
الفضاء اعلانا بتشريف سيد القبيلة ومولاها الجديد ، ويتوافد مشايخ
القبائل ورؤساء العشائر المجاورة ، لزيارته زرافات ووحدانا ، يحمل
كل منهم اليه هدية تناسب قدره ،

وأقيمت في المساء حفلة قومية على ضوء المشاعل ، سمعت
فيها ماري لأول مرة الغناء العربي ، والرقص الوطني من فتيات

الاعراب ، المصحوب بالضرب على الدفوف والنقر على الطبول ،
ويرتفع صوت أحد رجال القبيلة الاقوياء ، يشجيههم بصوته الجهورى
الساحر ، مقطوعة شعرية جميلة في وصف الواحة ، لشاعر حديث فيقول :

انا الواحة المجهول بدء طريقها

تسر الى الشمس نجوى شروقها

وتمحنى فى الغرب كأس غبوقها

وتلقى على الزهر معنى بريقها

وتأسرنى الاحلام مثل عشيقها

لكنما الصحراء تدفن قاصدى وتفسد حبات الرمال موائدى

وظلت مارى فترة طويلة ، كانت خلالها موضع كل حفاوة
واكرام من رجال القبائل والعشائر ، وفنتت بهذه المظاهر الباهرة
وبعلو شأن صاحبها بين بنى قومه ، بما زاد حبها واعجابها به ،
وما دفعها الى ان تصمم على هجر المدينة الاوربية ، لتعيش الى جانبه
فى اكناف الواحة ، وهى الفتاة العصرية التى حصلت منذ عام واحد
فقط على دبلوم طب المناطق الحارة من جامعة كاليفورنيا . وتكتب
الى اهلها ، كتابا فخواه انها تعيش الآن فى الصحراء لتدرس احوال
ساكنيه وطبائهم ، فانهم يعرفون عنها منذ الصغر شغفها بالشرق
وتقدسها لاسراره وروحانيته . . .

وعاشت ماري في الصحراء وبين اكثاف الواحة ، ترعى النجوم
في الليل وتقصد في الصباح الباكر إلى بركة قارون لتصيد البط
والطيور ، وتخرج احيانا ساعة الاصيل لتمتطي بعيرها ، يقود زمامه
أعرابي طويل القامة عريض الهامة . لقد أحبت الصحراء قبل أن
تراها ، وها هي تختلط بابنائها فلا تنكشف نفوسهم أمامها الا عن
نبل وشهامة وكرم وجود ، لقد كانت تلتقي في طريقها كل يوم
بنساء البدو واطفالهم ، فيحيونها التحية الشرقية المألوفة ، وراح
الاطفال يلقبونها « بالنصرانية الحسنة » .

كانت تعجب بقناعة المرأة البدوية واستسلامها لحالتها ، فإذا
صارحت عدنان بما يجول في نفسها من هذه الخواطر ، أجابها في
هدوء ، ان سعادة المرأة عندنا لا تتعدى نطاق ثلاث حاجات : رب
تعبده وكسرة خبز او ثمرة تأكلها ورجل تطيعه ، فتعجب بهذه
المبادئ السامية وتقول : كان خيراً للانسانية لو لم تعرف المدنية
الحاضرة ، اذا لاستحلنا الى مثل هذه النعمة التي تتفأون ظلها .
واستخدمت ماري طبها في تخفيف علل وامراض هؤلاء
البدو الفقراء ، حتى أنهم أحبوها حبا جما ، وحسبوها رسول رحمة
بعث اليهم ، او كالغيث الذي ينهمر على الارض الجذباء ، التي ليس
بها نبات ولا ماء

وبدأ حلمها في الحب يتحقق رويدا رويدا
فكانت تنتهز فرصة الليالي القمرية لتخرج برفقة عدنان على

متن الجياد وهناك بعيداً عن القرية ، وتحت اشجار النخيل الباسقة
يجلسان ليتحدثا حديث الحب والامل ، والقمر ينفذ اليهما من خلال
فروع النخيل ليبارك حبهما ..

ويعيل على شفيتها ، فيشعر بالسعادة والغبطة تغمر حسه
ووجدانه ، وتدفن وجها في عباته فتسمع دقات قلبه ، تكاد
تستحيل في أذنها موسيقى سحرية جميلة

واضطرب عدنان ان يغيب عنها ذات يوم اذ وصلته رسالة
من ضابط نقطة بوليس الحدود ، يستعين به وينفذ رجاله الى
توطيد الأمن في الصحراء ، فقد سلب متاع قافلة كانت تقصد
بيضاعتها السودان .

وشعرت ماري بفراغ عميق بعد رحيل صاحبها ، وكانت تنتظر
أوبته كل مساء على أحر من الجمر ، انقضي على رحيله نحو شهر
كامل لم يصلها خلاله سوى كتاب واحد ، انها تحبه وتمواه وكانت
تجد من شديد حبه وعطفه عليها ما يدفع عن نفسها ألم الوحدة
ومضاضة الالتئاع ، اما اليوم فانها ساهمة واجمة ، قلقه لمصيره لثلا
يكون أصابه مكروه ... لقد بدأت تشعر أن هذا الفضاء
اللانهائي يكاد يضيق بها . فعندنان عندها كل شيء وقبلاته مطمح
كل رغبة من نفسها .

وخرجت ذات يوم ساعة الاصيل لتمتع نفسها وحسبها بجمال

الصحراء ، ولتجد من الموضع الذي كنا يتقابلان فيه ويتطارحان
الهوى ، ما يدفع عن نفسها مضاضه الفرقة ومرارة الالتىاع ، واعتلت
ظهر جوادها الادم ثم ارخت له العنان فانطلق بها كالسهم يسابق الريح .
وتصل بعد مسيرة نصف ساعة الى قلب الصحراء فتربط
جوادها الى صخرة هناك . ثم تسير على قدميها . . . ويحمل اليها
النسيم وقتئذ صوت مؤذن الجامع يردد فى هذه الفيا فى القاحلة
اسم الله فى خشوع وتقوى ، يدعو المتعبدين الى صلاة المغرب
والتسبيح باسمه تعالى ، وتنظر الى الاعراب فاذا بهم جاثون عن
بعد فى الرمال ووجهتهم شطر القبلة المقدسة ، يضرعون الى الله فى
حرارة وتقوى ان يثبت اقدامهم وان ينصر دينهم .

وترمى ببصرها بعيداً فى الفضاء ، فلا تجد سوى رمال وهواء ،
ونخيل وسما . فتذكر مجد هؤلاء الاقوام الذين كانوا يسكنون
هذه الديار ، ويخيل اليها أن ارواحهم تطل عليها من «قصر لابرنتا»
لتهمس فى أذنها سر الموت والخلود ، ويبدو حينئذ تألق النجوم
فاتراً ضعيفاً فى كبد القبة الزرقاء ، فتترجف خوفاً وهلعاً وتخرج
من صدرها أيقونة صغيرة ، فى وسطها صورة عدنان بملابسه
البدوية ، ناظراً اليها بعينيه السوداوين ، اللتين تكادا تنطقان قائلة :
— احبك . . . احبك —

وتفترش الرمال الناعمة البيضاء لتستريح ، وتمسك بالصورة

بين يديها ثم تدنيتها من فمها وتروح شفقتها تهتف باسمه في هذا
الفضاء اللانهائي قائلة :

— عد نان عدنان ... !!

وتأخذها سكرة من لذة الذكرى فتسند ظهرها الى جذع نخلة،
وتتيه في واد من الاحلام عميق ، لا تصحو منه الا وقد اكتنفها
الظلام وأحاط بها من كل جانب ، وتبدو لها المقابر وقتئذ كشيء
مقبض مخيف في الليل ، ويخيل اليها ان الاموات قاموا من اجدانهم
وراحوا يرقصون فوق المقابر هازئين بها . . . فتربح هلعاً وتغمر
نفسها احساسات مخيفة شتى ، وتأخذ تعدو في هذه الصحراء الشاسعة
التي لا تعرف لها بداية ولا نهاية واشباح الموتى تلاحقها وتلازمها ،
فتضع يدها على عينيها لتطرد هذه الاشباح الرهيبة ثم تجمع شجاعتها
وتحاول ان تصيح في هذا الجو العاصف لتدعو جوادها باسمه قائلة :

— عنتر عنتر .. !!

فلا تجيبها سوى اصوات الرياح التي أخذت تصغر بشدة في آذانها ،
حتى توهمت انها تحمل اليها تحية الاموات وروح الصحراء ، وتنعثر
في اذيالها فوق الرمال ، ثم تقوم لتعدو فلا تلبث ان تقع ثانية ،
وتروح تتخبط في دياجير الظلمات وقد عمها الوجل وملا الرعب
نفسها واطرافها ، ويعمر بخاطرها حينئذ ولدى هبوب العاصفة التي
اشتدت وأخذت تمزق ثيابها في عنف ، ما كان يخبرها به خادمها
بلال ، من ان الزوابع كثيرا ما أودت بحياة قوافل باكملها ودفنتها

تحت اكوام الرمال ، وتحت تأثير هذا الخاطر والوهم الذى يمر بها ،
يزداد جسمها رعبا فتغمض عيناها وتفقد قيادة نفسها ثم لا تلبث
ان تضل شعورها ، وقد وهنت قواها من فرط مقاومتها للعاصفة ،
فتهدى كالمحموم وتروح فى سبات عميق

ويعود عدنان فى صبيحة اليوم التالى بعد ان أصيب بجرح
عميق فى صدغه ، واخذ يفتش عن ماري فلا يجدها ويطوف بالبادية
نهارا وليلا ، يسأل الرمال والخصي فلا تهديه ، ويناجى النجوم
والسحاب فتمر فى طريقها ولا تجيبه ويعثر على جوادها
مصادفة ملقى الى جانب الصخور وقد طمرت الرمال نصفه
الاذنى فيدرك لأول وهلة ما حدث لصاحبه وأى مصرع
لقيت المسكينة ، فيحاول ان يبكى فيستعصى عليه الدمع ويتحجر
الاسى فى مآقيه ، ويرجع ثانية الى مقره شريد النفس كاسف
البال ، تلوح على محياه أمارات اليأس والقنوط !!
لقد عشقت المسكينة ماري الصحراء وجبالها ، وأحبت رجالها
وابناءها ، فواها لهذى الرمال التى جذبتها اليها واحتوت جسدها
الطاهر ، وديعة الى يوم البعث والنشور !!



فی - فی

— ۳ —

فيه - في

كانت ليلة ليلاء ، مظلمة دكناء ، تئن فيها الريح أنين المحتضر ،
فيسمع لهوبها أصوات مفزعة مرعبة ، أما السماء فكانت تمطر رذاذاً ،
يتناثر الفينة بعد الفينة على زجاج النوافذ ، تاركاً من آن لآخر
سكوناً هو أشبه بسكون الموت . وإن هي الا لحظة قصيرة حتى هبت
الريح صرصراً عاتية ، اجتاحت كل ما أمامها من مساكن بولاق
الوضيعة البالية ، واختفى سكان القاهرة الى قرب مواقعهم أو
دفاياهم يتقون بها شدة البرد وزمهريره .

هنالك — في حي «معروف» — أحد أحياء بولاق ، وفي
غرفة حقيرة الاثاث خالية الرياش ، جلس عزت وسهير الى قرب
موقدتهما الخائفة الباردة ، صاخبين قسوة القدر وعسفه .

أما الاول فشاب عصري ، في العقد الثالث من حياته ،
يلبس دائماً بدلة مخططة وكرافتة سوداء ، مربوطة في عنقه
على هيئة كبار الفنانين وأرباب الخيال ! يحترف صناعة النحت
والتصوير ، تخرج من مدرسة «ليونارد فينشي» المؤسسة باموال بعض
أثرياء النزلاء الايطاليين بالقاهرة . وقد نبغ في فنه نبوغاً مدهشاً ،
إذ ان شدة البؤس والفاقة التي يعانيها ، كانت من اشد العوامل

التي صقلت مواهبه وهذبتها ، غير أن هذا النبوغ كان مطموراً
تحت طباق الفاقة ، فلم يكن يتسنى له الظهور بمبتكراته الى معارض
التصوير العامة ، التي تقام في القاهرة بين آونة وأخرى ، خاصة في
فصل الشتاء .

واما الثاني ففتى وسيم الطلعة ، طلق الحيا ، نحيف الجسم ،
شاحب اللون ، هوى تأليف الروايات — خاصة المسرحية منها ،
وهو الى جانب هذا شاعر فذ ، مملوء العواطف ، وليكنه لا يقل
عن زميله بؤساً وعوزاً ، كأن الفقر عقبة في سبيل العبقرية والنبوغ .
جلس الاثنان في زاوية من زوايا غرفتهما المشبعة المهملات ،
يعمل الاول في حفر تمثال نصفي من المرمر الناصع ، ويدبج الثاني
بقلمه ما تمليه عليه العاطفة الجياشة ، وما يوحيه اليه الخيال ، من
الوان من الشعر شتى ، ولكن شدة البرد وزمهريره في تلك الليلة ،
كان يعوقهما عن أداء عملهما ، فكنا يتركان موضعهما من الغرفة ،
يقطعانهما جيئة وذهوباً ، ويفر كان أكفهما في قوة ظاهرة ، حتى
تدب اليها الحرارة والنشاط .

وأخيراً ضاق ذرعهما ، من هذه الحال السيئة ، فرمى عزت
بأزميله الى الارض في غضب وعنف ، قائلاً لزميله :
— رأيت أعجب من رجل يحفر تمثالا لامرأة موسرة ،
يخلع عليها من الثياب ائمنها وأغلاها ، في حين أنه لا يجد دثاراً
يتقى به برد الليلة !!؟

فأجاب زميله على الفور وقد التى بالقلم جانباً :
— أجل يا صديقي فقد أمسكت بقلمى أنظم قصيدة لحفلة
عرس ، فيها من المأكولات والشراب ما تشتهى الانفس وتقر
الاعين ، حالة انى لا أجد ما أقنات به الآن ، هذا فضلاً عن
جلوسى الى قرب شباك محطم زجاجه ، وموقدة لا تقل فى برودتها
عن صاحب المنزل !

ضحك عزت بألم ثم قال :
— ولكننا والله الحمد قد تخلصنا من برودته .
— كيف ذلك ... ؟

— أقول الحق يا صاحبي انى ماعدت أخشى تهديده ووعيده ،
وما فى مكنته أن يفعله بعد ، اليس الطرد ؟ حسناً !! سيان عندى
ان افترش الغبراء او ان التحف السماء ، ما دامت غرفتنا على ما
هى عليه ، تشبه أفاريز الشوارع !

على أن عزت ما كاد ينتهى من حديثه حتى طرق الباب ،
فوجها وخشياً ان يكون الطارق المالك ! ولكن سمير
تشجع وتقدم فى ثبات ثم فتح الباب فاذا بالطارق : الشيخ مهدى .
والشيخ مهدى هذا بدأ حياته كطالب فى «الازهر» وقد
أبدى من النبوغ فى كافة سنى الدراسة ، ما حدا به الى نيل الشهادة
«العالمية» بتفوق ، وان ينتسب الى .. «الجامعة المصرية» القديمة ،
فى قسم الفلسفة ، وكانت معه بدرة من المال ، ورثها عن أبيه

وأستعان بها على الدراسة، غير أنها سرعان ما نفذت فرأى نفسه في الشارع لا يملك قوت يومه . وكان الشيخ مهدي قد تعمق في الفلسفة ، لدرجة ألهمته عن العالم ، وما فيه من أفراح وأتراح ، ويسر وفاقه ، وشبع وجوع ، فلم يكن يهمه سوى أمر واحد هو الوصول الى نظرية في الفلسفة . لم يسبقه اليها برجسون أو سبنسر أو ابن رشد ، وكان يشارك عزت وسمير غرفتهما المتواضعة ، وقد أرسله في تلك الليلة الى إحدى مكتبات شارع « محمد علي » لبيع كتب الفلسفة التي يدرس فيها ، إذ أن شدة الجوع والبرد كادت تهاكمنهما ، بيد أنه رجع هذه المرة أيضاً بخفي حنين .

فدب اليأس الى قلوبهم ، واستولت السآمة على مشاعرهم ، وماذا هم فاعلون ليسكتوا صرخة بطنهم ، وأخيراً اقترب عزت صائحاً في جنون :

— الامن شيء يقينا شر برد وجوع هذه الليلة ؟ لقد كدت أجن !

فأقبلوا عليه يواسيانه ويطييبان خاطره بكلمات كلها عطف واشفاق ، وفيما هم على مثل ذلك ، اذا بالباب يطرق ، فانتفضوا فزعين وقد حسبوا المالك الف حساب ، ولكنه كان في هذه المرة الاستاذ ثابت .

والاستاذ ثابت ، شاب موسيقي ماهر ، خلعوا عليه لقب بيتوفن ، عشق تلحين القطع الغنائية منذ حداثة ، وقد ضحى في

سبيل فنه بكل عزيز لديه . فكانت قطعه تجي . صورة صادقة من
آيات الفن الصحيح ، الا ان حلقة البؤس التي تضمه الى
رفاقه كانت المائق الوحيد في أن يبرز ببضاعته الى اصحاب
« شركات الاسطوانات » ، فديروها لا يقبلون بضاعة ما الا من
موسيقى شهير ، ولأن الجمهور تعود الاقبال على نتاج المشاهير . ولما
ضاقت به الخيل ، من اوديون الى كولومبيا الى كلدرون . . الخ ،
لم يجد بداً من الذهاب الى مسارح « روض الفرج » الشعبية عارضاً
على الجمهور بضاعته ، فاقبل عليها بكل شغف وشوق . وشجعه على
المضي في عمله ، وعند ما رجع هذا المساء الى رفاقه ذهب تَوّاً الى
المائدة التي تتوسط غرفتهم المتواضعة ، وقد أفرغ كل ما في جيبه
من نقود عليها قائلاً :

— انظروا !

فنظروا جميعاً وقد هالهم ما وقعت عليه انظارهم ، واخير أصحابوا
في نفس واحد هاتفين بحياة الاستاذ ثابت ثلاثاً . ثم سألوه :

— من أين لك كل هذا يا « مايسترو » ثابت . . ؟ ! !

— من فنى لقد ادركت أيها الرفاق أن اصحاب

المسارح ومديري الشركات قوم لثام ، يرفضون ابتياع قطعي
الموسيقية ، على حين ان الجمهور يتوق جهده الى سماعها ، فعزمت
على أوسط أحداً بيني وبينهم ، وذهبت اليهم بنفسى ، فكان
نصبي ونصيبكم كل هذا

وابتهج الرفاق لذلك أيما ابتهاج . فذهب عزت واشتري كمية
من الفحم يتدفئون بها ، ثم جلسوا يتشاورون في كيفية اعداد العشا
واخيراً قر قرارهم على ان يقضوا المساء عند حكمت صديقة عزت
غير ان سمير قال :

- أما انا فحينما انتهى من نظم قصيدتي وسألحق بكم قريباً
وخرجوا جميعاً . وبعد دقائق عدة ، انتهى سمير من عمله ،
وفيا هو يهياً نفسه للخروج سمع طرقاً خفيفاً على الباب ، فتعجب
من هذا . اذ انها ليست عادة المالك ، واخيراً فتحه ، فاذا به امام
فتاة ممشوقة القد ، طويلة القامة ، شاحبة اللون ، قد تدهرت بدثار
أسود قديم ، وأمسكت في يدها شمعدانا صغيراً ، واخيراً قالت
في لهجة مضطربة :

« معذرة سيدى قد رأيت عن بعد ضوءاً ينبعث من
غرفتك ، فاتيتكم عسى ان تسمحوا لى باضاءة هذا ..
قال عزت فى دهشة وابتهاج :

- بكل سرور ... ولكن عفواً ... أرجو ان تدخلى وتغلقى
الباب دونك ، فان الهواء يصفر بشدة فى الخارج .

فدخلت الفتاة بعد ان اغلقت الباب دونها ، وما ان توسطت
الغرفة ووقع ضوء المصباح عليها ، حتى رأى وجهها شاحباً ، واذا
بعينين سوداوين يحيط بهما هالة من الزرقة العائمة ، واذا بفم صغير
مستدير تنبعث منه أسنان لؤلؤية جميلة ، واذا بشعر ذهبي فى غير

استقرار ولا انتظام.

شعر سمير بعاطفة خفية اختلجت بين ثنايا فؤاده ، عاطفة من
الالم المشوبة بالحنان ، نحو هذه الفتاة المسكينة التي تنتفض أمامه من
شدة البرد ، وأخيرا أخذته الشفقة فتقدم منها وأمسك بيدها قائلاً :
— تفضلي تفضلي اجلسي قليلا ، حتى أضيء لك

الشمعدان .

قالت الفتاة في حياء وتواضع :

— ولكن شكراً . . . لدى عمل يجب ان أنجزه الليلة .

— كيف ذلك .. ان شدة البرد تعوقك عن إنجازك

فصمتت الفتاة ، على حين كان سمير يبحث لها عن « علبه
الكبريت » في زوايا الغرفة ، وأخيرا عثر عليها ، وفيما هو يشعل لها
شمعدانها ، أخذ ينظر بشغف زائد الى هذا الجسم البض الذي لا
يستره عن الاعين سوى هذه الغلالة الشفافة ، وأخيرا سأها :
— أقيمين هنا ... ؟

— نعم ... في الغرفة المتطرفة ... عند آخر السطوح .

— ولكن لا أراك الا نادراً . . . مرة واحدة على ما ظن ..

وكنت تصعدين السلم ومعك كلب صغير ... فيما تشتغلين ؟

— خائطة ملابس وقبعات !

— هذا شيء حسن ... وأظن انه لزاماً علينا ان نكون

صديقين ... ما دامت تربطنا رابطة الجوار ... أننى أدعى سمير

— اما انا فاسمى فيفى ... فيفى فقط ... والآن شكراً ،
يجب ان اذهب ... الى الملتقى .

وفيا هي على وشك ان تغادر الغرفة ، اذ سمعا جلبة تنبعث
من الخارج ، فوجمت وامكنه طمأنها قائلاً :

— لا تفرعى ... هؤلاء اصدقائى وقد اتونا بالعشاء .

ثم ظهر الاصدقاء ، كل منهم يحمل لونا من الطعام والشراب .
واسرع عزت لساعته فقدم لهم جارته فيفى .

وعلى المائدة طالت الاحاديث ودارت النكات ، وعلت
أصوات الضحك ، وحلا الشراب فى أفواههم فاقبلوا عليه بشغف ،
وقلت الكأس الاولى كبؤوس عدة ، فاشتد بينهم المرح والمرج ،
ومضت الخمر تلهب المشاعر والوجنات .

وبكت فيفى سروراً لمعرفتها هؤلاء الاصدقاء الجدد ، اذ كانت
تعيش منفردة لا تزور ولا تزار . ولما انتهوا من العشاء قامت تراقصهم
وتشاركهم عبثهم البرىء .

وفى زاوية من زوايا الغرفة وقف سمير يتحدث عزت قائلاً :
— أبقى معك شئ من النقود ... فانه يلوح لى ان صديقتنا
الجديدة تعاني أزمة نفسية ضيقة ... ولا بد ان تكون تحت رحمة
الملاك ... انها فتاة بائسة مات والدها منذ فترة بعيدة . وتعيش
وحيدة فى الغرفة الاخيرة الى جانبنا .

أجاب عزت :

لدى الكفاية من النقود ، ولكن كيف نفاتها في ذلك ، انها
لا شك تحجل ... ان «حكت» فتاة مثلها وسنعود اليها بهذه المهمة .
وناديا حكت وأفهماها جلية الامر ، فذهبت وانفردت
بفيني ، ثم اخذت تستدرجها في الحديث ، الى ان علمت منها انها
مدينة للمالك باربعة شهور وان لم تدفع غداً فسيلقى بملايسها
وعفشها من النافذة ، ويعلق على باب المنزل «غرفة للايجار» !
فافهمتها حكت انها أصبحت رفيقتهم فما يجرى عليها سيجرى
عليهم جميعاً ، وبما ان لديهم الآن من النقود الكفاية فسوف يتكفلون
غداً بتسديد ديونها ، ثم اخبرتها انها وعزت عشيقان منذ عامين ، اما هو
فيحترف صناعة النقش والتصوير ، وهى تعمل ممثلة فى الفرق
التمثيلية التى ترقاد الارياض ، تشتغل اسبوعاً وتظل شهراً عاطلة ،
ثم انتهزت هذه الفرصة وسألتها رأيها فى سمير . فاجابت كيكي :
— ظريف حقاً ... يلوح لى هذا ... ولو انه بطل لغير روائتي !

سرعان ما مرت الايام وذهب الشتاء يردده وقره ، واقبل
الصيف بشمس الوهاجة المشرقة التى تبعث الحياة والحرارة
فى الكائنات .

وكان تعرف «عصبة الفن» الى فيفى فاتحة السعادة لكل
منهم ، فقد استطاع الاستاذ ثابت ان ياتحق باحدى الفرق الهزلية
بشارع «عماد الدين» كملحن للقطع الموسيقية ، حتى انه اكتسب

كثيراً وذاعت شهرته كموسيقار نابغة . اما الشيخ مهدي فاستطاع ان يجد له وظيفة مدرس باحدى المدارس الاهلية ، وتمكن عزت من ان يبرز بتمائيله في احد معارض « جمعية محبي الفنون الجميلة » وقد لاقت تماثيله ورسومه كل اعجاب وثناء من الجماهير ، اما سمير فقد اشتغل محرراً في احدى المجلات الاسبوعية وفيقي عند « مدام تيريزا » الخائطة بقصر النيل .

وخرجت « عصابة الفن » صباح ذات يوم الى « القناطر الخيرية » يروضون أنفسهم وسط الحداثق والمتنزهات على النيل . وجاءت ساعة الغذاء ، فصاح عزت قائلاً :

— فلنحتس اولاً نخب الاستاذ ثابت ، فقد ابتاعت منه شركة « كالدرن » بالامس نشيده الجديد « نحن الفراعنة » بعشرين جنينها اما انا فنلت الجائزة الثانية في « صالون القاهرة » لمعرض الصور وهنا نظرت حكمت لسمير وسألته في رنة كلها أسف :

— وأنت ... ؟ متى تنتهي مسرحيتك الجديدة حتى تتم سعادتنا جميعاً ؟

فأجاب سمير في مضاضة والم :

— يلوح لي اني لن انتهي منها أبداً يا حكمت ؟

وساد الصمت قليلاً . . . واختلت حكمت بهيفي وقالت لها :

— هل سمعت ما قاله سمير الساعة ؟ انني اعجب اشد العجب منكما ! فسمير يحبك الى حد العبادة ، وانت ولا شك تبادلينه

نفس العاطفة ، ومع كل لم يصرح أحداً كما للآخر بما في قلبه ؟ !
خبرني أي عزيزتي فيفي ، هل تحبين سمير حقاً ؟ وإذا كان الأمر
كذلك فلم هذا الصمت من جانبك ؟ انني أوكد لك ان السبب في
فشل سمير إنما يرجع اليك وحدك . فلا شيء يجعل الرجل سعيداً ،
يشعر بالحياة والنشاط تدب في أعضائه غير الحب ، ولو صرحت له
بما يحيش في صدرك نحوه من عاطفة أكيدة أو رغبة حارة ، لرأيت
يقتحم الصعاب ويدلها رجاء ان يفوز في كل وقت برضاك ؟
فتأثرت فيفي وبكت كثيراً وعزمت عزماً أكيداً على ان تفتح
سمير بحبها في اول فرصة تتاح لها .

بعد ذلك بثلاثة ايام وفي احد اعياد « شم النسيم » جاءت
الجماعة الى نفس هذا المكان ، واخذ الاستاذ ثابت مكانته
يلعب عليها ، والجميع من شدة تأثرهم في طرب ومرح ، وكان صوت
الكان الحنون يصيح وسط هذا الجو الحافل بشتى صنوف العواطف
فيلهب مكنوناتها وخفاياها ، واسرعت فيفي بالعدو الى ناحية بعيدة
فلحقها سمير وظل يلعبها ويداعبها الى ان امسك بيدها تحت شجرة
سندiane بعيدة عن الانظار ، واخذ يضمها الى صدره ، يشبعها
وابلا من قبالاته ، وهو يقول :

— أحبك يا فيفي . . . ! !

فانتفضت المسكينة وشعرت بعاطفة هزت كيائها وزعزعت
أركانها . ولم تقو على ضبط نفسها ، فقالت في صوت مضطرب :

— وانا ايضا يا سمير ... بل واعبدك !

وارتاح كل منهما الى هذا التعبير الصريح في الحب ، ثم عادا الى الجماعة يشار كلهما لهوها ومرحها البرى .

وكان هذا الحب فاتحة حياة جديدة لسمير ، فقد أكب على روايته المسرحية « مصارع الشهوات » وظل يعمل فيها بعزم متواصل حتى يحوز رضا من يحب ، وبعد ايام حملها الى مديري احد المسارح فرفض قراءتها او قبولها ، فرجع الى فيفى مكسور النفس ، غير انها طيبت خاطره ، فقال لها سمير :

— هل لك ان تقرئيها ، لتعطيني رأيك ريثما انتهى انا من كتابة المقال الاسبوعي للمجلة .

فاخذتها منه وأكبت على قرائتها بكل اهتمام ، ثم أعطته اخيراً فكرتها : فاذا بالتغيير الحديث قد أضاع منها بهجة الاصل . فقال سمير :

— سوف أعيد كتابتها من جديد ، ولكن على ان اذهب اولاً الى ادارة المجلة أسلمها المقال . فتوسلت اليه ان يدها وحدها تذهب وان يظل ينقح روايته لئلا يضيع وقته سدى

وذهبت فيفى الى ادارة مجلة « الفنون الجميلة » ، لتسلم مديرها المقال ، الا انه ما كاد يعرف امضا ، صاحبه حتى اصخب وأزبد ثم قال :

— ان مجلتى لم تعد مجالاً لكتاب كسالى محررون المقال بعد

صدور العدد الممتاز بأسبوعين

توسلت اليه فيفي واستعطفته ، الا ان استعطافها لم يجدها نفعا ، فبككت المسكينة بكاء مرأً وهي تفكر في النتيجة المحزنة التي ستحملها الى سمير ، والى الفشل المميت الذي سوف يحل بقلبه فلا تنتهي مسرحيته على خير ما يرجى ، واخيراً اهتدت الى فكرة صائبة ، لم يدفعها الى العمل بها الا شدة حبها واخلاصها لسمير ، هي ان تدفع له ثمن المقال من مالها دون ان تعلمه عن مصدره . وهكذا كان كل اسبوع ، فقد كانت فيفي تتسلم مقالات سمير ، ثم تدفع له ثمنها من ثمرة كدها وتعبها . وقد أثرت هذه الحال السيئة في صحتها ، وهزلات من فرط اجهاد نفسها ، اذ كانت تظن ان مسرحية سمير ، سوف لا تطول الى هذا الحد .

وكان يزور فيفي من آن لآخر ، رجل من اثرياء الريف ، وعضو في مجلس النواب ، يدعى « عبد العاطي بك ابو سيد احمد » اذ كانت اخته من زبائنهما ، وقد زارها هذا الصباح لتسافر معه الى بلدته حيث ان شقيقته ستأهل ، فوجدها تقرأ بصوت عال في مسرحية سمير ، فقال لها مازحاً :

... ها قد أصبحت أدبية وشاعرة يا فيفي !!..

— لا فهذه رواية مسرحية لصديق لي اسمها « مصارع الشهوات » لم يقبلها منه مديرو المسارح .

— اذ كان اخراج الرواية قوياً ففي امكاني أن أساعدك .

وهنا تذكرت فيفى عقبه سمير الوحيدة وهى انه غير معروف ولا متصل بآرباب المسارح حتى يقبل اءء مءبرها روايته .
وءعاها عبء العاطى بك مع صءىقتها ءكمء الى قضاء سهرة وءناول العشاء آارج القاهرة فى « الكىء كاء » رىما ىنءهى مءبر مسرء « مصر الءءىة » من عمله فىءهبون الى ءىعا لىءموا مسرءىة سمبر .

وارءاآء فىفى الى هذه الفكرة بعء ءرءء؁ ثم صءبء عبء العاطى بك مع صءىقتها؁ وءمءنء من قضاء سهرة لءىة كانت ءءم بها منذ امء بعىء؁ ولكن لم ىءفعا الى قبولها الا وءوقها من انما سءءءم سمبر فى النهاىة . ولءى أوءها لىالا الى ءرفءها فى منءصف اللىل ءقربىا؁ قابلها سمبر فى ءالة ءهىء ءءىء عصبى؁ فاءلا :
— وىلك من آاءة ... لءء قابلء ءءىء افنءى الיום؁ وعلمء منه انه كان ىرفض مءالائى .

— هذا صءىء؁ فءءءشىء ان ىءل بك الفشل وانء ءكءب مسرءىءك؁ ففضاء ان اعمل لىل نهار؁ وان اقبل آىاطة القبعاء بءمن رءىص؁ آى افوز بءمن مءالك الاسبوعى؁ ءبر عابئة بالعلل والامراض الئى انءابءنى .
فءءأ سمبر من ءورءه ثم آءء ىضمها الى صدره؁ ىطرها وابلا من قبلاءه وهو ىقول :

— ىا لك من طىبة القلب ... ىا فىفى .

الا انه ما كاد يركع ليقبل اطراف ثوبها ، حتى قفز صائحاً :
— ومن أين لك هذا الحذاء الجديد ... انك كنت ولا
شك في حفلة راقصة ... او سهرة عابثة ... !!

— نعم ولكن من أجلك !

الا ان سمير كان في حالة هياج عصبي ، وقد أعمت الغيرة
بصيرته ، فطفق يكيل لها السباب جزافاً ، دون وعى او رشاد ،
ولم تتحمل المسكينة منه كل هذا ، فوقعته على الارض باكية :
— انك تقتلني يا سمير ... الا تصدق ما اقول ؟

— هذا لا يمكن ... لقد انتهى كل اثر للحب في قلبي ...

الوداع !

ثم اندفع من الغرفة الى الخارج ، وحاولت فيفي ان تمنعه ، الا
انه صدها فوقعت على الارض مغشى عليها .

وذهب سمير الى حكت يستوضحها جلية الامر ، فاوقفته على
كل شيء ، وكيف ان فيفي ضحت بكل شيء من اجله ، فأسرع
ثانية الى فيفي ، غير انه لم يجدها ، بل وجد ورقة مكتوبة بخطها ،
« لقد كنت لى كل شيء ... فلما فقدتك فقدت كل شيء »

فالوداع ... » .

وتنازعت سمير العواطف الثائرة التي لم يقو على ردها ، وكبح
جراحها ، و كان قد صرف وقتاً طويلاً في البحث عن فيفي ولكن
محله ضاع سدى .

وأخرجت مسرحية « مصارع الشهوات » بعد شهرين ، على مسرح « مصر الحديثة » ، وهذا طبعاً بفضل فيفي التي كانت قد قدمت الرواية بمساعدة صديقتها عبد العاطى بك في الليلة السالفة الذكر ، وقد صادفت الرواية من الاقبال والنجاح ما يفوق حد الوصف ، وكان تصنيف الجماهير ودوى أكتفهم يملأ القاعة ويطلب المؤلف ليهنئه ، ولكن المؤلف كان في شاغل عنهم ، اذ كانت فيفي تحتل كل ذرة من فكره ، وكان يذكر ان الفخر في نجاح الرواية وشهرته انما يعود اليها وحدها .

وأقامت له جمعية « اصدقاء الفن » حفلة باهرة لانجاح الباهر الذى احرزته مسرحيته ، وقبل ان توشك الحفلة من الانتهاء ، دخل احد الخدم وهو يحمل على ذراعيه سيدة فى اظمار بالية ، قائلاً انه وجدها ملقاة فى الخارج ، تسأل عن المحتفل به ، فتبينوها : فاذا بها فيفي . . . !

واخذوها فى عربة الى منزل حكمت ، واستدعوا لها الطبيب وبعد ساعة أمكنها ان تفيق وان تنظر حوالىها ، فوقع نظرها على سمير ، وهو بالقرب منها باكية ينتحب ، وقد فاض الدمع من مآقيه بغزارة ، وتكلم سمير فقال :

— فيفي ... اغفرى لى ... لقد عرفت انك المرأة التى كانت تضحى فى سبيل راحتي وهنائى بكل شىء ..
وابتسمت فيفي ابتسامة مرة ، جعلت الحاضرين يستردون

دموعهم ، ثم قالت في صوت ضعيف واه :
-- مسر حينك ... ماذا جرى لها ؟
-- نجحت والله الحمد ... ولكن صحتك انت اولا يجب ان
تتحسن .

واهتزت فيفي في فراشها بالأم ثم قالت :
- سمير ... انتى افارق الحياة ... اموت ... لا تبك
من اجلى ... لا تنى سعيدة الآن ... اذ وجدتك سعيدا ...
هات يدك .

-- نعم ولكن الا تعفين عنى ؟
-- لا تغفوا المرأة اذا جرححت فى كرامتها وحبها يا سمير !
-- فيفي ...

ولكن فيفي كانت قد فارقت الحياة ورأسها على صدر الرجل
الذى اخلصت له الحب ، وضحت فى سبيله بكل ما تملك ...
حتى آخر نسمة من حياتها !!

غرام الشاعر

- ٤ -

غرام الشعاع

تألق نجمه في سماء الادب منذ سنوات خمس ، بما كان ينشره
على صفحات جريدة « الانباء الادبية » ومجلة « الفن الحى » من
شعر وجدانى ملتهب ذو مسحة جديدة لم يتذوقها الجمهور بعد
وراحت الاندية والمحافل الادبية تتهاوس باسمه فى جلال وصمت ،
وتقدس هذه الروائع الفنية التى تظهر له تباعاً ، على ان البعض شك
فى أمره ، فصارح رفاقه بان هذا الشعر الناضج ، ليس الا لشاعر
فحل ، أراد ان يستروا « ياقوت زاهر » وهو الاسم الذى كانت
توقع به هذه المقطوعات الشعرية الرائعة ، وذكر البعض الآخر ،
أن هذا الخيال الوجدانى الناضج التكوين ليس لاديب شرقى ،
اذ كان يحاكى أشعار راسين وشيلى ودانتيو .

أما انا فكنت ابتسم فى نفسى ، لانى اعرف « ياقوت زاهر »
كل المعرفة . . . وقد اتيت لى معرفته ، فى ذات ليلة ساهرة ،
أقيمت تكريماً له فى منزل الاستاذ « برهان الدين » صاحب مجلة
« الفن الحى » ، وقد وجدت نفسى ليلتئذ امام شاب ، حدث السن ،
شاحب اللون ، أزرق العينين ، هادئهما ، يرتدى سترة سوداء . وقد
كان سيد الحفلة - بلا منازع - لعذب حديثه وفكاهة نفسه ،
ولشعره الذى كان ينشدنا اياه ، وله مسحة الالهام والانسجام

من هذه الليلة ، بدأ ياقوت يضع قدميه على سلم المجد والشهرة
ليرقاه ، بدأ يعمل « المكتبة » في حين كان غيره لا يزال يعمل
في الصحافة الدورية .

وأخذت أشعاره بعد ذلك لونا آخر ، يرسل شعاعا فياضا الى النفس ،
فيشعرك بما في ثناياه من روح محتدمة جياشة ، وكنت وأنت تطالع مقطوعة
له تكاد تلمس حواسك ووجدانك مرتبطة بما فيها ، وكلها تدور
حول تقديس الحياة ، والاعتراف بما فيها من الروائع الطبيعية التي
تحتل قلوبنا ومشاعرنا . و كان الجمهور يتهافت على شراء مؤلفاته
بمجرد ظهورها في واجهات « المكتبات » حتى قيل ان الطبعة
الاولى من ديوانه « في ربيع الحب » نفذت في بحر اسبوع واحد .
ووصل الشاعر ياقوت الى القمة العليا من ذبوع الاسم والسمعة ،
ودامت صداقتي له خلال ذلك لا تشوبها أية شائبة ، ولا يعكر
صفوها أي كدر من أ كدار الحياة .

وحدث أن انقضت فترة طويلة لم التق خلالها بياقوت إلا
قليلًا ، على انى مرة في احدى ليالى الشتاء القارصة ، قصدت الى
حانة « عنقود الذهب » - مجمع الادباء المجددين والصحافيين
الناشئين ذياك الوقت - واشد ما كانت دهشتي ان شاهدت
ياقوتا قابعا في ركن هناك ، والى جانبه « باترا » ابنة صاحب الحانة
والتي اشتهرت بمجالها الفائق . والتقينا لقاء حاراً يشف عما
بقلب كل منا من إخاء ومودة خالصة ، ومضيت معه في هذه الليلة

فترة سعيدة من تلتكم الفترات التي تحن اليها النفس والروح معاً
في هذه الليلة أفضى الى ياقوت بسرّه ونجواه ، وعما حدا به
الى هذا الانقطاع الطويل عن الكتابة ، وكيف ملك حب « باترا »
ناصية شعوره ووجدانه ، ثم انشدني بعضاً من مقطوعاته الشعرية
التي كان يستلهم جمال « باترا » في نظمها .

وكانت « باترا » فتاة يونانية الاصل تبلغ الحادية والعشرين
ربيعاً ، ذات أنف دقيق حاد كأنف « فينوس » ، ووجه مستدير
متناسب التراكيب ، وعينين ساحرتين ، تفيضان سحراً والهاماً ،
يعلوها حاجبان مقوسان . وكان شعرها الذهبي الثائر ، يتماوج
فوق جبينها ، فيزيد من اشراق وجهها وابتسامتها نفسها .

وتعودت الذهاب عقب ذلك ، الى حانة « عنقود الذهب »
لاجتمع بياقوت ، ولأجد في حديثه الطلي ، ما أغذى به نفسي
وروحى . وكشفتني في ذات يوم برغبته في وضع مسرحية يجعل من
باترا بطلة لها ، فشجعتني على تنفيذ هذه الفكرة ، اذ كنت واثقاً من
انها سوف تكون نواة طيبة في الادب المسرحي .

اتم ياقوت مسرحيته وابتاعها منه مدير أحد المسارح بثمن
باهظ . . . وحانت ليلة الافتتاح ، فاكتظ المسرح بالجمهور لما كان
لاسم المؤلف من الذبوع والشهرة ، وانتهى الفصل الثاني وتصفيق
الجمهور يدوى في اركان القاعة تقديرآله وسارعت أفش عن ياقوت
فاذا به منزو في غرفة أحد الممثلين وقد تجهم وجهه واحتبست

أنفاسه في حلقه ، اعترتني دهشة فسألته قائلاً :
- ما بك يا صاحبي ؟ ... أمرض أنت حتى أسكنك
وبعد قليل أمكنه أن يحرك رأسه المضطرب وان
- هاقد أصبحت رجلاً محطماً القلب ، وليس
اليوم بدون شعور ولا وجدان ؟
- ماذا حدث ... ؟ فاني لا أكاد أعى ما تقى
- لقد غدرت بنى الشقية ، بعد أن سحقت فؤاد

المال سلاحاً اخترقت به حرمة العهود والمواثيق ، وط
تدعوها الضلالة والهوى ، فقد قيل لى اليوم أنها سافر
رفقة أحد الشبان الوارثين ، غير مبايلة بقلب لى شك
وغير ياقوت عقيدته فى الحب والحياة ، وأخذ
على الانتحار ، وكنت أحاول جهدى أن أنزع هذه
من ذهنه ، قائلاً له :

- أومن اليوم يا صديقى تندب شبابك وسعادتك
زلت فى بدء أحلامك وأحلى أويقات نفسك ؟ أتخ
ولا زلت شاباً ، وتسخر منك الحياة هكذا وأنت
الفتى والكبد الحار ؟ هبك لم تعرفها ... وتابع المثل
« إذا غدرت بك امرأة فهناك عشرات ينتظرنك با
فنظر الى نظرة عميقة وقال :
- انك لم تعرف بعد نفسية الفنان وشعوره يا صديقى ، ار

فترة سعيدة من تلبس بلباسهم فنه ، ويمهد له طريق المجد وذروة الخلود ،
في هذه الليلة لا امرأة كائنة ما كانت ، ان تبعث في نفسه هذه
الى هذا الانقطاع اذا ائتلف وجدانها وشعورها من جديد .

ناصية شعوره وبت على المراقص والملاهي ، يتناسى بين اجوائها
التي كان يستلهم وتعود الذهاب الى مرقص « الليدو » ، وكان ينفق
وكانت « اب كل ما يربحه من كتبه ومؤلفاته .

ربيعاً ، ذات ليلة أقبلت على المرقص فتاة سورية رائعة الجمال تدعى
متناسب التراكيف ياقوت اليها ، وفهم كل منهما نفسية الآخر تمام الفهم ،
يعلوها حاجباً ذاقه ومحبة ، ووجد كل منهما في قلب الآخر عزاء له وسلوة .
فوق جبينها ، في ضحية الآلام ومبعث الشقاء لها ولاسرتها ، كما كان
وتعود تعاسة ومحط الخيبة والفشل .

لاجتمع بياقوت وضحية الحب

وروحى . وكحية المرأة القاسية ، وهي ضحية الرجل الخادع . . .
باترا بطالة لها من الحب الى الوقوف في طريق واحد . . . ذهب الى
انها سوف تكسر قلبه الواله برؤية الحسان يرقصن ، يخاصرهن
اتم ياقوت تنسى في أحضانها تعاسة قلبه الواهي ، وذهبت هي
باهظ . . . وحلى نفسها بالموسيقى - وان كانت الموسيقى مبعث
لاسسم المؤلف مسها لان صديقها الغادر كان موسيقياً بارعاً - فاذا
الجمهور يدون ، والقلب الحزين يأنس دائماً الى القلب الحزين
فاذا به منزو

ومرت الايام تحمل في طياتها متع الحياة وحرارة الشباب، وتوثقت
عرى المحبة والوداد بين ياقوت واليس... فهجر المراقص والمجتمعات
الى « فيلا » صغيرة في احدى الضواحي، كانت كعش البلبل، يغردان
فيها أناشيد الحب وترفرف عليهما أفانين السعادة وأقاويق الهناء .
وتنظر اليس الى نفسها ، فاذا بها تحيا حياة هادئة ساكنة ،
تمحوطها بهجة لم تألفها من قبل ، ومحبوها شاعر بواطف من عطفه
وحرارة نفسه، ويهبها ما لا يمكن أن تحصل عليه امرأة في الوجود ،
شعر خالد وقلب عامر يفيض حياة وجباً .

وسافرت مرة الى الاسكندرية لرؤية أمها فلما عادت ، لفت
نظرها شيء مغطى في احد أركان القاعة ، فتبينته، فاذا به « بيانو »
فاخر ابتاعه ياقوت ، وفرحت به فرحاً لا يوصف ، ثم جلست اليه
تنشده - عزيز الحب والولاء - حتى اذا ما انتهت ، اقبل عليها
ليطبع على فمها الصغير قبلة طويلة حارة وهو يقول :

- أسعيدة أنت هنا يا اليس ؟

فتطوقه بيدها البضة الناعمة وهي تقول :

- كل السعادة !

وأحبت اليس ، ياقوت حباً ملك عليها مشاعرها وحواسنها،
ففي سبيل هذا الحب بذلت كل ما في وسعها لتجعله سعيداً هادئاً
البال، تفيض عليه حنواً وعطفاً ، حتى شعر حقاً أنه أسعد المخلوقات
فراح من فرط هذا الحب وسكرته ، يغرد بأشعاره العذبة على

الاغصان ، ووضع ديوانه الخالد « بعد العاصفة » و« قلب الشاعر »
و « في فجر الابتسامات » ثم ديوان « الدموع الاخيرة » .
وكانت اليس الضياء الذى يستمد منه نوره وسناه والشعاع
الذى ينبعث الى نفسه فيوقفها لتنفض عنها أثواب الخمول، وتطير
في أجواء الامانى شعاعا تصوغ أروع الاشعار وأحرها عاطفة .
وأشعرته بالنشوة الفياضة التى تخامر النفس وتستولى على خلجاتها
ساعة أن تتفتح عيون الروح الى شتى مظاهر الجمال المتفرقة فى كل
جزء من أجزاء الطبيعة.

حدث بعد ذلك أن مرضت اليس « بالتيفوس » ونقلت الى
« مستشفى الحميات » وظلت هناك تعاني سكرات الحمى نحو شهرين
الى أن قسا الدهر عليها ، فاهتصر زهرة حياتها ، فى ذات ليلة عاصفة
كانت الرياح تنئن خلالها أنين المحتضر .

وعاشت اليس من أجل الرجل الذى أوقفت عليه نبضات
قلبها، وماتت من أجل الرجل الذى أخلص لها ووهبها فؤاده مدى الحياة .
وساءت حالة ياقوت عقب ذلك ، فحمدت قريحته وانقطع
عن مزاوله الكتابة وكان يعمد طول يومه الى مائدة الشراب
يقتل الافكار الحزينة التى اخذت تساوره ، وفى ذات يوم نشر في
الصحف الاعلان الآتي :-

(يأسف ياقوت زاهر أن يعلن الى قرائه ، أنه توفى الى رحمة
ربه ، ولهذا ، فسوف يكف عن الكتابة بعد اليوم ويقطع كل ماله

صلة بعالم الادب والشعر).

وكان لدى ياقوت ثروة من المال لا بأس بها أخذت تنفد منه شيئاً فشيئاً، بين المسحوق الابيض وبنت الحان، الى ان استنزفها جميعاً واصبح خاوى الوفاض. وظلت الحياة هكذا تسخر منه وتقسو عليه، وتمر به سرعاً فتذوب في حرارتها قطع من ابتساماته، وفثت الحزن في عضده فلم يتركه الا شبحاً يحركه الهواه بعد ان أضواه الداء... وعدم الشاعر ياقوت لذة العيش في ابّان شبابه وبيع نفسه، وتحطمت آماله وأمانيه كما يتحطم المركب فوق الصخور الصلبة، حتى ملأت فكرة الانتحار ذهنه، فعمد الى تحقيقها ليتخلص من عذاب نفسه وضميره.

وكنت قد غادرت القاهرة لبعض أعمال خاصة، فلما عدت ثانية وقابلته راعني منه هذا الشحوب العميق الذي غمر وجهه والهزال الذي لحقه فواسيته بما في طاقتي وشجعته على احتمال أوصاب الحياة، ثم تركته على أمل اللقاء بعد أيام ثلاثة. ومرت الايام، وفيما انا ذاهب في طريقي لمقابلته، اذا ببيعة الصحف ينادون على جريدة «الانباء الادبية» صائحين (حادثة انتحار مروعة) فجذعت أشد الجزع خاصة عندما وقع نظري على العناوانات الضخمة المتوجة بها صدر الجريدة تحمل نبأ انتحار صديقي المفجع، فاسرعت بابتياح نسخة ثم انتحيت جانباً من الطريق وانا اقرأ على الصحيفة الاولى في اهفة وجزع:

« روعت الاوساط الفنية والادبية بحادثه هزتها عنفاً ، فقد حدث ان القى شخص بنفسه صباح اليوم من فوق أحد أعمدة الاشارات ، على شريط المترو أثناء اجتيازه المسافة الى « سراى القبة » وقد تهشمت رأسه وتناثرت جثته اربا ، وتبين من التحريات التى عملت ، ان المنتحر هو الشاعر الطائر الصيت ياقوت زهدى . وكان الفقيد قد زهد الحياة منذ فترة بعيدة وانقطع عن مزاولة عمله وعن مقابلة الناس ، ولزم داره لا يزور ولا يزار ، الى أن شوهد فى أيامه الاخيرة ، هزىلاً نحىلاً ، تلوح على محياه أمارات اليأس والقنوط ، يتلمس الوحدة والانفراد فى الخلوات ، والقراء ولا شك يذكرون الاعلان الغريب فى بابه ، الذى نشره منذ بضعة أسابيع يعنى فيه نفسه ويقطع كل ماله صلة بالعالم الادبى

والشاعر المنتحر معروف فى الاوساط الادبية ، برقة شعره وسمو ميزته ، وقد اشتغل بالتأليف زمناً قصيراً ، اما الباعث له على هذا الانتحار فيقال انه لاسباب نسائية ، وستشيع جنازته عصر اليوم باحتفال مهيب يجمع صفوة حاملى لواء الادب على ضفاف النيل ، ووفود من نقابة الصحف الاسبوعية ونادى أمون الادبى ومعهد تعاون الفكر الذى ينتسب اليه الفقيد ، ونحن نسكرر العزاء لاسرة الادب والصحافة . الخ »

فزعت أشد الفزع وأنا اقرأ نبأ انتحار صديقى ، ولا أستطيع أن أصف الشعور الذى خالجتى هاته الساعة ، وفيما انا فى حيرتى

واذا بخادم المقهى يمر صدفة من أمامي ، ويخبرني أن الفقيد مر
عصر أمس بالمقهى ، وترك لي كتاباً هناك ، فذهبت برفقته مسرعاً
واذا برسالة من ياقوت معنونة بأسمى بها ما يلي :

« لست أدري هل أعاودك اليوم في حقيقتك بعد أن عاودتك
في خيالك تلك الاعوام الباسمة والايام العزيزة لدى ؟ لست أدري
هل تذكر بين فينة واخرى ، ان كان الى جانبك انسان في سنى
ولونى وأنه لم يسكن له من شأن غير الاخلاص لك ، فيحسب ذلك
الاخلاص أنه كان فتياً وبحسبك ان كنت تعطيه من محض التضحية
ولاء لا شك فيه .

لقد أصبح اليوم عندي حقيقة واضحة ، بعد أن فشلت في
مسعاه وأصابتني الخيبة في مبتغاه ، وان ذلك الغشاء الذي كنت
أحاول وضعه على هيكل مصيرى المؤلم قد تمزق وطوحت به مرارة
الاصاب التى انصبت على .

كل ذلك يا أخى وصديقى أصبح حقيقة لا لبس فيها . فمن
الاجرام البليغ بعدئذ لعواطفى وشعورى أن أستعير الايام غشاء
غير ذا الذي تعيرني اياه ، وأن التحمل ذلك التعليل السميع فى ترقب
مستقبل غير ذا الحاضر اللعين .

سأتحرك يا صديقى . . . بعد أن حزت الايام فى عنقى ، ودكت
فى الحضيض تلك الصورة البئيسة التى تتحرك فى صمت وتنبض
فى وجيعة ! أجل سأنتحر بعد ان ضقت بالارض ذرعاً ، وسبحت

الى غير غاية ، ودون تحقيق أى مدى ، وبعد ان فزعت الى كل
ما يفزع اليه المكلومون مثلى ، من تشريد وموات فى النفس وفناء
فى الحس .

يمضى يا صديقى الا ازود منك بالنظرة الاخيرة ، تحوطها
تلك البهجة التى اعتدت اقتطافها فى مجلسك شبيهة ندية ، لقد والله
لا يدنينى أحد فى هذا الوجود دونك انت بعد ان امطرتنى بواطف
من أياديك وغمر من آلائك وفيض من رحمتك ، فى ساعة تفرغنى
فيها اشباح الناس جميعا ، أولئك الذين غمرتهم من قبل يدي
لا يحزنك يا صديقتى ما أردته لنفسى : فليكن لك منى ذكرى
وذكرى هذه الايام الباسمة التى مرخنا فيها من قبل ، والتى كانت
تزيح عن كاهلى فجيرة الاوهام التى كانت تتمثل فى مصيرى ، ليكن
ما قدر لى فى طوية الغيب ، فانه لحرام أن أحرم حتى من طلاقة
الهواء بعيداً عن هذى الحياة الصاخبة
وداعا يا اخى ، والى اللقاء فى السماء »

وهكذا كان الشاعر ياقوت ، شهابا ساطعا ظهر فجأة فى سماء
الادب ، غير انه سرعان ما أفل واختفى من الافق بعيداً ، ليغرب
الى عالم لا عودة له منه ولا شروق .

الشائرة

— ٥ —

الثائرة

..... كان الجو لا يزال اذ ذاك أقم أدكن ، تكتنفه السحب
الملبدة بالغيوم المتجمعة ، والطبيعة هادئة نائمة ، فقد استسلمت
العصافير المغردة على فئן الدوح الى الوسن ، واطيار الحقول انزوت
في الدغل والوكن ، والافق متوج باكليل من ارجوان . وان هي
الا لحظات قصار ، حتى خاعت تلك السحب المتلبدة في الفضاء ثوبها
الاسود القاتم ، وما لبثت ان ازدانت أطرافها بلون خمرى ساحر ،
ثم تفرقت كل منها عن الاخرى في ناحية من نواحي الفضاء المتراعى
الاطراف ، فاسفرت عن عروس الطبيعة تتيه خيلاء وعجباً
كانت « الجزيرة » اذ ذاك مقفرة الا من شبحين يسيران
على مهل ، وقد تأبط كل منهما ذراع صاحبه ، لا يشك الرائي لهما
في تلك الساعة ، الا انهما عاشقان خرجا في سحر الطبيعة ، يبتان
بعضهما حرقة الهوى ولوعة الحب .

هناك في « حديقة الاسماك » وخلف الجبلالية الضخمة الراقدة
كلهرم الاكبر ، وفي ظلال احدى الاشجار الباسقة فروعها ،
الوارفة ظلالتها ، جلست ميمى والى جانبها زهدى ، وقد أمسكت
بيدها زهرة من زهور الاقحوان ، تقطف ورقة منها تقول يبحنى !
وتمسك بالآخرى وتقول : لا يبحنى !! وهكذا ظلت تنزع اوراق

الاقحوان واحدة أثر أخرى وهى تقول :يجبنى ، لا يجبنى . . .
الى ان استقرت على الورقة الاخيرة فاذا بها تدل على أنه «يجبها» .
وكان زهدى ينظر اليها خلال ذلك فى شغف ، ويترقب فى صبر
نافذ النتيجة الحاسمة ونبضات قلبه تزداد خفقاناً ، وأخيراً رفعت
نظرها اليه وما تزال ممسكة بيدها ورقة الاقحوانة الاخيرة ، ثم
قالت فى نغمة رقيقة :

— تجبنى صحيح يا زهدى . . . ؟

— وهل فى هذا شك يا عزيزتي ؟ ألم تنصح أوراق الزهرة

عن ذلك ؟

— أنا لا أصدق هذا ؟

— الى متى يا ميمي . . . ؟ الى متى تشكين فى حبي نحوك ؟

بأى شىء تريدن أن أبرهن لك . . . ؟ أقسم على ان صورتك
لم تبرح ماثلة أمام عيني صباح مساء ، ولا يفتأ صوتك العذب يرن
فى اعماق صدري وبين جوانحي ، ولقد قضيت أيامى الماضية وأنا
أردد كلماتك « حبك يا زهدى هو النار وجسمى الهشيم » !

وهنا صمت الشاب ، فساد السكون لحظة فى الحديقة كنت لا
تسمع خلالها سوى هبوب النسيم الذى أخذ يحرك أطراف الاشجار
وغصونها فى بطاء وتؤدة . . . يهمس فى المشاعر والعواطف : أن
الحب هو نعمة الشباب وزينة الحياة الدنيا ، والرغبة الفياضة التى
تحرك خلجات النفس بشتى الآمال والاحلام .

وتابع الشاب شكواه قائلاً :

— ميمى . . . ثلاثة أسابيع ولا أقابلك خلالها . . . واسأل
عنك تلك العالم التى شهدت لقاءنا فلا تحيينى بسوى كلمة واحدة
« انها قاسية . انها قاسية » . يعلم الله كم كنت أشقى المحبين وأتعسهم
نفساً . . . ميمى تكلمي فكل ما حوالينا من نور وزهر وهواء
وطير ، يارك لقاءنا .

ومرت فترة سكون أخرى ، تكلمت ميمى على أثرها فقالت :
— أنا قاسية . . . كيف هذا ؟ بل من يستطيع أن يقسو
عليك بعد أن فهمت بهذه العواطف السامية والحب الصادق . . .
بالله لا تدعنى أتحديث أكثر من هذا يازهدى فالكأس طافية
والعين هامية .

وهنا ارتجفت اطراف الفتاة العذراء ، التى لم تعرف طعم
الحب الا منذ شهور ثلاثة ، واصطبغت وجنتهاها بحمرة خفيفة ،
على حين ذرفت عيناها دمعين ساختين ، ثم اخذت يده بين يديها
تشهده على ما يجول بقلبها نحوه من حب صادق وهوى مبرح .
فتأثر زهدى وقال :

— ميمى بالله لا تزيدى بيكائك حرقه قلبي ، واذا
كنت تحيينى كما تقولين فلتكفكنى من دمعك ، ولا تمزقنى نياط
قلبي بنحيبك .

قالت له فى لهجة متبرجة :

— زهدى اننى أقدم لك حياتى ونفسى ثمناً بخساً لشدة
اخلاصك وحبك ... لولا رقابة ألى وجنء طبعهم ، لكننا نتقابل
فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، لما ذالم يهينى الله حرية « الافرنجيات »
فاخرج كيف أشاء دون رقيب !

وهنامرت على شفتى « كيوبد » ابتسامة الظفر والانتصار ، وراح
يرقص فى الجو طرباً ، ثم حلق فوقهما ، يظلل كلا منهما بجناح من جناحيه
خشية ان ترمقهما عيون حراس الحديقة ، وهمس فى اذن الشاب قائلاً :
— تقدم ... اطعنى يا جبان ، لا تخش شيئاً ، أذقها طعم القبلة
وسحرها ، فتستطيع أن تملك قيادة نفسها وشعورها .. أنا أحرسك
وأقيدك شر الميون والارصاد . . تقدم ! !

فانقاد الشاب الى اغرائه ، ثم أدنى شفتيه الملتهبتين بنار الوجد
من فيها المتورد ، ولأول مرة طبع عليه قبلة طويلة حارة

ومرت بعد هذا خمسة ايام سوياً
تعيش ميمى صباحها ومساءها فى جو من تخيلات وأحلام
لا نهاية لها

فى ذات يوم كانت كهادتها فى غرفتها ، متكئة على وسادة ،
بين يديها صورة زهدى تشبعها وابلاً من قبلاها وحرارة نفسها ،
وهى تتذكر قبلته الساحرة فى « حديقة الاسماك » والتي سلبت بحلاوتها
المسمومة نفسها ، ثم تقول وعيناها لا تزالان عالقتين بالنظر الى الصورة :

— ما أحلاك يا زهدى .. من فى الشباب يوازيك أويديك ،
أنت مثلى الأعلى ، غايتى ونصيبي من الحياة ، أنت الأمل الذى
احتفظ به وأرجوه الى يوم الممات ، والزوج الذى انتظر يومه بفارغ
الصبر ، ما أجملك يا زهدى !!

وهنا قطع عليها سلسلة أفكارها وتخيلاتهما ، صوت الباب وهو
يطرق ، فانتفضت وأسرعت باخفاء الصورة بين إحدى المجلات
ودستها تحت الوسادة ، ثم قامت لترى الطارق ، فاذا به جعفر . فتقلصت
عضلات وجهها وانطوت على نفسها ، وقد بدا على وجهها مسحة من
الغيظ والغضب .

أما جعفر هذا فأحد أبناء عمها ، وهو من أغنياء الصعيد ، يناهز
الخامسة والعشرين من العمر ، أسمر اللون ، وهو يقيم عادة فى منزل
عمه عبد الرحمن بك والد ميمى بالعباسية فى فترة زيارته للقاهرة .
وقد شغف الشاب بابنة عمه شغفا زائداً ، فكان يستجدى حبها فى
كل آن فى حين أنها لا تشعر نحوه ولا بشبه عاطفة من الحب ، وبقدر
ما كان يعبدها عبادة ويحلمها أجلا لا كانت تملأ وتبهرم منه .

لم يترك وسيلة لاستجلاب رضاها الا وعمل بها ، يرسل اليها
الهدايا فتتلقاها منه ببرود ، يبعث اليها برسائل تفيض بالوجد الصادق
فلا يكون نصيبها الا سلة المهملات . دخل الشاب غرفة ابنة عمه
وتحسب فرصة اختلاؤه بها فقال :

— مالى أراك هكذا غاضبة يا ميمى

— الى متى ؟ الى متى يا ميمى هذا الازدراء والاحتقار ؟
— لا ازدراء ولا احتقار يا أخى ، فقط ارجو منك ترك هذه

السخافات !!

— سخافة .. ما شاء الله .. وهل كان الحب سخافة ؟

من قال هذا ؟

— نابليون ؟ الذى تحفظ سيرته عن ظهر قلب وتحشر اسمه
فى كل مناسبة وكل حديث يبدو لك !

— نابليون ؟ قول هراء هذا الذى تذكرينه ؟ والا لما شغف
بجوزفين . انها كانت تدفعه بحبها الى طريق المجد .. ألم تقرئى قوله
عن الحب ، وأنه مصدر الهيئات النظامية والقوى الروحية و ..
— أوه .. ابتدأنا فى المضايقة .. من قال لك انى مؤرخة ..
أرجو أن تتركنى وحدى انى فى حاجة الى مثل هذا .

وهنا فتحت النافذة المطلة على الشارع لتتلهى بمنظر العجلات
الذاهبة والآية فى الطريق على حين أخذ جعفر يتدلل اليها ويقول :
— ميمى ، تطردينى ، تهيننى ، أنا جعفر الذى يحبك حباً
جماً ولا يرجو من وراء حبه سوى امر واحد هو رضاك .. انك
تشعرين انى أحبك بل وأعبدك فلم لانها ونزوج ؟
وهنا ثارت الفتاة العصرية المتعلمة التى تنظر الى ابن عمها الفلاح
كما ينظر الانسان الى حيوان قدر أعجم ثم قالت :

— تنزوج؟ كيف هذا؟ أنسيت أنك ابن عمي، أي أخى،
ألا تعرف أن الأخوة لا يتزوجون ولا يتناسلون... هيه... والله
طيب... بطلوا ده واسمعوا ده!
فتوسل الشاب ثانية إليها قائلاً:

— ميمى، اطرحى خيالاتك وأوهامك جانباً، سننزوج،
نحرب... لاشك أننا سنسعد.

الا ان الفتاة اجابته فى صوت مرتفع وبلهجة فيها من الهزء
والسخرية ما آلم نفسه: نحرب؟ المسألة آيه لو تريا... استمع
لى جيداً يا جعفر، اننا نكون اشقى الناس واتعسهم لو تزوجنا،
ان رغباتنا تتصادم، ان عواطفنا لا تتلاءم، انت تعرفنى «الأمود»،
تخرجت من «الميردى ديو» فكيف تستطيع ان اعيش معك فى الريف،
بين روث البهائم وقذارة الفلاحين، أنها سياسة رجل يريد ان يجمع
بين النار والماء. لا... لا... محال، الموت ولا قبر الحرية.

غير ان الشاب نفذ صبره، وطاشت سهام حلمه، وبدأ على وجهه
ذلك الغيظ الذى كان يجتهد مراراً فى اخفائه، فقال فى لهجة
تهديدية:

— ميمى، كان يحسن بك الا تخاطبيني بمثل هذا، وان تعلمي
اننى اعرف عنك كل شيء، ولكن صبراً. انت صرعت احساسى
وعواطفى، فهل يلومنى الناس غداً، اذا وقفت على مصرعك
متشفياً منتقماً؟

ثم تركها وحدها وصدره يغلى بمراحل الغيرة .
ودارت الايام دورتها ...

وجاءت ليالى الصيف بمبجباتها وحرقاتها ...
واكتظت شطوط رمل الاسكندرية بالعائلات الكثيرة التى
تهرب من قيظ القاهرة لتظفى . حرارة ابدانها فى مياه البحر .
وكان طبيعياً ان ترحل أسرة عبد الرحمن بك والد ميمى الى
هناك ، والى أن تجتمع الفتاة مراراً بزهدى .

فعلى الشواطىء وفى المصايف حرية غير محدودة ...
ففى عصر ذات يوم صحو ، كانت ميمى ومعبأصحابها ، يلعبان
بكرة فى الماء ويتمازحان . وجاءت ساعة الغروب فاستبدلا ملابس
الاستحمام وجلسا فى « الكابينة » وأمامهما عدة زجاجات من
البيرة المشاجة ، وكانت الفتاة بين فينة وفينة تقول :

— صحيح راح تخطبنى من « بابا » يا زهدى ؟
— وهل فى هذا شك ؟ انه اليوم الذى أرقبه بفارغ الصبر .
— ومتى .. ؟ لقد مضى علينا نحو ثمانية شهور الآن .
— أليس لديك من الصبر ما تنتظرين به ظهور نتيجة
الدبلوم ؟ . بعدما سوف أذهب الى والدك أطلب يدك منه .. آه !!
ما أحلى الزواج الذى يعقب الحب يا ميمى ؟
فسرت الفتاة من حديثه ، وتناولت كوبة البيرة لترشفها فى
حسوة واحدة ، ثم تتلوها بثنائية وثالثة ، الى أن تحس بثقل شديد فى

وأسها فتسندها الى صدر زهدى ثم لم تعد تشعر الا وهى مطوقة اياه
بذراعيها البضتين ووجهها المتورد الملهب يقترب شيئا فشيئا من شفثيه .
واطبقت الشفاه فوق الشفاه الى أن التقت عند قبلة حارة استسلمت
الفتاة بعدها لكثير منها .

وأطل عليهما « كيوبد » من كوة « الكاينة » وأخذ يرشهما
بسهامه ويهمس في أذن كل منهما قائلا :

— ما أحلى الحب ! ولكن ما الفائدة اذ لم يكن مصحوبا
بلذة بعد نشوة . ! !

فنظر كل منهما نظرة أمنا بها على قول « كيوبد » ، ثم راحا
يستسلمان لنشوة الرغبة الحارة التى تضطرم فى صدر كل منهما .
ووصلت ميمى الى منزلها هذا المساء والليل قد انسلخ منه
نحو ثلثه ، وما ان غشيت غرفتها حتى انطرحت فوق مقعد ولا
تكاد تتصور ما حدث لها بالضبط ، وأخذت تجهش فى البكاء
بصوت خافت . . .

لقد انتهك عفافها على غفلة منها وعلى غير انتظار فسلبها أئمن
جوهرة كانت تعزبها وترجوها . . . !

وظهر « كيوبد » فى سماء الغرفة محلقا وهو يقول مستهزئا :
— ما أحلى الحب . . . هذا كلام لا ينمقه سوى الشعراء ،
وداعا بنيتى وداعا الابد ، سوف اختفى من أفق حياتك الوضاء ولا
أضايقتك بثررتى مرة أخرى .

وأخيراً قامت الى مضجعها تجر اذيالا من الحزى والخذلان ،
ثم اطفأت السراج بعد ان كفكت دمعها وهي تقول مسرة في نفسها :
— لقد انتهى كل شيء ، فلا وصل ما انقطع ولا جبر ما انكسر
بعائد في الامكان .

ومرت الايام مر السحاب . . .
واقفرت المصايف من اهلها
وفي ذات مساء دخل عبد الرحمن بك والد ميمى الى منزله
وهو مضطرب الاعصاب مكفهر الوجه ، عليه مسحة من الحزن
العميق ، ودعا اليه ابنته في الحال التي اعتراها ذهول خفيف ، وهي
ترى أباه على حالة من الغضب لم تعهدا فيه من قبل .
لم ينبس الرجل ببنت شفة ، بل أشار عليها بالجلوس ، وبعد ان
اغلق الباب دونهما قال :
— أظن انه ليس بي حاجة الى التحدث اليك ، بعد ان كنت
اثق بشرفك وطهارتك ثقة عمياء .
قالت ميمى في اضطراب :
— انتي لا زلت عند حسن ظنك بي يا ابت . .
الا انه ثار وقاطعها صاخبا :
— اخرسى . . . تحاولين خداعي وتضليلي ، لقد ظهرت لى
الآن علاقتك مع عشيقك الفاسد بعد ان اصبحت حديث المجالس

في البيوت ، لقد كنت ارى الناس يتهايمسون عند ما يجدونني مقبلا عليهم ، ولم اكن افهم السر في ذلك ، الى ان افصح لي جعفر صباح اليوم كل شيء .

وهنا أخذ صدر الفتاة يعلو ويهبط ، وأخذت قواها تخور شيئاً فشيئاً ، وتصبب العرق البارد فوق جبينها ، فاستندت ظهرها على المقعد ثم قالت في صوت متلعثم واه :

— جعفر يكرهني وقد دس لي هذه الوشاية . ان علاقتي ...

علاقة شريفة ، علاقة حب طاهر

قال الرجل متهمكا والشرر يتطاير من مقلتيه :

— علاقة شريفة ... ؟ ما هذا الذي اسمعه منك وما هذه

الجرأة التي لم أعهد لها فيك ؟ نحن هنا في مصر ، في الشرق ، حيث ان الفتاة التي تحب ولو كان حبها طاهراً سماوياً كما تقولين ، فان الناس يقولون عنها ما يحلو لهم ، يعتبرونها فتاة فاجرة مستهتره ، لا أسره تخاف على عار منها يلحقها . اما هذا الذي تظن انه اليوم خطيبها وغدا زوجها ، فهو مراء اثم ، لانه يسلبها نعمتها ويحطم بيده تاج سمعتها باسم زائف قوامه الحب والتضحية الصامته والوفاء ... وما الى غير هذا من الفاظ منمقة جوفاء .

أمامك الآن احد أمرين ، اما ان تمسحى هذه الوصمة التي شوهدت بها جبيننا امام الناس بزواجك من ابن عمك جعفر ، أو أدبر انا حلا آخر قد لا يكون في طوقك الفكك منه ، وفي انتظار ردك في الصباح .

ظلت المسكينة سحابة يومها وشطراً طويلاً من ليلها فريسة
للآلام القاسية والأفكار الكشيفة ، تحاول أن تجدها فرجة تفر
منها فلا يسعفها عقلها الشتيت ، على أن الشيطان مهد لها طريق
الخلاص ، هو أن تترك بيت أبيها ملتجئة الى زهدى

وعند الصباح فيما كانت الخادمة تدخل الى غرفة سيدتها لم تر أحداً
وقد شعث اثاث الغرفة . فأدركت أن امرأاً كانت تتوقعه قد حدث
واستأفقت نظرها رسالة موضوعة على المنضدة معنونة باسم سيدها ،
فأخذتها اليه ، وما أن فضاها حتى قرأ فيها :

« اسمح لابنة أكرمت في حقك أن تستميتك عفوكم
ومغفرتك ، راجية من سعة حلمك وصبرك ما يجعلها تتحمل تبعه
الخطيئة التي اقترفتها .

لقد كنت دائماً عند حسن ظنك يا ابت ولكم كان بودى
أن أقدم اليك فى مستقبل حياتك وشيخوختها حياة سعيدة نحيها
معا ، فأنعم الى قرب زوج أحبه ويحبني ، لكن عقيدتك الفاسدة
التي أوحىها اليك قدم التقاليد ورجعيتها ، من أن الزواج ما هو إلا
شركة مالية يتعاون الزوجان فيها على ادخار المال واكتنازه فسدت
تعالمك التي ظلمات تبثها فى نفس ابنتك ، وتروضها على التشبع
بها قسراً ، حتى دفعها هذا الى أن تقطف ثمار الشجرة المحرمة
للتذوقها ، وتخرج اليوم من فردوس طاعتك .

أردت أن تزوجني من ابن عمي جعفر لا لشيء غير أنه ثرى

وذو مال ، وكنت انا امقته وازدرية . وانت بكل ذلك عليم ،
لكنك كنت تود ان تثدني معه وأدأ ، كنت تريد ان تدفني
حية في بيت الزوجية ، ما دام في ثروته وجاهه اسعادهك واتقاذك من
برائن الافلاس . فكنت انا الضحية وكنت انا القربان الذي يقدم
على مذبح الاغراض والمطامع .

اغادر منزلك حزينة باكية ، الى حيث صوت الحب يهتف بي
ويدعوني ، وما كنت أسيرة عندك ليبتاعني من يدفع الثمن ، وما
كنت أمة وقد خلقني الله حرة . هل تسامحني يا أبت اذا ما اختتمت
كتابي اليك ، بان ارجو منك ان تصفح عني وأن تذكر دائماً انني -
رغم اساءتي هذه - لا ازال استحق كل عطف ورعاية منك - ميمى .

وغادرت ميمى منزل ابيها بخطوات فسيحة في شارع العباسية ،
وكانت الريح تعصف بشدة فيسمع لهبوبها أصوات أشبه بالرعد .
أما السماء فكانت ملبدة بالغيوم تحجب ضوء القمر ، ويلبس شعاعه
الفضي اهاباً من دكنتها ، وان هي الا برهة وجيزة حتى تعثرت
البروق في أذيال الصواعق تبعث الرعد الداوي نذيراً بمطر غزير
أما الشارع فكان يرى في تلك الساعة المتأخرة من الليل موحشاً
مقفرأ ، الا من ذلك الدائب على ملابسته « رجل البوليس » وقد
انتحى لنفسه مكاناً يتقى به وابل المطر والزمبرير ، اما الفتاة
فكانت لا تلوى على شيء ، عافها الخوف والوجل ، فيا لله !! اية

قوة تلك التي كانت تساعدنا على ان تهزأ بالمطر في هذه الساعة المتأخرة من الليل .

اخترقت الفتاة شارع العباسية ، الى ان وصلت ميدان باب الحديد ، فاخذت عربة « تكس » وأمرت السائق بالذهاب الى المنيرة حيث يقع منزل زهدى .

وما ان طرقت بابه ، حتى جاء زهدى يفرك عن عينيه أثر النعاس ، وما ان صار امامها حتى بهت وقال في اضطراب :

- ميمى .. كيف أراك هنا في مثل هذه الساعة

— نعم ميمى ؟ لعلك لم تكن تستحسن ان أزورك في منزلك ؟

— لا .. لكننا مفاجأة غريبة . مالى أراك هكذا محمرة

العينين شاحبة الوجه ، خير ان شاء الله !

وهنا أخذت الفتاة تقص عليه من انبائها ، وكيف أغلظ والدها عليها القول ، وكيف أرادها على ان تزوج ابن عمها ، ولكن العهد الذي قطعه معه ، كان أمتع من أن يصل الى وشيخته فيفصمه . وأخيراً قالت في زفرة حادة :

— وها انه لم يبق لى فى العالم سواك ... وقد جئتك اطاب

عونك ويدك ، فهل تتخلى عنى انت أيضاً ؟

— لا ... ولكن ؟

- ولكن ماذا أيضاً ؟

— ولكنك تعلمين قسوة أبى معى ، ماذا يكون جوابه لو حضر

من الريف يوما وراك ثم سألني عن تكوينين ؟ تصويرى أى موقف
خرج أوقفه ساعتئذ أمامه لا ... لا ... يا ميمى ، خير لك ان تعودى
الى منزل والدك وان ترضخى لامره ، واذا لم يكن مرصوداً لنا
فى لوحة القدر ان تشارك حياة الزوجية وشيكاً ، فهذه ارادته تنفذ
علينا كما تنفذ على اشتات الناس جميعاً . لتكن صداقتنا أوفى من
ذلك الرجاء الذى نستدرج به يد المستقبل على غير جدوى ،
ويمكن وفاؤنا فى هذه الصداقة عوضاً عن خيبتنا فى أحلامنا . . .
الى منزل والدك يا ميمى فبين اعطافه الوان سعادتك وأحداث
هنائك ، فان أمضت العود فمن حق الوفاء على نحو صديقه أخلص لها
الود أن أدبر لك مسكناً تأوين اليه فى خفض وبسطة من العيش .
وهنا قاطعته الفتاة محاولة التمهوض من مقعدها قائلة :

— كفى . كفى . لست بحاجة الى احسانك ويدك ، لقد
كنت أحسب انك ستشاطرنى مصابى كما شاطرتنى من قبل تلك
الساعات السعيدة التى اتجرع اليوم بالغ غصصها ، لكنك تدع
العبء على رأسى لاجله وحدى ، كفى يازهدى ، كفالك هزواً
وسخرية ، كفالك خداعاً وتغريباً . لقد كانت شفقتك ترددان كلمات
الحب رياء وبهتاناً ، كذباً وزوراً ، كنت تغرربى ، تخدعنى ، الى
أن طويت اليك من نفسى وأسلمتك ما كنت تشده وتبتغيه . لقد
أتيت اليك فى منزلك أقدم لك قلبى وحبى ، لكنك تطردنى منه شر
طردة فيا لضعف المرأة وبالشقاها اذا ما أسلمت نفسها الى الرجل .

لقد عرفت الساعة كيف يضمحل ثوران القلب بالخنوع والاسسلام ،
وان هذه النار التي كانت تضطرم في صدرك ، سرعان ما تحولت
الى قطعة من الثلج البارد ، فما اتعنى الساعة ، بعد أن سلبتني هذه
النعمة وخلعت على هذه النعمة .

قال الفتى متلعنا :
قال الفتى متلعنا :

- أكل ذنبي هو أنى أريد أن تذهبي الى منزل والدك ابقاء على
سمعته وعرضه من أن تلوثيه .

قالت الفتاة فى همهم مر :

- عرضي ... ؟ يا الله من جرأتك ! وما يهمك من الاعراض

وأنت ذئبها ؟ !!

- ميمى ... ؟ انك تكيئين لى التهم جزافا دون وعى أو رشاد !

- انك اليوم خسيس ، نعم خسيس ، وليس أدل على خستك

مما أتيت به الآن معي ، نذل ، لص ، اعراض ، ساقط المروءة و الشرف .

وخلعت من يدها خاتما كان قد اهداه اليها وقذفت به الى وجهه

ثم تركته فى موقفه ذاهلا مشدوها ، وقد عقدت الدهشة لسانه .

ونظرت ميمى الى نفسها فاذا بالرجل الذي حملته أمانة الحب قد

تخلى عنها وهجرها ، فاضلمت غياهب الكون فى وجهها . وراحت

تندب سوء حظها العاثر ومصيرها الخائب على « جسر قصر النيل »

وهي تراود نفسها على الانتحار . غير انه سرعان ما نبذت هذه

الفكرة التي لا يابجأ اليها الا ضعفاء الايمان . لقد كانت تعز بثقاتها
وتعليمها ، وكانت تظن انها ستقيمها عثرة الزال ، ولكن ثورتها هذه ،
هي التي توقفها الساعة هذا الموقف المزرى المشين .

لم يهبط عليها في تلك اللحظة « كيوييد » يزين لها الحياة
بريشته المزيفة ويدفع بها الى مواطن الائم ، بل نزل عليها
ملاك يرشدها الى الطريق السوي ويأخذ بيدها الى بيت عمتها ،
تلتجىء اليه وتفصح لها حقيقة ما حدث .

في هذه الليلة تم عقد قران ميمى بابن عمها جعفر في حفلة عائلية
بسيطة ، بعد ان رجعت الى بيت ابيها برفقة عمتها تستغفره ما سلف ،
وقد أحاط الحفلة بهجة لم يعدها بيت عبد الرحمن بك من قبل ،
وتبدلت اتراحهم أفراحاً . فكم من عاثرات الجد ، يخونهن الحظ في
ود الرجال فيودين بانفسهن حنفاً منتحرات ، لكن الله كان
ارحم بميمى وابيها من ان يفجعه في وحيدته ، فشملتها رعايته ،
وازاحت هذه الثورة الجائمة على صدرها ، لتعيش في كنف الرجل
الذي كانت تبغضه وتكرهه .

الغمام
- ٦ -

الغمام

« الى الرجل الثاوى في مقبره الابدى . . . والذي اثار
- موته - هذه الذكريات الدفينة في صدرى ، فاندفعت
تباعا على هذه الصفحات »

دعاني للاسراع في زيارته ، حتى يتزود منى بالنظرة الاخيرة ،
فقد كان يعزنى دون الاصدقاء جميعا ، فلا عجب ان تذكرنى وهو
فى ساعته الاخيرة ، يحتضر على فراش الموت وينتظر بفروغ
صبر ، الساعة التى لا مغر له منها ولا عاصم . .

وهرولت مسرعا الى سرير المحتضر ، احادثه وانا حيه باعذب
الامال ، رجاء ان اخفف عنه ولو جزأ يسير أما بما يعاينه ، وحشيرة
الموت تسرى فى جسمه الواهى فتتهز كيانه وتزعزع أركانها ، لكنه
كان صامتا يتألم ، ينظر الى بعينه ولا يستطيع التعبير بما يحول فى
نفسه ، ويبدى بيديه اشارات معنوية ، كأنما فى قدرتى ان احول
بينه وبين ملك الموت الذى يرتقبه .

ومرت بنا فترة قصيرة ، لبثنا نرتقب خلالها تمشى الموت فى
هذا الجسم الآخذ سبيله الى الانحلال ، وعلى حين بغتة ازدادت
حشيرة الموت فى صدر المريض ، ولبث يشق شهقات عاليات

بجالد ملك الموت ويقاومه ، ثم همدت حركته شيئاً فشيئاً ،
فتراخت شفته ، وانفتح فيه بشكل يستثير منا كل عواطف الرحمة
والاشفاق ، واخذت عضلات وجهه تنقلص شيئاً فشيئاً ، على حين
غارت عيناه وتراخت اعضاءه ... وعوى في خارج الغرفة كاب الدار
قادر كئنا أن هذا ولا شك نذير الفناء ، ثم سقط رأس المحتضر
على فراشه من فرط الاعياء ، واكتسي وجهه اصفرار مربع ، فاعترانا
وجوم مريب ، وقلنا في صوت واحد : إنا لله وإنا اليه راجعون ،
مات الرجل الصالح وفارق الحياة الى حيث لا عودة له اليها

وكانت ابنة الرجل تقوم نحو ابيها بخدمة التمريض ، فلما عوى
الكلب ، اسرعت الى فراشه تدين الحقيقة المرة ولا تكاد تصدقها ،
ثم سقطت مغشية فوق جثته ، ووقعت بين عاملين مختلفين ، ان اخلص
هذه الفتاة الخائبة فوق فراش ابيها ، او ان اعنى بحالة الميت .

ومرت بنا فترة قاسية لبثنا فيها صامتين ، كان ملك الموت
يغادر الغرفة خلالها بعد ان انتهى من مهمته ، مطأطئين رؤوسنا
احتراما لذكر الموت واجلالا لسلطوته وشديداً بأسه ومحاولة لحل
هذا اللغز الصامت الذي وقفت دون ادراك كنهه قوى الانسان
ومعجزاته .

واسرعنا الى الميت فاسجينا في اكفانه ثم دثرناه في عبائته
واوقدنا الشموع حوله ، وجاء رجال الدين ليتموا اجراءاتهم
الرسمية ، وكانت كفة الليل قد رجحت ومال ميزانها ، فجلسنا من

فرط البكا. والاعياء صامتين ، كل منا يفكر في يومه ومصيره .
اما هي — ابنته — فكانت تجلس قبالي ، تبدو في ملابسها
البيضاء الزاهية كالملائكة الاطهار ، وكنت انظر اليها بين الفترة
والفترة ، لاتزود منها بالنظرة تلو النظرة ، ولاشبع نفسي بصورة
حية من صور جمالها الفتان الذي طالما همت به ، ولاني أحس أن
هذا آخر عهدا بلبس البياض ، فقد لا ينقضي الليل حتى تتشح باهاب
السواد ، وهو أكره الالوان الى قلبي ، لانه يمثل الحزن الساجي
والاسي الداجي ، وانا لا احتمل ان ارى الصورة التي طالما احببتها
في مثل هذا اللباس البغيض الى نفسي ؟

وشمل الجو سكون جاف ووحشة مروعة ، فحلقت بذهني
في أجواء الذكريات القائمة ، رجاء ان أعيد على صفحته صورة من
صور الماضي البعيد ، وسر ارتباطي بهذه الاسرة التي توفي عميدها
الساعة .

ففي السادسة عشرة من عمري ، عندما ارتحلت الى القاهرة
لالتحق باحدى معاهدها العلمية ، اتخذت الغرفة من المنزل المرقوم
(—) بشارع (—) مسكننا لى ، وكانت اذ ذاك تقيم في نفس
المنزل الذي اقطنه .

كنت أكبرها بعامين ، وكنا لانزال حديثي السن تجري
في عروقنا دماء الشباب الحارة الملتهبة ، نخرج في الصباح الباكر

فمنصحب بعضاً في الطريق ، كل الى مدرسته ، لانجد ما نتحدث
به سوى حديث الصبا . الامل الواسع والحلم المتراعى الاطراف ،
حديث من يود ان يملك الدنيا ومن عليها ، أو احاديث شتى تثيرها
ذكريات مختلفة تمر عليها عرضاً في الطريق : السينما ونجومها ، الالعب
الرياضية وابطالها ، الملاهى وروادها أو الصحف المصورة واخبارها ،
حتى اذا ما اوصلتها الى باب المدرسة انقطع حديثنا
فاذا أتى المساء جلسنا جميعاً الى منضدة واحدة نستذكر دروسنا
وكنتم أساعد أخاها في درس اللغة العربية وتفهم معانيها ، وكنا
أحياناً نشترك في لعب الورق ، أو أحاديث قصصية شتى بعد
الفراغ من المذاكرة وتناول طعام العشاء .

ها هي العطلة الدراسية أقبلت ، وها قد أصبح لزاماً على
ان أغادر القاهرة الى مسقط رأسي وسط اهلى وعشيرتي ، وتحين
ساعة الرحيل ، ولاول مرة في الحياة ، أبكى بحركة لفرقة احباء
اعزهم وأصدقاء اجلهم ، وجاءت الى المحطة خلصة تودعني فاثارت
اهتمامى وازداد اكبارى لشأنها ، وكنت اشعر نحوها بشعور مبهم ،
شعور لا يستطيع ان ادرك كنهه ولا معناه . ويتحرك القطار ، فاندفع
اليها لاقبلها في جبينها كما يفعل الاخ مع اخته ، فتقبلني هي الاخرى
بدورها قبلة سرت لها في جسمى قشعريرة بت من أجلها كالمحموم
وفي القطار .. جلست أفكر وأنا مبلىل الخاطر ، ثائر العواطف

المتباعدة ، جياش المشاعر الهامية التي كنت اجهلها بالامس والتي اول
ما يصادفها الشاب في أول دور من ادوار حياته فتكونه تكويناً
جديداً ، وتغير من خطة اتجاه نظره نحو مغزى الحياة ومرمى
الامل

كنت افكر في حالتي النفسية التي اخذت تضطرب ، وجسمي
الذي تزدد من آن لآخر حرارته فادركت اني ولا شك مصاب بداء
خفي عني سببه ، وان ما ينتابني الساعة ليست الا اعراض مرض استتر امره
أجل .. !! فقد كانت اعراض مرض الحب !

وفي الريف كنت امضي وقتي في تحجير الرسائل اليها ، اشرح
لها ما اعانيه من الوجد والصبابة وألم الفرقة ومرارة الالتئاع ،
اما هي فكانت كتبها الى — والحق يقال — خلاصة لما يجيش
بصدرها نحوى من حب لاعج وهوى مبرح ، وكنت اجد فيها
من الحرارة ما احتفظ بها علي صدرى طول الليل .

سرعان ما مرت العطلة الدراسية وعدت الى القاهرة والتقينا
لقاء حاراً ينم عما جد بقلب كل منا ، وعادت الى مدرستها وعدت
الى مدرستي نسير في طريق واحد ، ولم يكن حديثنا المرة حديث
السينما وروادها ، بل تبدل بحديث آخر : حديث الحب وابطال
الحب ، حديث الشباب ، احاديث الامل التي تفتح لها قلب
كل منا

كنا ننتهز فرصة ايام عطلات الدراسة او الاعياد ، فنبكر
بالخروج الى الخلاء ، نحمل معنا طعامنا ، وهناك وسط الحدائق
والمتنزهات نجرى لنختفي وراء الاشجار ونمرح لنختلي تحت خمائل
الاغصان ، وكانت احيانا تصحب معها ادوات تصويرها ، ترسم
بريشتها هذى المناظر السحرية التى تحيط بنا من كل جانب ، مناظر لا
يشعر بمجالها وروعها ، الامن تذوق القاهرة وجمال جوها فى ايام الشتاء
وفى الليالى القمرية ، كنا نقضى النزهة ليلافى ظلال الاهرامات
وفى كنف ابي الهول حارس الصحراء والباسط نفوذه وبأسه عليها ،
وهناك فوق الارض المقدسة التى باركها آبائى وأجدادى ، نجلس
لنتحدث حديث الامل والمستقبل .

وترسل صوتها الساحر لتحمله الرياح بعيداً وتردد صداه
بتلك الاغنية القومية الخالدة ، التى لا يكاد يسمعها - الايطالى -
فى بلاد الغربية حتى تثير من نفسه هواجس وذكريات جمة نحو
وطنه ، تلك الاغنية التى مطلعها ..

Bella Napoli, terra d'amore

ويلقى القمر اذ ذاك باشعته الفضية فتعكس فوق شعرها
السكنائى ، وانمر وجهي وسط هذا الشعر المتماوج لا قبله بشغف
ووله ، وتنظر الى بعينها الصافيتين فأرى الدنيا مجتمعة فيهما
والسعادة تتدفق منهما وتبتسم فاميل على شفثيها لاخفى ابتسامتهما
واتحدث عن الحب فاشعر بيدها البضة تلتف حول عنقي فى صمت لا

يعكر صفوه سوى هبوب النسيم ، ثم أشعر بدقات قلبها ، وقد التصق
صدرها بصدرى حتى كاد القلبان يتبادلان موضعهما
هكذا لبثنا نمضى الحياة سنوات ثلاث
الدنيا ليس فيها غيرنا ، والسعادة لم يذقها أحد قبلنا
آمال كنا نسرى بنجمها اذا ما ادلهم بنا ليل الخطوب
والحوادث ، وأحلام كنا نسير فى أجوائها اذا ما فكرنا فى المستقبل
السعيد الباسم

على أن كائنا من كان ان يصدق ان هذا الحب الذى ملك
ناصيتنا وشعورنا ، والذى بذلنا فى تشييد صرحه كل ما نملك من
دموع وآلام ، ستأتى عليه الساعة التى يهدم فيها ويخبو
أحيانا ليستكن ، وان تقوم فى وجهينا صعاب وعقبات لا قبل لنا بها
فتحول دون أمام ثمرة هذا الحلم .
كنت مصريا وكنت اجنبية . .
ومن اجل هذا اقترقنا
كان كل منا يحاول ان يفك عنه تقاليد قومه لينزع الى مختلف
من العادات والاخلاق ، ومتباين من المشارب والاهواء ، لان
اعتقادنا هو أن المدنية تمحو طباع الاقوام وتقاليدهم وان الحب
وحده كفيل بتحقيق كل ما نرجوه .
فلما صدمتنا الحقيقة المرة ، وصادفنا اول فشل فى الطريق ،

بكينا بكاء مرأ تقطعت له نياط كل منا ، وكانت هذه اول عقبة
لا حول لنا بها ولا حيلة .

كنا نجلس يوما في « جزيرة الشاي » بحديقة الحيوانات ،
بعد ان اعلن كل منا بالفشل والافلاس في مشروعه ، وكان المطر
ينهمل اذ ذاك مدراراً ، وكنت ابكي كالاطفال الصغار حرموا لذة
اللعب والحلوى . اذرف الدمع من عيني سخينا فيسقط عمداً في
قدح الشاي ، كما كان يسقط رذاذ المطر فوق صفحة البحيرة
الساكنة التي نشرف عليها ، فيوقظها من سكونها وحلاوة احلامها ،
واذا بي في سرعة وبلا تدبر ، اتجرع دموعي ممزوجة بالشاي !!
اية فجيحة بل واى اسى الذى لحق بي تلك الساعة ، فجعلنى
أتجرع دموعي لتعود الى مجاريها ، أهى أنانية فى البكاء ، أم خيبة
للالمل الذى تعلقت باهدابه سنوات فراح فى ساعة !!

اما هى — فكانت ملتزمة بجانب الصمت — وكانت
تلوح على محياها أمارات الحزن الساجي ، تتناول قطع الخبز من
أمامى لترمى بفتاتها الى الطيور التى تجمعت فى البحيرة بالقرب
منها ، حتى اذا آذنت ساعة الرحيل ، قفنا نجر وراءنا اذياتنا من
الخبية والانكسار .

وكان هذا آخر عهدى بها ، اذ غادرت العاصمة الى السكنى
فى الضواحي ، أما هى فسافرت الى وطنها — ايطاليا — رفقة امها
لتبديل الهواء

وهكذا اختار كل منا مكانا قصيا يبعده عن مكان الذكريات
القاسية ، فيتناسى بين أجوائه نضوات قلبه الطليحة ونزوات
نفسه الجريحة .

يقولون ان الحب حلم جميل ، وان المهجر هو اليقظة التي
تعقب هذا الحلم ، وان الحب فردوس متناهي الاطراف والزواج هو
الثمرة التي نحملها أشجار هذا الفردوس .

وكان لنا فردوس وكنا سعداء ان نتفيا ظلاله ، وان نجلس
ساعات تحت خمائله وأوراقه . وكنا نشعر بغبطة لاتعادلها غبطة
اذا ماسرنا في أخاديه ، لكن ماكدنا نهم بالاقتراب من ثمار
هذا الفردوس لتندوقه حتى حلت علينا نقمة الآلهة ، وصبت
علينا جام غضبها وشررها فاخرجتنا منه عنوة ، هائمين لاندري
الى أى طريق تقودنا اقدامنا . . .

وكان حبها جنتي وطردت منها . . .

حدث هذا منذ سنوات ثلاث لم التق بها الا قليلا ، كان
الحديث خلالها عاديا ، ولم يحاول أحد منا أن يشير للآخر ذكريات
تهتاج لها مشاعره وتفتح من أجلها جراح قلبه . على أن مرة وفي
احدى حفلات عيد رأس السنة الميلادية ، دعيت لتناول طعام العشاء
على مائدة بهم ، وبعد الفراغ من الطعام ، كنا نلعب الورق سويا ،
والغرفة خالية الا منا نحن الاثنين ، وفي خلال اللعب ، همست

بصوتى قائلا :

— تذكرين ولا شك ليلة فى الاوبرا كنا نشاهد فيها مسرحية
ديماس الخالدة « السيدة ذات الكاميليا » ، أنذكرين حديث
ارمان دو فال لمرجريت جوتيه عندما كان يجرب واياها حظه
فى اللعب ؟

قالت : أذكر هذا ولا أنساه ، ألم يحدثها ان السعيد فى الحب
تعس فى اللعب ، وان التعس فى اللعب سعيد فى الحب .
قلت لها : هو ذاك ! والآن جاء دورى فانا أربح بسرعة
وبكثرة غير مألوفة .

فتنهدت طويلا وسقطت من عينيها دمعتان بللتا ورق اللعب .

لم أصح من قسوة هذه الذكريات التى ظلت تمر تباعا امام
خاطرى كما يمر شريط الخيالة ، الاوصوت مؤذن المسجد القريب
يعلو ليدعو المتعبدين الى القيام لصلاة الفجر التى هى خير من النوم
ومرت فترة قصيرة ، بزغت الشمس بعدها من خدرها تحمل
أشعتها نبال الفجيرة المرة ، والقت خيوطها الذهبية فاخرقت ستائر
الغرفة الحربية ، وقت من مقعدى متاقلا لالتقى نظرة على حالة
الفقيد الراقد ، فاذا بوجهه ازداد شحوبا واصفرارا ، فوجمت
وارتجفت ، وتولانى الفزع الاكبر ، لانى تذكرت الساعة التى
أصير فيها ركننا هامدا مثله ، واذا بهاتف يهمس فى أذنى :

مالك والموت ، انك لا تزال بعد في مستقبل العمر وربيع
الشباب ، والموت بعيد عنك براحل .

قلت في نفسي :

— ان الموت جبار لا يرحم ، ان بين ملك الموت وبين
الاحياء ثار دائم ، لا يهدأ ولا يدول ، الا اذا تغلب الاول على
الثاني وقهره وشهد مصرعه .

وقرعت نواقيس كنيسة الحى ، تحمل كل دقة من دقائقها ،
نبأ الرزء المشئوم ، واقبلت وفود العزين ، ليشتروا في تشييع
جثة صديقهم الراحل الى مقرها الابدى وليخففوا عن اهله وقع
المصاب وهوله .

وجلس رجل مسن قد اقتربت قدماءه من حافة القبر ، ليتحدث
الى الحاضرين ، فذكر أن الموت حق ، وان لكل نهاية ، وما
العمر الا فترة قصيرة ، تمر بنا سراعا فتذوب في حرارتها قطع
من ابتساماتها .

وقلت مخاطبا نفسي :

— حقا الحياة كالحب ، كل يولد ليموت ، غير ان الحب
عاطفة ، وقد تمحى بعد فترة من الزمن ، لتبعث بعثا جديداً
وقالت ابنة الرجل ترثيه :

— ليمتك تذكرنى يا ابت فتأخذنى معك الى رمسك ، انى
أحس بالدنيا تضيق فى وجهى وتظلم فى ناظرى ، لقد كنت لى

كل شيء ، فلما فقدتك فقدت كل شيء

فتجادلت وقلت لها في صوت ضعيف:

- خفي من لوعتك ولا تقطعي نياط قلوبنا بنحيبك ، فان
البكاء لا يعيده ثانية الى الحياة .

وآذنت ساعة السير بموكب الجنازة فامسكنا الغطاء استعداداً
لوضعه على التابوت ، واذا باصوات البكاء ترتفع وتعالى حتى لتكاد
تأخذ طريقها الى السماء ، وأقبل الاهل والصحاب متهافتين ، ليودعوا
الفقيد قبلتهم الاخيرة . .

اسمكم هو عزيز على النفس ان نحكم وضع الغطاء لنحجب
وجهه عن العيون والابصار ، وان ندق آخر مسمار في النعش
لتختفي صورته الى الابد ، وان نتكاثف لنحمل هيكله المتداعي
الاركان على اعناقنا ، حيث نودعه حفرة يغرب منها الى عالم لا
عودة له منه ولا اياب .

وبعد مسيرة نحو ساعة ، كنا على ابواب « مدينة الاموات »
نظرقها لنودعها ضيفاً جديداً . فاذا باليوم والغربان يحوم في جوها فتملؤه
وحشة وفزعاً ، واذا المقابر مقبضة مقفرة ، لا انيس فيها ولا جليس
ولا صوت يرن في ارجائها ولا صدى . لا نور يضيء اركانها غير
عظام بالية وهوام تتطاير فوق الجثث الراقدة حتى بتنا نتخيل ان
الموت جاثم فوق كل قبر ورايض فوق كل صخر .

وضعنا التابوت في رمسه ، وبعد ان اهلنا عليه التراب ، وقف

رجل من اصدقاء الفقيد امسك بيده حفنة من التراب ليلقيها على
قبره ويقول :

— خلقت من التراب وها انت اليه تعود ، الى الملتقى يا صاحبي
لا تخش شيئاً في وحدتك . فسنخلق بك جميعاً عما قريب .
وكان الغمام قد تجمع وتكاثف في الجو فلف الشمس في ثوبه
واحتجب قرصها المتورد وتلاشى في سواده . في هذا الموقف الرهيب
ذكرت الحياة والموت والخلود والعدم . ما قيمة الحياة اذا كنا كهوام
صغيرة تدب على الارض . تذروها الرياح في مهبطها فتتلاشى سرعاً في
الجو . ها هو حي الذي كنت ابذل له من دم مهجتي وشبابي .
سرعان ما تلاشى كالبخار الذي تمزقه الرياح في يوم عاصف ، وها
هو الرجل الذي كان الى الامس يملأ الدنيا فتوة ونشاطاً ، فاذا
بالموت يخطفه من بيننا في ساعة واحدة ليحجبه عن العيون والابصار ،
كما حجب الغمام الشمس التي كانت تضيء لنا منذ ساعات ؟ !

رقصة الرومبا

— V —

رقصة الرومبا

عادت من . . الى غرفتها بالبنيون الذي تقيم فيه . بقصر النيل « في نحو منتصف الليل تقريبا . وبعد أن نضت عنها ثيابها في تراخ ، ارتمت على فراشها في ضعف ووهن . وفيما هي تفكر في السينما التي ذهبت اليها رفقة أحد أصدقائها ، وتستعرض أمام مخيلتها حوادث الفيلم الذي شاهده . . تلك المرأة التي ارغمها بعض الرجال السكرى على أن تجاريهم في شرايهم ، فلما امتنعت لأنها لم تتذوق طعم الخمر بعد ، انهال عليها احدهم بسوط في يده ، فجرت دموعها في الكأس حتى طفح ، وأخذت تتجرع الشمبانيا ممزوجة بالدموع .

فيما كانت من . . تفكر في هذا كله ، طرق باب الغرفة فأفاق قليلا من غشيتها ثم قالت بالفرنسية :
— انتريه . . . ادخل

ودخل مجدى متجهم الوجه ، تكاد تحتبس أنفاسه في حلقه غيظا ، وتعلو ملابسه أوحال المطر الذي كان ينهمل اذ ذاك في الخارج ، وبعد أن رمى ربطة « الجاتو » التي في يده على المنضدة وألقى على من . . نظرة حاول بها أن يستشف مكنون نفسها ، خاطبها قائلا :

— لقد انتظرتك حتى الساعة بحلولانى « الوفير » حسب
موعدنا ، فأين كنت ؟

— عند واحدة صاحبتى مريضة فى حلوان ،
فأجابها مستهزئاً ، وبعد ان نفث دخان سيجارته من فمه فى عنف :
— ... أو بالأحرى ، عند واحد صاحبك
فاندفعت كاللبوة التى تدافع عن أشبالها أمام عدو مهاجم :
— مجدى ... أنت بتهينى ... بتجرخنى فى كرامتى ،
دائماً ... دائماً .

وراحت تجيش فى البكاء بحرقة ..
وتأثر مجدى وهى تنتحب أمامه ، فأخذ يخفف عنها من لوعتها ،
الى ان ركع تحت قدميها يقسم لها فى صدق وحرارة انه لم يقصد
مطلقاً أن يسيء اليها ، ولم يدفعه الى ذكر ذلك ، الا غيرته
وشغفه بها ، وأخذ يتدلل اليها ... يلاطفها ويقبلها فى كل موضع
من جسمها ، حتى لانت قناتها ، فبادلته عاطفته ...
وكانت المسكينة ترزح تحت اثقال أزمة نفسية ضيقة تعانيتها ،
تحاول جهدها التخلص من أسارها فلا تزداد حلقاتها الا تحكماً ،
وأخيراً لم تجدد بدا من أن تعترف له بكل شيء ، لمجدى الذى
ضحى بأسرته وراحته ، وهجر منزله الواقع بشارع الجبلية
بالجزيرة ، ليقيم معها فى « غرفة مفروشة » يقاسمها عيشتها البوهيمية .
وخفضت سيلفيا نظرها الى الارض ، ثم قالت فى ذلة :

— مجدى . . . أنا عا وزة أقول لك حاجه ، بس ما تزعش .

—

— أنا لست عذراء . . . !

— وايه يعنى . . . أنا عارف .

قال هذا وهو لا يعرف شيئاً من ذلك مطلقاً ، وإنما ليصم
أذنيه عن سماع شيء من ماضيها ، شيء تعافه نفسه ، فيشوه من
قدسية الحب الذى يحمله لها فى قلبه أو يفسده عليه ، هو يعلم
أن كل فتاة عصرية خاصة من كانت فى سنها ولونها ، لابد أن
تعرض فى الطريق لبعض الذئاب ، تنهش من لحمها وتمتص من دمها
وانتفضت سيلفيا من مجلسها ، كأنما وخزتها ابرة ، ثم قالت
تدافع عن نفسها :

— مين تعرف ؟

— مفيش حد ، قلبى بيقول لى كدا .

— كداب . . .

— أقسم !

ومرت فترة سكون عميقة ، كان مجدى يلهو خلالها بجداولها
الكستنائية ، يدفن وجهه فى شعرها المتماوج الذى ينسدل على
فوديتها وعارضيتها ، فيحس بالدفء والحرارة وبغير « اللسيون
دامور » الذى تتضمخ به دائماً . وكانت تجيش فى البكاء بصوت
خافت ، على حين أخذت يداها تتلمسان موضع وجهه وعينيه ثم

راحا يتعانقان عناقا شرها .

وقصت عليه سيليفيا قصتها . . .

كانت اذ ذاك فى الرابعة عشرة من ربيع حياتها ، وراها الذئب وهى فى طريقها كل يوم الى « مدرسة الراهبات » ، وتودد اليها ثم صارحها بحبه ، وظل يخدعها عن حقيقة ميوله طيلة هذه السنين ، الى أن غرر بها فى ذات ليلة ، واختلس من جيبتها التاج الذي يعلوه ، ثم فر هاربا الى أوربا . وانكسر فؤادها تحت هذه الضربة الأليمة ، وهال عليها الامر ، خاصة وألسنة السوء تتناقل سيرتها بين جدران المدرسة والشارع ، فلم تجد بداً من أن تهرب وأن تترك الاسكندرية بمن فيها الى القاهرة ، حيث تعرفت بمجدى فى ذات ليلة باحدى صالات الرقص

وكانت سيليفيا تقص عليه قصتها ، فى نبرات المذنبه التى تقف بخشوع أمام الكاهن فى « هيكل الاعتراف » تقر له بخطاياها وتحاول رفع الوزر الذى يثقل كاهلها . لتنال منه العطف والغفران . وبعد أن فرغت من سرد هذا كله . قالت له ولا تزال دموعها تتأرجح بين مقلتيها :

— لقد اصبحت ماضى حياتى قدراو عليك أن تخلقنى من جديد . . .

ومر على هذه الحادثة نحو أسبوع ، كان مجدى قد سافر خلاله الى العزبة ليعود أمه المريضة ، فلما آب من سفره قصد الى صالة

« البوتيه » للرقص كعادته في كل مساء ، والتفت به بعض الفتيات هناك ، كل منهن تتودد اليه وتحاول ان تجذبه الى جانبها . والفتيات في المراقص الافرنجية ، صنوف متباينة ، فمنهن ابنة الخواجة البقال أو الجزار الرومى بشارع كلوت بك ، وتدعى انها ابنة القنصل أو أحد سماسرة البورصة ، وبينهن انصاف العذارى اللواتي كسدت اسعارهن في أسواق الزواج ، فاتخذن من الصلاة مكاناً يعرضن فيه أجسادهن كالدمى الواقفة خلف زجاج البون مارشيه ! وفيهن العجوز المتصاية تذهب لترقص فى سواريه ليلة السبت - عليها تصيب مغماً - فتنعم بساعة دفء الى جانب شاب حار العاطفة ، وبينهن « الارست » التى وهبت نفسها وساقيا للفن ، فهى لا تهيم الا باصوات « الجازبند » وبالنوار الساطعة والخافتة أحياناً

منذ عامين ومجدى يقصد الى صالة « البوتيه » فلا يرى غير هذه التماثيل المتحركة ، والوجوه المتشابهة ، ولما كان منذ ان قدمت سيليفيا الى الصالة وشاهدها لأول مرة ترقص « الرومبا » وكان ذلك منذ اسابيع ثلاثة ، بدأ يحس بشعوره يتبدل ، وبعبير آخر يفوح فى جو الصالة ، فيملؤها روعة وابتساما ، ورأى مجدى فى سيليفيا صورة أخرى غير هذه الصور التى تعرفها المراقص العامة ، فالتفت اليها وأحاطها بالكثير من رعايته . وكان يسمع الافواه تتهامس ، أنها ضحية رجل خادع غرر بها وأنها هربت من بيت

أهلها بالاسكندرية وتقيم وحيدة في القاهرة ، فكان يحاول ان يساعدها بكل ما يصل الى يده من مال ، لكنها كانت ترده اليه في اباء وشتم ، واكبرها لهذا في نفسه ، واتخذها غرفة مفروشة تقيم فيها ، لكن ذلك اثار عليه حفيظة بقية فتيات المرقص . ففي خلال غيبته في العزبة ذياك الاسبوع . التفت بعض الفتيات حول سليفيا وتقدمت احداهن مخاطبها في سخرية قائلة :

— صحيح رايحة تتخطي لمجدي . . ؟

— وماله . . .

— ازاي تنجوزي مجدي . . . واحد مصري !!

فاجابتهم سيليفيا في ثورة وعنف كمن يهاجم جيشاً محاصراً من الاعداء :

— ليه مجدي دلوقت واحد مصري ! اما قبل ما أعرفه

عند ما كنت ترسلين اليه خطابات كلها نجوى وغرام ، وتبيكين أمامه ساعات لانه يهجرك . . . في هذا الوقت مكانش مجدي

مصري ، كان أوروبى جاى من باريس للصالة في صندوق مقفول !!

وأجابات احدى الفتيات ممن يعطفن على سيليفيا تدافع عنها :

— ومجدي ماله . . . متخرج من الفرير ، ويشغل وظيفة ممتازة

في مكتب معالى الوزير ، وسافر مرتين لباريس وروما ولياج ،

مين عارف بكرة حيكون ايه . . وزير ، مدير ، قنصل !

وقالت تلك التي تهجمت عليها في بادى الامر في سخرية واستخفاف :

- وسيليفيا غداً ! .. « مدام مجدى » ، زوجة أحد أفراد الهيئات
السياسية فى أوروبا ، تغشى الاوساط الارستقراطية وتختلط
بالمجتمعات الراقية ...
وعلا صوت الجازبند ، فانقطعت أحاديثهن وتفرقن أيد سبا
كل الى ذراع راقص أو حبيب وقد التفت الاذرع حول الخصور
والصقت الصدور بالصدور ...

ودق جرس التليفون فى منزل المرحوم على باشا عامر بالجزيرة
— ألو ... مجدى بيه هنا .
— مين عاوزه ...

— أنا محمود طاهر ، زميله فى المكتب ، بقى له الآن عشرة أيام منقطع
عن عمله بالوزارة دون أن يترك خبراً أو يصرح له بأجازه وقد كلفنى رئيس
قلم المستخدمين أن استفسر عنه لئلا يكون أصابه مكروه ، لا قدر الله ...
— مجدى يا بيه ... منذ شهر وهو لا يحضر الى المنزل ، أخلاقه تلفت
خالص واحنا والله مختارين فيه ، يقولوا انه يحب بنت أفرنجية ودابير
وياها على حل شعره ، مش عارفين له يا ابنى سكة يمشى عليها ...
وانتهت المحادثة التليفونية ، غير أنها عادت فاستأنفت فى مثل
هذا الوقت بعد خمسة أيام :

— ألو ... منزل المرحوم عامر باشا ، مجدى بيه هنا ؟
— مين حضرتك .

مدير مكتب معالى الوزير، مجدى ياهام بقى له الآن نحو اسبوعين
منقطع عن عمله بالوزارة، القانون المالى لا يسمح له غياب بدون اذن
اكثر من هذا، والافصل من الخدمة، الناس ياهام يشفوه طول الليل في
صالات الرقص، ولكن عمله كان اظن أنه واجب مقدس، ده شغل حكومة
ولم يكده يضع السماعة مكانها، حتى وضع الحاجب «البوستان»
أمامه وفوقها ملف خدمة «مجدى على عامر» ففتحه بسرعة
وإذا بكتاب استقالة موقع بامضائه ومرفوع الى معالى الوزير !

وترك مجدى عمله الحكومى وهجر بيت أسرته ليعيش الى جانب
سيلفيا، وساءت سيرته بين الاسر التى لم يكن لها من الاحاديث في
مجتمعاتها الا قصة مجدى والراقصة الافرنجية التى يقيم معها، وكان
طبيعياً أن تصل هذه الاخبار الى أذن خطيبته «عليه»، فأنها تطق أن تسمع
كل هذا يقال عن مجدى الذى تفاخر به دائماً أمام أترابها .
و كانت تتميز غيرة وغيظاً، بل وتبكي بحرقة كلما حضرت داه
كهرمان لتحمل اليها أخبار مجدى السيئة، وهاجت «عليه» مرة واحدة
عند ما أشيع أن مجدى استقال من وظيفته ليعمل كراقص الى جانب
عشيقته الافرنجية، فمزقت صورته المزدان بها «صالون الاستقبال»
وأحرقت خطاباته التى كان يرسلها اليها من أوروبا والتى كانت تحمل عطر
«البنسيه»، وانزعت من أذنيها القرطاسى الذى قدمه اليها «شبكة»
وأنت بهاون ثم سحقته فيه سحقاً حتى صار كالرماد، وانتهى بها

الامر الى ما يشبه الجنون ، فانها لم تكن خطيبة مجدى فحسب ، بل
 كانت تحبه من أعماق قلبها ، وفي ذات يوم حاولت الانتحار بان
 تجرعت كمية من صبغة اليود ، لأنها اعتقدت أن سمعتها ساءت جداً
 بين الاسر ، وأن الشبان سوف يعرضون غداً عن الزواج بها .
 وأرسلت مرة دادة كهرمان لتبحث عن « البنسيون » الذي
 يقيم فيه مجدى . وأن تقابله وتسدى اليه النصيح عليه يرعوى وأن
 تحتال عليه ليحضر ، بان تذكر له أن « عليه » تحضر وتريد أن
 تراه قبل أن تموت ، ولكن عندما ذهبت دادة كهرمان ووقع نظر مجدى
 عليها ، طردها شر طردة وحرّم عليها أن تحضر اليه مرة أخرى .
 وكان مجدى يستعين في حياته بما ترسله اليه والدته أو بما
 يصل الى يده من الدائرة ، لكنه كان يعيش وسيلفيا عيشة هي
 أقرب منها الى الاقتصاد والتدبير ، وكلما تأففت سيلفيا من شيء
 طمعتها أن أمه سوف تموت غداً وتؤول ثروتها اليه ، يومها
 سوف يبتاع سيارة « أوبرن » وعوامة أو فيلا بجاردن سیتی ، وأن
 يقضيا الصيف ما بين فيشي ودوفيل . وتبتهج سيلفيا لهذه الاخبار
 ثم تقبل عليه لتطبع على فمه قبلة طويلة حارة ، وقد حملتها هذه
 الاخبار على أجنحة الخيال ، ويتحمس مجدى ويقول لها عن أمه :
 - لو كنت عزرائيل ، لقد صدت اليها في طيارة ، لاسير اعلى الاقدام ١١٠٠
 ووصل الى مجدى في ذات يوم كتاب من والدته تذكر فيه
 أن حالتها ساءت وتشعر بدنو أجلها فهي تطلبه لتراه ، فاسرع

بالسفر الى العزبة وقد اعتقد ان الحظ يؤاتيه من حيث لا يدري .
وزارت سيلفيا خلال ذلك احدى صديقاتها من فتيات صالة
« البوتيه » فلما وقع نظرها عليها قالت على الفور :

— سيلفيا ... صدقيني لم أعرفك ، وجهك شاحب وذبل ،
وبريق عينيك انطفاً ، ايه اللي زنقك على العيشة دي ، وقد كنت
منذ شهر واحد قبل أى تهجرى الصالة ، كالعذراء فى ليلة عرسها
— أعمل ايه ... اخلاصى لمجدى هو الذى يحدوني الى أن
أحمل كل ذلك .

— مجنونة ! ... مين علمك الفلسفة دي ، الا خلاص له حدود ،
اظنك لا تغادرين المنزل .

— فيما ندر ... مرة واحدة فى الاسبوع الى السينما ، ومثلها
لتناول العشاء فى الكورسال أو الباريزيانا .

— ألا ترقصين الآن ؟

— مطلقاً ...

— ورقصة الرومبا ... مين كان يبرع فيها غير سيلفيا ،
أظنك نسيتهما الآن .

— ربما ... أنا لا أهتم الآن الا لمستقبلى ، سأزوج مجدى
خلال الشهر القادم

ثم همست فى أذنها وقالت : انا حامل منه الآن .

— ... مسكينة ؟ ستقدين نفسك بقيد قد لا تستطيعين غداً

الفكاك منه ...

ثم صمتت قليلا وقالت :

— على فكرة ، عندي تذكرة حفلة « بال ماسكيه » لجمعية
رعاية الاطفال يوم السبت في « السكوتنتال » ، فيها ايه لو حضرت
مع مجدى ، اجتهدى ان تبلفيه ، أد ايه ما شفناش سيلفيا ترقص
« الرومبا » .

ثم نهضت من مكانها وقالت :

— اعملى جهدك ، انا مضطرة اتركك الآن ، عندي راندفو
مع سمير افندى ضابط قسم عابدين ، الى كان يجي الصلاة
مع مجدى ...

— ارفوار شيرى .

— ارفوار .

وعاد مجدى فى مساء اليوم التالى ، ورأى سيلفيا ساهمة واجمة
فلم يستطع ان يفسر لذلك سبباً ، وناولته تذكرة الحفلة وهى تقول :
— كانت ليدينا هنا بالامس ، وتركت لنا هذه التذكرة
لنذهب الى حفلة رعاية الاطفال .

وزمجر مجدى قليلا وقد ادرك سر وجومها وانكماشها
ثم قال :

— احنا مش اقسمننا ، ان نقاطع المرافص والحفلات ؟

— دى حفلة سنوية .. هو احنا يعني أحسن من مين ؟

وتعلقت به وقد طوقت عنقه بذراعيها ، ثم طبعت على
فمه قبلة طويلة . . .

وذهب مجدى وسيلفيا الى حفلة رعاية الاطفال ورقص
معهما شوتين ، ثم عزف الجازبند للشوط الثالث ، وكانت رقصة
« الرومبا » ، فرقصتها سيلفيا برشاقة ومهارة ألفت الانظار . وما
انتهت منها حتى كادت الاعين تلتهمها ، ثم دوت القاعة بالتصفيق
الحاد وطلبوا منها أن تعيدها مرة أخرى . . . وفي خطوة ثانية ،
تألق مجد سيلفيا وارتسمت هالات الاعجاب فوق جبينها .

واضطر مجدى فى ذات يوم ان يسافر الى العزبة ليطمئن
على صحة والدته فلما عاد لم يجد سيلفيا ، وذكرت له صاحبة البانسيون ،
انها غادرت غرفتها منذ يومين على غير عاداتها ولم تعد ، ونظر
مجدى فى انحاء الغرفة فوجد رقعة على المائدة بخطها ، فتناولها
وقرأ فيها :

« ان الطير الذى قصصت جناحيه لتطلقه فى أبراج حبك ،
قد نما اليوم ريشه واستعاد قوته ، كما استعادها بالامس شمشون
من شعره ، وأصبح فى مكنته أن يطير ليحلق فى أجواء أخرى
أكثر حرية وأعم ضوءاً .

أودعك وداعاً لا أظن بعده لقاء ، لاني طائرة الى حيث أحط
رحالى فى بقعة مجهولة ، أتركك وفى قلبى حسرات لاني
أقدر تماماً ما سوف تعانيه من بعدى ، أغادرك الى حيث صوت

الجازبند وأنوار المراقص ، تهتف بى وتدعونى .

واتضح أن صديقة سيلفيا زارتها مرة ثانية خلال غيبة مجدى لتحمل اليها اعجاب الجمهور برقصتها « الرومبا » وثناء المدير الجديد لصالة «البوتيه» وبما أنه سيفتح قريباً « كلباريه » جديد فى بورسعيد ، فهو فى حاجة اليها لتعمل هناك راقصة أولى وبمرتب باهظ ، وقارنت سيلفيا بين حالتها مع مجدى ، التى حرمتها بهجة الانوار وكلمات الاعجاب ، واضطرت مرغمة أن ترحل مع ليديا الى بورسعيد .

وصدرت جريدة المقطم فى عصر اليوم التالى وعلى رأس أحد أعمدة الصفحة الخامسة ، خبر عن حادثه غريبة ، هى اعتداء فتاة مصرية من احدى بنات الاسر الراقية على خطيبها ، بأن ألقت عليه مادة كاوية ، شوهدت وجهه وأحرقت عينيه ، لانه نكث بوعده فى الزواج منها وهجرها ، وأساء سمعتها بين العائلات والى جانب هذه الحادثة ، نبأ آخر ، عن نعى أرملة المرحوم على باشا عامر أحد الاعيان السابقين ووالدة مجدى .

على حين ازدانت مؤخرة الصحيفة باعلان كبير مشوق ، عن افتتاح « كلباريه اللىدو » ببور سعيد فى الاسبوع القادم ، وظهور مدموازيل سيلفيا فى رقصتها الجديدة « الرومبا » .

المرأة الجديدة

— ٨ —

المرأة الجديدة

٢٨ يولية ...

وصلت الى بيروت عصر اليوم ، بعد سفر متواصل بالقطار نحو عشرين ساعة وفي جو مفعم برمال الصحراء ، وبعد ان اودعت حقائبي « بأوتيل بيروت بالاس » قصدت الى الدكتور شكور بشارع الجنرال فوش احمل اليه توصية من صديقي الدكتور محمد كامل بالقاهرة ، فرحب بي كثيراً ، وبعد ان فحصني بدقة قال : أن معدتك متعبة جداً ، انك في حاجة الى راحة كبيرة ، راحة الجسم والفكر معاً ! ثم وضع امامي خريطة جبل لبنان ، وأشار باصبعه على بلدة تعلو سطح البحر بحوالي الالف متر تقريباً ، واستأنف حديثه قائلاً : تقصد اولاً الى زحلة ، نحن الآن في أواخر يولية ، ان ماءها يفيد مرض السكلى الذى تشكوه وبعد أيام قلائل سيحل بها موسم العنب ، فاذا شعرت باطراد وتحسن في صحتك ، فاقصد بعد هذا الى سحانا ، واصعد الى « عين الشفا » عند أسفل الشاغور فان ماءها مفيد للسكلى والحصى ، ولا تنس ان تقصد بعد ذلك الى فالوغا لتمضية اسبوع والى بعليك لتشرب من نبع « رأس العين » هناك ثم عد الى بعد ذلك أفحصك ، سوف تتمتع باقامة طيبة في هذه البلاد وتخلص من الرمل والحصى الذى يتعبك ،

ثم مد الى يده وقال وهو يشيعنى الى الباب : أتمنى لك اقامة طيبة
في بلادنا وصحة حسنة بفضل هواء الجبال وماء الينابيع المتفجرة
من صخورها .

٣٠ يولية . .

صحت عزيزتي اليوم على الذهاب الى زحلة عملا بمشورة الدكتور
شكور ، فقصدت في الصباح الى « شركة المصايف » وطلبت منها
اعداد سيارة خاصة ، وبعد أن قطعنا نحو ماعتين بالسيارة كنا
نمر خلالها باحراش الصنوبر واشجار الارز بدت لنا اعالى مباني
زحلة وبيوتها المشيدة بالقرميد الاحمر ، وشاهدنا عن بعد نهر
البردوني العذب الذى يتوسطها .

قصدت في الحال الى « اوتيل الصحة » انه وان لم يكن من
فنادق الدرجة الاولى ، غير ان موقعه على البردوني ، وفوق تلك
الربوة العالية ، جعل له اهمية أخرى ممتازة ، وبعد ان تناولت
طعام الغداء واضطجعت في غرفتي قليلا ، خرجت للتنزه في
نواحي زحلة الجميلة ، فسرت على نهر البردوني صاعداً الى « وادى
العرايش » وأنا أمر في طريقى بمقاهى ، تقع على ضفتى النهر وكلها
غاصة بالغادات اللبنانية يحتمسين « العرقى » ويدخن « الارجيلة »
وأما من أطباق « الكيبية » المشوية ، الصنف الوحيد الذى اشتهرت
به هذه الضيعة دون البلدان الاخرى ، وأصوات الجرامفون تدوى
في ار كان المقاهى باغانى عبد الوهاب وأم كلثوم . . .

عدت الى الفندق بعد نزهة قصيرة لتناول طعام العشاء ،
وجلست اتحدث قليلا مع مدير الفندق ، انه رجل لطيف المعشر
كغيره من اللبنانيين ، وقد سألتني خلال حديثه معي ، عما اذا
كنت أحسن الرقص ، فلما سألته لماذا ، أجبني ان الليلة ليلة
الاحد ، وستقام حفلة راقصة كبيرة بعد العشاء ، فقلت له : ولكن
لم أعرف أحد هنا بعد — فضحك ببساطة ثم قال : لا تخش شيئا
انك هنا في بلدك وبين أصدقائك وأهلك سوف أقدمك الى الجميع .
قصدت عقب العشاء الى غرفتي ، وبعد ان استبدلت ملابسى
ببذلة « الفراك » للسهرة ، غشيت قاعة الرقص ، وكانت غاصة
ومكتظة بعشرات الفتيات وهن يرفلن في ملابس السهرة
الازركشة الانيقة . . .

واسرع نغوم افندى مدير الفندق ، يستقبلنى ببشاشته وبساطته
ثم قدمنى الى بضع فتيات ساحرات ، ظلت المحادث معهن
برهة بالفرنسية وقد راقى فى عيني احداهن : مدموازيل
ايضا ، فهى تختلف عن بقية بنات جنسها اللبنانيات بسمرة جسدها
الذى يشبه الحنطة ، والذى اعاد الى ذاكرتى لون بشرة فتيات
وادي النيل .

آويت الى فراشى فى منتصف الليل تقريبا بعد سهرة عنيفة
متعبة ، لقد كانت مدموازيل ايضا التى راقصتها طول الليلة لطيفة جدا
معى ، ذكرت لى انها تقيم فى القاهرة بشارع سليمان باشا ،

وأن والدها تاجر أقطان بكفر الزيات ، وقد أنت مع أمها لقضاء
شهرين في الجبل ، ولما سألتها عن لون بشرتها السمراء ، ضحكت
وقالت : ان هذا يرجع الى أمها ولدت تحت سماء مصر وفي
شمس الاهرامات .

٣١ يولييه ...

التقيت اليوم صباحاً في قاعة الطعام ، بمدموازيل ايها وكانت
معها صديقة اسمها لوسى . بعد ان حيدتها باحناء رأسي قليلا ،
جلست أختلس النظر اليها وأنا أتناول طعام الفطور ، كانت ساحرة
أكثر من ليلة أمس ، وكانت ترتدى فستاناً «سبور» من السكروتة
الناعمة ، وقبعة من التيل الابيض ، وقد ذكرت لي انها ذاهبة بعد
ساعة الى ملعب التنس ، وسألتنى عما اذا كنت أود أن أشاركها
اللعب ، فاعتذرت بأنى لم أحضر معى من مصر ملابس للتنس
ولسكنى رضيت أن أرافقها الى هناك ...

٧ أغسطس ...

مر أسبوع وأنا أشعر بصحتى تتقدم بفضل علاج الدكتور
شكور . ان ماء زحلة يفيدنى كثيراً وقد بدأت آكل بشهية وأهضم
بسهولة ومنذ أول يوم عرفت ايها وانا اصحبها في غدواتها
وروحاتها ، لقد اصبحنا صديقين ، بل أكثر من صديقين ، بالأمس
ذهبنا الى مصيف قريب يسمى «شاتورة» لتناول طعام الغذاء
هناك... وبعد عودتنا من «شاتورة» عصرا ، ذهبنا الى غرفتها في

الفندق فاستبدلت ملابسها ، ثم قصدنا سويا الى « وادى العرايش »
سيراً على الاقدام .

وكانت شمس زحلة الجميلة ، ترنو اذ ذاك نحو الغروب ،
لتختفي وراء أشجار الوادى ، وقد وقعت بقية أشعتها الغاربة على
رأس النبع ، وما عتمت أن أخذت عينها الملتهيتان فى الذبول ،
ووقع ظل الضوء الباهت فى الماء على حين ظهر القمر وبدأ يداعب
تلك العيون الذابلة فلم تقو على الوقوف أمام نوره اللامع ، وفرت
مسرعة الى حبالها . وبدأ الافق اذ ذاك فاتنا على حين ظهرت عند
أسفل الوادى غادات لبنان ، كل منهن ومعه رفيق أو حبيب ،
ينشدن فى صحبته الحب والهناء ، ويستمد كل قلب حرارته من ألوان
الغروب المتأرجحة عند نهاية الافق ...

ونظرت الى ايفا ، فاذا بالظما فى عينيها وألوان الغروب تنعكس
فوق وجنتيها ، ونظرت الى بدورها ، فاذا بي صامت لا أتحدث ،
فسألتنى على الفور :

— ما يسكتك ... ؟

— ألوان الغروب فى سماء بلادك !

فضحكت ضحكة مغرية ثم قالت :

— لماذا تذكر الغروب دائماً ... ولما يمس على اشراق نجمنا

الا فجر واحد ؟

فهزتنى كلماتها فى عنف ، وما عتمت أن اندفعت اليها ، احتضنها

وراء شجرة صنوبر ضخمة ، وهي تعطينى شفة قرمزية « كالشليك »
الندى !

وتابعنا السير فى طريقنا الى أعلى ، وفتنت حقاً بجمال الوادى
وسحره ، فذكرت فى الحال قصيدة شوقى الخالدة فى وصفه :
يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الاحلام من ذكراك
ثم مرت بذهنى صورة أخرى ساخرة ، اضحكنتى بسرعة ،
صورة صديقى الاستاذ خيرى سعيد ، وهو يقول ، ان شوقى بك ! ما كان
يقصد بهذا البيت من الشعر « جارة الوادى » فى زحلة وانما « جارة
- جريدة - الوادى » التى كان يحررها فى يوم ما ، والجاراة
المذكورة بائعة فجل اشتهرت بجمالها الساذج !!

١٤ أغسطس

بالرغم من شدة شغفى بايفا ، فان هناك بعض ملاحظات يحسن
أن أضيفها بشأنها ، فهى وان تكن فتاة عصرية ، الا أن لديها سعة من
الحرية قد لا تجدها عند غيرها من العصريات ، عند بنات باريس
أو نيويورك مثلاً ، فهى تدخن وتلعب الورق ، وتشرب الويسكى ،
ولا تتحادث إلا بالانجليزية أو الفرنسية ، وربما كان ذلك راجعاً
الى طول المدة التى قضتها فى أمريكا ، فقد ذكرت لى أنها ذهبت
عند عمتها فى فيلادلفيا وهى لا تزال طفلة ، حيث مكثت نحو اثنى
عشر عاماً هناك .

وبالامس ظللنا نلعب « الكونكان » الى منتصف الليل تقريباً

ومعنا صديقتها لوسى وأما وجارة أخرى فرنسية ، لقد خجلت
من نفسى عند ما انتهى اللعب ، عدت نقودى ، فإذا بى قد ربحت
منهن حوالى العشر ليرات سورية ، وسمعت مدموازيل لوسى
تهمس فى أذن ايفا بالانجليزية وأنا أغادر مائدة اللعب : أن السعيد
فى الحب تعيس فى اللعب !

ماذا يهم ، كلمة ذكرها ديماس فى احدي مسرحياته فضربت
من بعده مثلاً !

١٥ أغسطس

فكرت اليوم فى الذهاب الى « شاغور حمانا » عملاً بمشورة
الطبيب للانتفاع من مياه « عين الشفا » الموجودة هناك ، لكن
ايفا لا تريد أن تتركنى أذهب وحدى ، ولا أنا أيضاً ! لقد
أصبحت الحياة الى جانبها ، جنة ونعياً !

ذهبت الى أمها ورجتها أن تسمح لها أن ترافقنى الى حمانا ،
وازدادت دهشتى ان رجعت الى ايفا وقالت فى ابتهاج الاطفال
ان أمها سمحت لها بالذهاب الى حمانا على شريطة ألا تغيب
أكثر من يومين

ان سعة الحرية التى تتمتع بها ايفا تخرجنى وسوف تسبب لى
انتقاداً مرّاً من المصريين الذين يعرفوننى ويقابلوننى فى مصائف
الجليل

كيف تكون ايفا زوجتى فى يوم ما ، هذا ما أخشاه ! أنى

لا أطيق ... لا أطيق !

١٨ أغسطس ...

لم نجد غرفة خالية بالفنادق في حانا، فكلها مزدحمة بالمصطافين الذين يؤمون « الشاغور » من مختلف البقاع ، وفيما نحن نفكر في العودة الى زحلة ثانية ، خطرت ببالى فكرة زيارة بعلبك ومشاهدة قلعتها الاثرية الشهيرة ، وهى لا تبعد عنا الا ساعة بالسيارة ، فوافقنى ايفاعلى ففكرنى وأجابت ، حسناً ، فلنسرع .. لنسرع !

وقصدنا عقب وصولنا بعلبك الى « اوتيل خوام » ، وهو فندق فخيم رائع ، يقع فى أطراف البقعة المسماة « برأس العين » وتحوطه حدائق غناء من كل جانب وقد جعله رجال المفوضية الفرنسية هناك مصيفاً لهم ولعائلاتهم .

ونزلت أنا وايفافى غرفتين متجاورتين ، لا عمل لنا فى النهار الا اللهو وتسلى الجبال وفى الليل الرقص ولعب الورق !

١٥ سبتمبر ...

عدت الى القاهرة بعد نمضية شهر ونصف بجبل لبنان ، وقد استفدت جداً من هواء هذه المصايف الجبلية ومن مائها ، وزال عني مرض الكلى الذى كنت أشكوه دائماً ، وقابلنى اليوم زملائى فى الديوان بكل ترحاب ، وذكروا ان تغيراً كثيراً طرأ على صحتى ، وأن وجهى يفيض ويتوهج احمراراً !

وقد دعانى الرئيس الى مكتبه وبعد أن صافحنى وهنأنى بسلامة

الوصول ذكر لى ، أن هناك أوراقا هامة ومسائل لا تزال معلقة
يحسن أن اسافر بها في الغد الى الاسكندرية لعرضها على معالى
الوزير بيولكلى .
أول نوفمبر .

عدت الى القاهرة بعد أن مكثت في الاسكندرية طول المدة
الماضية منتدبا للعمل بمكتب معالى الوزير .

و كان أمس الخميس ، فذهبت فى المساء الى جروبي ، لمقابلة
« الشلة » التى تعودنا اللقاء هناك دائما فى مثل هذا اليوم من كل أسبوع
وطفقت أحدثهم عن مصائف لبنان وفوائدها الصحية وعن مظاهر
المكرم الذى لقيته من أبناء هاته البلاد ، وتقابلت هناك بصديقى
القصصى « ت » ونحادثنا مليا فى أمر اخراج كتابه الجديد « أبو
على عامل ارتست وقصص أخرى » ثم أخذ صديقنا الفنان « ذ »
يحدثنا فى حماسه المعروف عن مشروع سيتقدم به للحكومة قريبا
لأنشاء معهد لفن التمثيل والخطابة ، ولفت نظرى صديق جديد انضم
الى « الشلة » حديثا ولا أعرفه ، وكان رأسه عاريا أصلع وعيناه
غائرتين وجبهته ناتئة فتمثلت لى فى الحال صورة « جبرائيل دانزيو »
الشاعر الايطالى المعروف ، وسألت عنه ، فقيل لى أنه « ن » الطبيب
الشاعر ، فددت يدى اليه مصافحا ، وذكرت توا بعض قصائده التى
كان يحلى بها « السياسة الاسبوعية » من آن لآخر .

حاولت مفارقة أصدقائى فى منتصف الساعة التاسعة لارتباطى

بموعد عائلى ، لكنهم رفضوا أن يسمحوا لى بالذهاب وأصروا على أن أعذر عن هذا الموعد ، فلما ذهبت الى مكان التليفون لاتحادت مع منزلى ، راعنى أن وجدت مدموازيل ايفا تغادر « كايينة التليفون » الواقعة عند الباب الشرقى لجروبي ، فصحت فى دهشة : — أوه ... مدموازيل ايفا ، فى مصر وفى جروبي كان ؟

فلمعت عيناها بهريق غريب ، ممزوج بالدهشة والتعجب ، ثم صاحقتى فى حرارة واشتياق ، وأخذت تسألنى متى رجعت من لبنان وكيف وجدت هذه البلاد ، وانا اجيبها فى بساطة ، وأخيراً قالت لى ، انها تكون سعيدة هى وأما اذا شرفتهما بتناول الشاى عصر يوم السبت القادم .

٤ نوفمبر ...

تناولت الشاى عصر أمس بمنزل مدموازيل ايفا بشارع سليمان باشا ، وقد استقبلتنى أمها ببشاشة وايناس وسألتنى عما اذا كنت قد حذقت الآن لعبة « البردج » وبعد تناول الشاى أبدت لى ايفا رغبة فى ان تنزه بسيارتى قليلا ...

بعد أن تنزهت وايفا نحو ساعة بالسيارة فى طريق الاهرامات ذهبنا الى صولت « بقصر النيل » فوجدنا قاعة الرقص هناك مزدحمة جداً ، ففكرنا فى الذهاب الى ليمونيا قالى « الاسكارجو » لتناول العشاء .

عندما ذهبت الى « الاسكارجو » فى منتصف الساعة التاسعة

تقريباً ، تقابلت صدفة بصديق فؤاد بك وكيل نيابة المنصورة
وزوجته الفرنسية ، فدعانا الى العشاء وألحت زوجته الرشيقة في
الدعوة ، فلم يسعنى أنا وايفا الا القبول وجلسنا جميعاً نتناول العشاء
على مائدة واحدة ، ونتجاذب أطراف احاديث شتى ...
١٥ نوفمبر ...

ذهبت اليوم صباحاً رفقة ايفا في نزهة بالسيارة الى الفيوم ،
لقد كانت قاتنة وساحرة للغاية ، وكانت الشمس تضىء احياناً
وتختفى وراء الغيوم المتكاثفة ، وذكريتى هي بأيام زحلة وبعلمك ،
بما اهاجت من نفسى دفين الذكريات وبعثت فيها شتى الاحاسيس
فقلت لها على الفور وقد اشارت الى الشمس التي اخذت تغيب
قتره وراء الغمام لتضىء :

— أن الظلمة تلد النور ... والحب يلد الزواج ! لكن
ما فائدة الحب ان لم يصحبه اخلاص ، ان الاخلاص فى الحب
كالصدق فى الحرب !

فاشكل قولى فهمها ولم تدرك تماماً مغزاه ...

١٧ نوفمبر ...

بدأت الذكريات تهزنى فى عنف ، وأحسست حقاً أنى أحب
ايفا ، بل أحبها من كل جوانحي ، وسوف أكون شقيقاً بهذا الحب
ان لم احققه بالزواج منها .
ان ايفا فتاة متعلمة وعصرية ، ووالدها غنى ويملك ثروة كبيرة ،

لا عيب فيها سوى مجونها وغرورها بنفسها ...

بالامس دعنتى الى حفلة تقيمها لبعض صديقاتها ...

يروعنى منها انها تدعو الى صالونها فتيات وشباناً يلبون جميعاً
نداء الجنس . يدخنون ويلعبون الورق ، بل ويشربون الويسكى
والشبابانيا . يأنفون التحدث باللغة العربية ، ويعدون من يتكلم بها
جاهلاً ومتأخراً . . واخيراً يدور الرقص على النغمات المنبعثة من
« الراديو » او « الجرامفون »

لا . . . لا . . . هذه الحرية لا تطاق ابداً . ومع كل فلا أدري لم
هذا الخنوع منى ؟ لشد ما انحاذل فى النهاية واقول ، انها فورة من
فورات الشباب لا تلبث ان تهدأ بعد الزواج .
أول ديسمبر ..

بالامس وفى اجتماع عائلى ، اثارى والدتى مسألة زواجى ،
وتساءل الجميع عن السر فى اضرابى عن الزواج وقد بلغت الخامسة
والثلاثين من العمر ، وذكرت امينة هانم جارتنا ، عرضاً اسم
الآنسة سميرة الجوهري ، فهى فتاة وان أتمت تعليمها الابتدائى
فقط فى «البون باستير» ، الا انها ذكية ومثقفة ، ووالدها من
رجال السياسة المعروفين وله شخصية بارزة فى البرلمان وكلمة مسموعة
لدى الوزراء .

وأجاب عمى عبد الوهاب بك ، وهل نسيت عزيزة هانم ابنة
اللواء على باشا حلمى ، فهى وان تسكن قد نكبت فى ربيع حياتها

بموت زوجها الذى لم تمكث معه سوى عام ونصف الا أنها لا تزال
تحتفظ بشبابها وجمالها وأخلاقها العالية ، والمرحوم زوجها ترك لها
بعد موته عمارة فى « جاردن سيتى » تدر ايراداً يبلغ المائتين جنيه شهرياً
هذا غير خمسين فداناً من أجود أطيان الدلتا .

وتحتمست شقيقتى الوسطى وقالت : لا .. كمال لا يتزوج
واحدة عازبة ، انتوا نسيتم أخلاقه وطباعه ... شاب عاش طول
عمره فى اوربا ومتخرج من مدرسة « العلوم السياسية »
بباريس ، ازاي تجوزوه من بنات « نص لبة » ، يعنى علشان لما
يعينوه قنصل ، تبقى الناس تضحك على زوجته ... أهى مدموازيل
اجلال صديقتى ! مالها ؟ أمها افرنجية ربته فى « الماترنيتيه »
ومدارس « الفرنييسكان » لما كانت مع زوجها رشاد بك قاضى
المحكمة المختلطة باسكندرية ، ومعوذاها على « الانيكيت » والاخلاق
الافرنجية ، هو فيه فى الدنيا أحسن من اجلال ، دى تتكلم خمس
لغات وتلبس « الترامود » وتسوق سيارتها بنفسها ، وتعرف ازاي
تكون واحدة ست شيك فى بيتها !

هزأت فى نفسى بهذه الآراء المتضاربة والبروجرامات التى
تعرض أمامى عن الزوجة المنشودة ، ومرت بذهنى سريعاً صورة
ايفا ، فى ابتسامتها المشرقة وعينيها الذابلتين ، دائماً... ولون بشرتها
الذى يشبه الحفظة !
أول يناير ...

كانت بالامس ليلة عيد رأس السنة ، فذهبت بدعوة من
صديقي فؤاد بك وزوجته الفرنسية الى « الناسيونال أوتيل »
للقضاء السهرة .

منذ اسبوعين تقريبا ، وانا لا اعرف شيئا عن ايفا فلما تقابلت
مع صديقتها مدموازيل سوزان الكاتبة على « التيريتير » بقنصلية
(...) سألتها عنها ، فتأوهت بحرقة ثم اسدلت عينيها وقالت في
صوت منخفض :

— مسكينة .. لقد ضارب والدها في البورصة بمبالغ باهظة
وافلس ثم عمد الى دفاتر شركة الاقطان التي يمثلها فزور فيها ، الى
ان اتضحت الحقيقة اخيراً ...

اسفت لمدى سماعي هذا الخبر الذي ازعجني ، وبدت على وجهي
سحابة من الحزن والكدر . وسألتني زوجة صديقي ، فلم اكنتمها
الامر وصارحتها بحقيقته ، فنصحتني الا افكر بعد اليوم في أمر ايفا
أو الزواج منها

١٥ يناير ..

في اجتماع عائلي آخر ، اثيرت مسألة زواجي للمرة الثانية ،
وأخذت كل من قريباتي تغريني بفلانة او علانة ، وكنت منذ
اسبوع قد عذمت على طلب يد الانسة سميرة الجوهري ، بعد ان
وردت لي أخبارا سارة عن سيرتها واخلاقها من « أم خليل »
الحاطبة وبلال خادمي الذي تربطه بعتريس افندي الاغا بيت

أ لجوهري باشا صداقة

لقد قارنت بين حالتى لو اقدمت على الزواج من ايها فافقد
مستقبلى واستمع الى نداء قلبى ، وحين ازوج من سميرة ، فوالدها
رجل سياسى مسموع الحكمة ، وانا فى حاجة الى الترقية للدرجة
الرابعة ، وسميرة فتاة مهيبة ، تسر العين والقلب معا

١٥ يناير ...

منذ عام وانا سعيد بزواجى من سميرة ، وقد قضينا شهر العسل
ما بين الاقصر واسوان ، وكما فتحت «الالبوم» ونظرت الى الصور
الفوتوغرافية التى أخذناها معا الى جنب ، بين هياكل الدير البحرى
والكرنك ومعبد امون أو بين جزيرة فيلى والبريا فى اسوان شعرت
بغبطة لا تعادلها أية ساعة مرت خلال حياتى الماضية المضطربة

٢٠ يناير ..

دهشت أشد الدهشة ، اذ دق التليفون اليوم صباحاً ، وكانت المتكلمة
مدموازيل ايها صديقتى القديمة ، ومع أنه مر على نحو عام لا أعلم من
أمرها شيئاً ، فلا أدري كيف توصلت الى معرفة رقم تليفون منزلى ؟
انها تقول ، كيف سمحت لنفسى ان ازوج من أخرى بعد
ان وعدتها بالزواج ، وتهددنى أنها سوف تفشى اسراراً لزواجى
وترسل اليها صوراً فوتوغرافية كنا أخذناها بين معبد باخوس فى
هياكل بعلبك ، وخطابات تقول أنى أرسلتها اليها وهى تصطف
فى جبل لبنان ، لقد حاولت ان أهدي من روعها ، لكنهن لم تستمع

لى ، بل قطعت حديثها بالتليفون فجأة .

٢٧ يناير ..

لقد ازعجتنى هذه الفتاة ، فهى تدق التليفون خمس أو ست مرات فى اليوم وبدون مناسبة ، تنحادث الى احاديث تافهة مزعجة وتتكلم عن غرام قديم رضعناه سويا بين كروم لبنان وضواحي القاهرة ، لا ادرى كيف اصدها عنى وبماذا أجيب زوجتى لو سألتنى عنها أول فبراير ...

ذهبت اليوم صباحاً لزيارة صديقى حمصى الموظف بمصلحة التليفونات ، كى يفرجنى على « سنترال المدينة » الواقع بشارع الملكة نازلى ، ولما غشینا قاعة السنترال حيث توجد الفتيات العاملات فى « مرايلهن » الرمادية اللون وجلستهن المتشابهة ، بحر كن اللوالب الكاوتشوك ويحببن على نداءات المشترکین المتكررة ، لفتت نظرى فتاة تشبه ايفا الى حد بعيد ، سألت عنها صديقى حمصى بعد انتهاء الزيارة ، فدكر لى انها عاملة جديدة اسمها مدموازيل « ايفا جبران » .

يا لله ! كيف تشغل مدموازيل ايفا « عاملة تليفون » بست جنيهات فى الشهر ؟ وهى ابنة الخواجة جبران تاجر الاقطان المشهور باسكندرية وكفر الزيات ، والتي كانت الى عهد قريب ، فى شقة ايجارها الشهرى حوالى العشرين جنيتها بشارع سليمان باشا ، ان مبلغ الست جنيهات قد لا يوازي ثمن فستان أو زجاجة شمبانياما كانت

متعودة ان تقدمها الى صديقاتها ؟ لكن يظهر ان حالتها المالية ساءت
جدا بعد الحكم على والدها بثلاث سنوات سجن لارتكابه
جريمة التزوير في دفاتر شركة الاقطان التي كان يمثلها ، وتلاعبه
باموالها في البورصة !

١٠ فبراير ...

انقطعت ايضا منذ فترة طويلة عن معا كستي وتهديدي بالتليفون
اي منذ الوقت الذي لمحتني فيه ازور « السنترال » مع رئيسها
وقد سررت اليوم ، اذ ذكر لي صديقي حمصى ، ان التليفون
الاتوماتيكي سيعمم في انحاء القاهرة منذ الغد ، وان المصلحة استغنت
عن معظمعاملات ومن بينهن مدموازيل ايضا .

انى وان كنت اشفق من صميم قلبي على هذه الفتاة التي نزلت
من عليائها وكبريائها ، لتعيش شريفة ، فاشتغلت « عاملة تليفون »
بست جنميات في الشهر ، غير انى سوف اتخلص من تهديدها لى فى كل
ساعة بالتليفون بعد ان استغنت المصلحة عنها ، ولكن من يضمن
كيف سأتخلص منها في المستقبل ، بعد تعميم التليفون الاتوماتيكي !

انصاف عذارى

- ۹ -

انصاف عذارى

دق جرس التليفون فى منزل سمير بك فريد ، فتناولت اقبال
هانم الساعة بيد متثاقلة فى حين كانت يدها الاخرى تفرك عن
عينيهما اثر النعاس ، ثم سمع صوتها فى خفوت يقول :

— آلو .. مين .. جعفر .. ازيك يا جوجو .. عاوز تكلم
لولو .. استنه شوية يا بابا اما اشوفها لك
ثم تركت الساعة وغادرت الغرفة الى ان عادت بعد فترة
قصيرة وقالت :

— آلو .. جعفر .. لولو لسه نايمة يا بابا .. يظهر انها كانت
فى «البالو» ليلة امبارح مع بنات الجيران ، اذا كنت تحب اصحبها
— مش ضرورى ياتيزه .. خليها .. مسكينة لازم تعبانه .
انا افوت عليكم الظهر او اذا صحيت قبل كدا قولى لها ابن خالتك
فى « ستانلى باى » مع احسان وفؤاد
وظلت عقارب الساعة المعلقة فى غرفة ليلي تمر فى بطاء وتؤدة
تتحدث عن احلام النائمة وآمالها .

ودقت العاشرة فاستيقظت لولو على اثرها وهى تتشاءب فى
تراخ ، الى ان تركت موضعها من السرير وذهبت فقبلت عمتهما وظلت
تتحدث معها فترة قصيرة ، ثم عادت الى غرفتها ثانية لارتداء ملابسها

واكتظ شاطئ « ستانلى باى » بغادات حسان وشبان
متأنقين يرودون الرمال البيضاء التى تتضاحك على الشاطئ فى وهج
الشمس ، وهم يرتدون أزياء قصيرة ملونة تزيد من جمال الاجساد
فتنة واغراء .

ووقفت لولو فوق احدى الصخور الرابضة على هامش الشاطئ ،
والماء يتفتت تحت قدميها لدى ارتطامه بالصخور ، وكانت ترتدى
لباساً مخططاً للاستحمام ، يحاكي في زرقته ما كان يحيط بها من زرق
الماء والسماء . والى جانبها فتى أسمر اللون ، عريض المنكبين ،
يحادثها في لهجة جذابة قائلاً :

سألت عنك فى التليفون النهارده الصبح ، قالت لى تيزه اقبال
انك لسه نائمة ، مين عارف كنت فىن ليلة امبارح . .
— لا والله يا جعفر . . أنا رحت مع احسان بنت الهامى بك . .
ومع بنات الدكتور لوتزىنى الى « البوريفاج » . . كانت هناك
حفلة « بال ماسكيه » أما شيك جداً !

— وياترى مين الى كان حظه يرقص معك ؟
— أخو مدموازيل تينا ، جارتنا الى بتشتغل فى « سنترال
الرمل » . . أهى جايه هناك . . استنه شوية أعرفك بيها .
وكان الشيوخ والشبان يمرون تباعاً وهم يترضون على الشاطئ
وأقدامهم العارية تنثر الرمال المبللة فى نواح متفرقة واستلفت منظر
ليلي بمجملها الساحر وقوامها المشوق أنظارهم ، فاخذوا يتباطؤون فى

خطاهم ويتلکأون في مشيتهم، ليمتعوا أنفسهم وحسبهم بصورة حية
من صور جمالها الفاتن !

وقذفت لولو بنفسها وسط لجات البحر وبين أمواجه لتطفأ ما
علق بجسمها من حرارة . وما أن احست بالماء يلامسها حتى فتحت
له ذراعها وأخذت الموجه الصاخبة تداعبها وهي تروح معها بين
صعود وهبوط ، ولين وشدة ، وقد ابتل الرداء وبانت تقاطيع
الجسم البض . . وظلت لولو تسبح بمهارة ، والشيوخ والشبان
يتبعونها في نظرات شرهة ويتبركون بالماء الذي يلامس أديمها الرطب
وعند الغروب كانت ليلى وابن خالتها جعفر ومدموازيل
تينا ورهط من أصدقائهم وصديقاتهم جلوسا يحسبون اكواب
البيرة المثلجة في شرفة « كشك الاستحمام » ويتمتعون بمنظر
الشمس ساعة الغروب

وكان يجاورهم في « الكابينة » عدة شبان اشتهروا بجمع كستهم
« لتينا » عاملة التليفون ، وقد بدأوا في هذه الليلة يديرون
« الجرامفون » وبعد أن وضعوا الاسطوانة المعروفة « آلو . .
آلو . . ميتين آلو ولا حدش رد » وكان أخبثهم يصيح مع اغنية
الجرامفون مردداً : « والله السنترال مش عاجبه حد . . » !!
وانتحت لولو وتينا جانبا ، وبدأت الاولى حديثها قائلة :
- ضرورى يا تينا الشبان دول واقعين فيك خالص والاياه ؟

فسخرت تينا من حديثها وقالت :

— الشبان ؟ .. ما هم يا عزيزتى الا كالخصاة البراقة ، نلتقطتها
من شاطئ البحر لنلهم بها ساعة ... حتى اذا ما فرغنا منها ، فوسط
لجأت البحر وأمواجه الصاخبة نقذف بها !!
فدهشت لولو وقالت :

— كيف هذا ؟ ألا تبادلين أى واحد منهم عاطفته ووجدانه ؟
— كلا يا عزيزتى .. ان حبهم يتلاشى من قلبى سرعاً
كما يتلاشى البخار الذى تمرقه الرياح فى يوم عاصف !!

وانتهى فصل الاصطياف ، واقفرت الشواطىء من روادها
وعادت ليلى الى القاهرة بعد حياة مليئة باللهم وحلاوة الذكريات
التي قضتها بين أحضان الشاطئ ،
ورأى والدها نفسه ذات يوم فى مأزق مالى حرج ، اذ كان قد
استدان من صديقه الكهل عبد الرحمن بك بضعة ألوف من الجنيهات ،
على أمل ان تتحسن أسعار القطن فيبيع المحصول ويوفى دينه ، ففكر
فى ان ينقذ نفسه وشرفه من هوة الافلاس ، فيزوج ليلى من عبد
الرحمن بك .

ولكن كيف تستطيع ليلى ابنة المراقص والاضواء ان تزوج
هذا الكهل وليد الجود وابن القرن التاسع عشر ؟ وان تروض
نفسها على معاشرته ؟

هذا ما كان يفكر فيه والدها ، غير انه بعد تعطف الى ابنته
وبعد ان شرح لها ظروفه المادية ، رضيت ليلي ان تضحي سعادتها
وشبابها في سبيل اسعاد والدها ، وان تزوج من عبد الرحمن بك
وجاءت « ليلة الدخلة » ووجدت ليلي نفسها في غرفة واحدة
أمام رجل لا تقوى قدماءه على الوقوف ! فكيف بها وهي تريد
شاباً يذللها بغيتها في الحياة

وتمثلت أمام ناظرها تلك الحياة المظلمة الداكنة التي ستجتازها ،
على أن شعاعاً فياضاً كان ينبعث فيبدد ظلمة هذه الحياة التي تخيلتها
هو اعتقادها أن المنية سوف تتعجل زوجها فتؤول ثروته الطائلة
اليها ، وبذا تستطيع الزواج بمن تحب ...

وتسكلم عبد الرحمن بك فقال لها :

— تعلمين يا ابنتي أني كنت متزوجاً منذ سنوات ثلاث ،
ولما توفيت زوجتي لم ارض بعدها بالزواج لقلة « بنات الحلال »
في هذه الايام ، واحتفاظاً بمودة المرحومة وذكرها الطيبة ..
وأخذ عبد الرحمن بك يسعل بشدة وأنفاسه تتردد في صدره
بين الموت والحياة الى ان قال :

— لقد كنت أعز المرحومة زوجتي ولم أغضبها ساعة واحدة
خلال الثلاثين عاماً التي عاشرتها فيها ، لذلك ترينني احتفظ في
البيت بكل اثر منها ، وأريد ان أروضك على العادات الحميدة
التي كانت متحلية بها حتي أجد منك مثالا حياً لها .

وبما أننا في بدء أول ليلة من حياة جديدة ، فيحسن بكل منا أن يشرح للآخر عوائده وطباعه ، حتي لا تتصادم رغباتنا . وبعد هذا الحديث الممل ، أخذ يشرح لها طباعه وكيف أنه من أشد الناس محافظة على الصلوات الخمس والقيام بالزكاة وأنه يسمح لزوجته بكيت وكيت ولا يسمح لها بعمل كيت وكيت .. وأخيراً طلب منها أن تطلعه على رغباتها وعوائدها حتى يكون على علم بها .. ووجدت ليلى نفسها مرة أخرى أمام عقلية جامدة كالصخر لا تنفع فيها قوة ولا حيلة ، فأرادت أن تفاجئه ببرنامجه فقالت : - اما انا .. فضروري تعرف انى واحدة نشأت « سبور » ، يعنى أذهب مرتين الى السينما فى الاسبوع ، ومرة الى الاوبرا أو الى أحد المسارح ، كما يلذلى أن أمر على شيكوريل والوفرو وكرفال دى فينيس ومدام لويز لارى مستحادثات الموضة وان يكون يوم الاثنين من كل اسبوع يوم استقبال فى المنزل لصديقاتى ، ولا بأس أن تصحبنى الى التياترو مرة او اثنتين فى كل شهر ، اما بقية البرنامج فلا أوافق على أن تشاركنى فى تنفيذ شىء منه مطلقاً . وعارض الزوج الكهل فى هذا البرنامج المخالف لطباعه ، إلا أنها هددته بالهجر اذ لا تستطيع أن تحيد عنه ، وأخيراً رضخ على الرغم منه ، أمام رغباتها .

ومر شهر تقريباً لا يعتور حياتهما أى عائق ، سوى ما كان يوصيها به دائماً من اتباع عوائد المرحومة زوجته ، وان تأمر الخادمة

أن تطهى له صنف كذا اليوم لان المرحومة كانت تحبه، والالتطعم من
النوافذ المطلة على الطريق العام لان المرحومة كانت تكره ذلك، وهكذا
أخذ يصم أذنيها كل يوم بمثل هذه الاحاديث التافهة عن المرحومة
وأخبارها ! ..

وتضايقت ليلى وتحملت كل هذه السفاسف على مضض، يعزبها عنها
أن كان لديها في بعض فترات فراغها ما يدفع عن نفسها ألم الوحدة
وكان عبد الرحمن بك يحضر في أوقات متقطعة الى المنزل فاذا لم ير
زوجته وسأل الخادم عنها، قيل له أنها في غرفة الاستقبال مع بعض الزائرات
فينصرف الى « السلامك » يدخن ويقرأ جريدة « الاهرام »
على أنه عاد ذات يوم الى المنزل، وقصد الى غرفة ليلى تواء
فاذ به يراها في مخدعها عارية تماماً أو شبه عارية ! والى جانبها
شاب أنيق، وسيم الطلعة ... ! وبهتت لولو عند ما رأت زوجها يفاجئها
هكذا، فانتزعت غطاء السرير في سرعة، وسرت به نفسها حياء وخجلا!
غير أن الزوج المهزوم صعق في مكانه وأجاب في صوت ضعيف:
— ما شاء الله ... آيه المسألة ! ؟

أجابت لولو في جراءة وسخرية :

— ... المسألة بسيطة ... انت مش دائما تحرضنى على اتباع
عادات المرحومة زوجتك ... ؟ حضرته كان مسافر وحضر اليوم
يسأل عن المرحومة عشيقته . ولما كنت تنصحنى دائماً وتحرضنى
على اتباع عوائدها ، فقد صممت على أن أطيع أمرك في هذه المرة !

الاديب ابو درش

— ١٠ —

الاديب ابو درش

حدثنا الراوى قال :

عرفت الاستاذ درويش منذ خمس سنوات ، من يوم أن
كان يخطر في أسماه البالية ويتدثر في أطماره المرقعة ، يذرع شوارع
القاهرة وطرقاتها جيئة وذهوبا ، ويمر على مقاهى « العتبة الخضراء »
التي تخذتها ذياك الوقت « محلا مختاراً » آوى اليه فى قترات
فراغى ، وكان يقف أمامى فى خفر وحياء ، عارى الرأس ، ينتعل
حذاء قد أكل الدهر منه وشرب ، لا يفارقه ذلك الجلباب الاثرى
المباهل ، وهو يعرض على صنوفا من كتب طال عليها القدم ، فاصفر
لون ورقها ، وتآكل مع الزمن رداؤها ، اذ كان يشتريها من المزادات
العامة بثمن بخس ، أو كتب قيل لى أنه صنفها وباعها الى أدباء
مدعين ، وضعوا أسماءهم عليها مقابل دراهم معدودة ، كان ينفقها على
مائدة الشراب .

فاذا ما جن الليل ، رأيت الاستاذ درويش — وكانوا
يطلقون عليه أحيانا « الاديب أبو درش » — متصدراً إحدى
موائد الشراب بمحانة و « بار السلسلة » ، حانة أثرية من مخلفات
القرون الوسطى ، تدخل اليها فتشعر بانقباض ورهبة ، وتراها
أشبه ما تكون بالاسواق العامة ، فتجد بائعى الترمس واللب والطحال
المشوى والسميط والبيض ، يعرضون بضاعتهم فى أصوات مزعجة

منفرة، كما يمر بك بائعو اللوتاريا وما سحوا الاحذية، وتصطدم عينك
بلوحات مكتوب عليها « ممنوع الغناء بأمر الحكومة » أو « الشكك
ممنوع » و « الدفع مقدما » وغيرها من أوامر وتعليمات صاحب
الحانة، وتطلب كأساً تروى به ظمأك فيسرع الجرسون اليوناني
العتيق بتلبية طلبك، وأخذ ثمنه قبل أن يصل الكأس الى شفتيك،
وكان الاستاذ درويش يدفع مقدما ثمن المشروب وهو متململ
حزين . وكان على ما يظهر لى من سيمائه وما يبدو من تقاطيعه
أن هذه الجبهة الضخمة التي تعترض وجهه المتشع بأهاب الصمت
إنما تخفى وراءها سرّاً دفيناً، وأن عينيه هاتين الجاحظتين، تحملان
من أثقال الحياة أكثر مما يطيق، بيد أنه كان يحاول جهده إخفاء
هذا كله، ويظهر لك ابتساماته الصفراء، مذابة في ظرف منطقة
وبسطة حديثه . وإذا صدقتموني القول اعترفت لكم — في غير
مواربة — أن هذا الاديب البائس كان سبب ثروتي الادبية
واليه وحده يرجع الفضل في انماؤها أو وفرة انتاجها .

كانت شفقتي على الاستاذ درويش، سبباً في أن أمد له يد
المساعدة، عن طريق ابتياع ما يعرضه على من كتب ومؤلفات،
وتكديس مكتبي من آن لآخر بمؤلفات جمة في شتى الفنون
والآداب، كنت أقضى شطراً طويلاً من ليلى في تلاوتها واستيعاب
بعض ما يعجبني منها، وأدت بي كثرة المطالعة الى أن أهوى
الادب واتعلق به . وكنت أزور الاستاذ درويش أحياناً في مسكنه

التواضع، وهو عبارة عن غرفة ضيقة أكثرها على سطوح أحد منازل
حي «كوم الشيخ سلامة»، ينيرها ليلاً مصباح باهت الضوء، ترى
على شعاعه الضئيل، أثاث المسكن، وهو مكون من سرير أثرى صغير
وصندوق خشبي يحفظ فيه بعض ما يملك من ملابس، ثم منضدة
مفروشة بصحف قديمة، أصفر لونها من تأثير الشمس

على هذه المنضدة، كان الاستاذ يأكل ويكتب ويجلس
الساعات الطوال، يقرض الشعر — كما يقول — وقد أطلعني على
بضع أوراق مكتوب عليها بمداد أزرق وأخرى بمداد أسود
أشعاراً غير متزنة القوافي وأدبا غير متلائم الأسلوب، ثم مسودات
لبعض مقالات يرسلها إلى الصحف السيارة، وكان نصيبها — طبعا
— سلة المهملات، ويدور بحث هذه المقالات، حول درس مشكلة
العاطلين، أو ندب سوء حظ الأدباء في هذا البلد الجحود، أو
الدفاع عن مصالح المستأجرين والطحن في فظاظه الملاك، خاصة الذين
لا يعطون منهم على الأدباء المعسرين، أو شرح سوء الحالة
الاقتصادية اليوم، وما إلى غير ذلك مما تنتجه هذه القريحة المجدة،
المحدودة التفكير.

وأطلعني على بعض قصائد من نظمه، قرأت مطالع الأولى منها،
وهي مرفوعة إلى رئيس ديوان بمناسبة صدور أمر الوزير بترقيته:
صبرت إلى أن اعتمد صاحب المعالي الامرا فأهنا الرئيس والوكيل الحرا
وفي قصيدة أخرى، لا أدري لمن ولا لاي سبب رفعها،

وهي مطولة جداً وقد اختتمها بالآيات الآتية :
أرجو أن تنال قصيدتي قبولا ان ميزة شعري ليس على قافيات
وغض الطرف عن خطأ فبحور شعري اليوم سائحات
وكان الاستاذ درويش معجبا فخوراً بجهوداته هذه وهو يقول
في ص ل ف و تيه :

— لا تنظر الى حقارة الاثاث أو الغرفة، بل فكر أنه من هذا
المعمل ، أخرج الادب والشعر في ثوب للناس قشيب ! !



ومرت الايام تباعا ، ولم أعد أسمع شيئا عن الاستاذ درويش
ولم يقع ناظري عليه يمر على المقاهي والمشارب العامة ، يعرض على
الجمهور ما تحويه مكتبته المتنقلة الجواله من مؤلفات ودواوين كلها
شعر وحكمة . وسمعت في يوم ما أحد بائعي اللوتريا من أصدقائه
يقول : ان الحظ بسم قليلا للاستاذ ، فسافر الى قريته باحدى
عواصم الصعيد ، حيث توفي أحد أقاربه تاركا له إرثا طفيفا ،
هو بضعة قراريط وأشجار من النخيل .

وقد صدق المثل القائل « الادب مرض عضال » فان الاستاذ
درويш ما كاد يحس بهذه الثروة بين يديه، حتى أسرع الى القاهرة
وفي رأسه مشروع ضخم هو بلا شك نتيجة احلام سنوات كثيرة،
ويود أخراجه الى حيز الوجود ، ذلك أن يأخذ تصريحاً بمجلة
اسبوعية ، يجعلها وقفا على الادب والشعر، وأخبار الكتاب والمؤلفين

وبر الاستاذ درويش بوعدة ، وظهر أول عدد من أعداد مجلته
« الادباء الناشئين » في السوق ، ووقف الاستاذ في « العتبة
الخضراء » وغيرها من الميادين العامة ، يرقب حركتي « الصعود
والهبوط » ، ويبحث الباعة على المناداة باسمه قبل اسم الصحيفة ،
ليغري الجمهور بالشراء ، وكانت مواد هذه المجلة ، عبارة عن
مقالات وكتف مسروقة ، من نفح الطيب والعقد القريدو والمستطرف
في كل مستظرف ، وغيرها مما تحويه كتب الادب العربي ، أو
الصحف والمجلات القديمة ، ومضى شهر ولاحظ الاستاذ درويش
والاسف يملأ جوانحه . أن أسهم « بورصة العتبة الخضراء » في
هبوط مستمر . ولم تتلقف أيدي الجمهور مجلة « الادباء الناشئين »
كما كان ينتظر لها . بل بالعكس . لم تلاق غير الكساد والبوار .
وتوقف المتعهد عن تسليم العدد الخامس بحجة أن الاربعة أعداد
الاولى . لم يحن من ورائها غير الخسارة الفادحة . وأن المرجوع
منها أكثر من المبيع .

غير أن الاستاذ درويش الذي لم يستطع الدهر أن يفت في
عضده . أو يخذله فيما يعتزمه . أبرز مشروعا آخر . هو أن يستغنى
عن المتعهد وتحكمه بأن يستأجر بضعة أشخاص من أبناء بلده العاطلين
يوزعون مجلته على الجمهور . و كان يلصق بيديه اعلانات في الشوارع

معلنا فيها عن مجلة « الادباء الناشئين » . وما تحويه من ناضج
الآراء وحرية الفكر وسعة الاطلاع . . . الخ

وظل الاستاذ درويش مشغولا بالادب حتى أفلس . وبدد
الثروة الضئيلة التي جاءتة عفواً . ووجد نفسه لا يملك قوت يومه
فماذا يعمل ؟ حمل أعداد مجلته الكاسدة فوق عربة يد . وأمسك
بجرس صغير في يده . ثم شرع يمر على المقاهي والمشارب العامة .
ينادي بأعلى صوته على مجلة « الادباء الناشئين » وهو يقول :
« خمسة أعداد بقرش » . وهكذا خبا مشروع المجلة وشيكا .
وسرعان ما عاد الى مهنته الاولى « كتبي وأديب متجول » .
وقابلني في ذات مساء ، يقص على من أنبأته الشيء الكثير ،
نادبا سوء حظ الادب في البلد ، وهو يردف كل جملة بقوله :

— ان الناس لم يفهموا أدبي بعد . . . ! !

قص على الاستاذ درويش تاريخ حياته في يوم ما ، فأخبرني
أنه نشأ « نساخا » بدار الكتب المصرية ، ينسخ ابن زيدون وابن
خلدون وغيرها من الكتب المخطوطة لاصحاب المكتبات أو لغيرهم
من الادباء ، ومن هنا يمكننا أن نقول ، أن ميله للادب قد اتجه
منذ هاته الساعة .

وكنت تراه منذ الصباح الباكر في طريقه الى محل عمله ،

وهو يحمل تحت إبطه، محبرته النحاسية وأقلامه، وبضع صحف طال عليها القدم، فاذا ما انتهى من عمله بعد الغروب، قصد توا الى « قهوة العلم » بميدان باب الخلق، وحوله « شلة » من الطلبة الازهرين المعجبين به وبأدبه، ويمضون المساء، وهو يروى شتى الاقاصيص عن الكتاب المعاصرين والسالفين، وأخبار فطاحل الشعراء، وأيهم شعره الغث من السمين، ثم قراءة صحف المساء وتعليق بسيط على هامش الحوادث، فاذا جاءت السياسة، وما أدراك ما السياسة!! فهنا الطامة الكبرى، لان الجدل يقوم بينهم سجالا، هذا يفتصر لحزب من الاحزاب، وذلك لآخر، ويكون الليل قد انساخ منه نحو ثلثه، والمقهى قد خلا تماما الا بضعة افراد ينضمون الى حلقتهم ويتبعون باهتمام زائد موضوع المناقشة، ويعلو الزبد في فمه، ويحتاج في حماس متواصل. الى أن يكون موعد « التشطيب » فيقومون جميعا، الى حيث تقع مساكنهم في الحى الازهرى أو — اللانينى — كما يطلقون عليه احيانا.

ومن نكد الدنيا على الاستاذ درويش، أنه أحب فى أوقات شبابه، فتاة كانت تشاركه نفس المنزل الذى يسكنه، ولم تكن حرفة الادب قد أدركته بعد، حتى تصرفه عنها وعن حبها، بل أنه كان لا يزال انساخا بدار الكتب، وهناك ديوان من

شعره يحوى غزلا وشعراً ، كله مناجاة فى حبيبته « اعتدال »
وهذا الديوان ، يذكر لى عنه أنه لا يزال منذ خمسة أعوام « تحت
الظبع » فقد عرضه على الكثيرين من أصحاب مكاتب النشر ،
لكنهم وعدوه خيراً .

وتزوجت حبيبته اعتدال ، من الاسطى أبو هشيمة ، معلم العرييات
الكارو ، وغدرت به ولم ترع زمامه وعهوده ، فبكأها أحر بكأه ،
وخلد وصلها وهجرها فى أشعار غزليه ضمها ديوانه « الخالد » ،
وأخذ يسلو هواها بزجاجة الخمر ومائدة الشراب ، حتى جنت
الصبياء عليه وكانت سبباً فى إغراض الناس عن خدماته ونسخه
وهكذا وجد نفسه ملقى فى الشارع لا يملك قوت يومه ، فلم يكن
منه الا ان اتخذ بيع الكتب مهنة يرتزق منها .

واشتغل الاستاذ درويش فترة من الزمن ، مراسلاً لبعض
الصحف فى بلده ، لا عمل له بالنهار الا المرور على الاعيان ومضايقتهم
بالاشتراكات ، والجلوس فى ديوان المركز للتشرف بطلمعة حضرة
« البيك المأمور » وتسقط الاخبار لارسالها الى الصحف ، ونشرها
باكليشاتها المعروفة ، فحينما يكتب أن « الامن مستتب فى أنحاء
المركز وإن الهمة مبذولة بفضل سعادة المأمور ، الذى يضرب
على أيدي الاشرار والمجرمين » ، وآونة أخرى يكتب « قدمنا
اليوم حضرة حكيم المركز المعين حديثاً ، وقد تسلم زمام أعماله بما
عرف عنه من الهمة والنشاط ويسرنا ان نثني عليه جم الثناء »

وإذا تأخر مشترك عن دفع « المعلوم » فسرعان ما ينشر بأحدى
الصحف الاقليمية المتواضعة « وصل الى مسامعنا أن فلانا يشاع
عنه كيت وكيت ، ونحن نمسك عن ايراد بقية الخبر ، الى أن
ننشر التفاصيل كاملة في العدد القادم » . وبعد ذكر التهديد
المزعوم ، يذيله بجملته « ولنا عودة » .

في يوم ما كنت أسرع الخطى صباحاً الى محل عملي ، واذا بي
أبصر مشهداً استوقفني وراء دار « مصالحة البريد » على رصيف
« صندوق الدين » ، منظر رجل متدثر في أسمال بالية ، تفوح
رائحة الخمر الكريهة من جوانبه ، على حين توسدت هامته كمية
من الكتب القديمة ، فلم يخالجنى شك في حقيقته ، وتأملته مايا
فاذ به صديقنا الاستاذ درويش وهو يغط في نوم عميق .
— ايه أيها الصديق : أهكذا ينام الادباء ؟ يفترون العبراء
ويلتحفون السماء ؟

فكان جوابه بعد أن ثأب وتمطى وتبينني جيداً :
— ألم أقل لك أن الوقت لم يحن لان يفهم الناس أدبي بعد ؟
ثم أغمض عينيه وعاد اليه نعاسه العميق .

الغروب

- ١١ -

الغروب



نشأ عمران في قرية « أبو سويلم » صبيها يافعا تلوح على
محياء أمارات الفطنة والذكاء ... يقصد في الصباح الباكر « كتاب
الحاج عبد التواب » ، ليقراً القرآن ويتلقى مبادئ الحساب ، حتى
إذا جاءت الظهيرة تناول القليل من الطعام التافة ، ثم يقصد الى
« حقل الباشا » الذي يعمل فيه أبوه ، ليساعده في أداء بعض
الشؤون . وتحين ساعة الغروب ، فيصحب الولد أباه الى المسجد
لتأدية الصلاة ، فإذا فرغا منها ، فقد يظلان الى موعد صلاة العشاء
حيث يلتئم شملها بالشيخ يونس ، مأذون القرية وعالمها اللوذعي ،
وعم متولى الفقية الاعمى ، والحاج عبد التواب معلم القرية وغيرهم
فيتحدثون عن أخبار الزراعة وجنى القطن والرى وأخبار العمدة
وموعد الانتخابات ، وعن كل ما يحيط بهذه القرية الصغيرة من
مظاهر القناعة والبساطة ، فإذا ارتفع صوت المؤذن بصلاة العشاء ،
انقطعت أحاديثهم ونهضوا جميعا الى الصلاة ، يتهلون الى الله في
حرارة وتقوى ، أن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على أعدائهم وأن
تحل بركته عليهم وعلى آلهم أجمعين .



وخرج عمران كعادته ، مبكراً في الصباح في طريقه الى

« الكتاب » وكانت الشمس بدأت ترسل خيوطها الذهبية على
المزارع والحقول ، فيسقط الندى تحت تأثير حرارتها ، وكان يرى
عن بعد سرب من فتيات القرية الحسان يرفلن في ملابسهن الريفية
وقد اتشحت كل واحدة منهن بمئزر أسود ، ووضعن فوق رؤوسهن
جرات الماء ملئها من التربة المجاورة ، وكن يرمن باصواتهن الجميلة
في هذا الصباح الباكر ، كالطيور على غصون الأشجار ، تلك
الاغنية الريفية الحلوة « عطشان يا صبايا . . . دلوني على السبيل »
كم من مرة سمع عمران مثل هذه الاغنيات الريفية ، فلم تحرك
من حسه ووجدانه قدر ما هزته الساعة ، فقد كانت تتوسط الصبايا
فتاة اشتهرت بين بنات قومها بما حببها به الطبيعة من رقة في الصوت
ونبرات في الحس ، وكان صوتها الحنون ، يردد أعذب الاغاني
وأحلاها فيحيا كي ترجيع الطيور وترنيمها . وظل عمران يشيعهن
بانظاره الى أن اقتربن من مورد الماء فكشفن عن سيقانهن العارية
ونزلن لتنظف كل واحدة وعاءها قبل ملئه . ووقف عمران
متوارياً في ظل شجرة يتمتع نفسه بسحر هذا المنظر ويشبع حسه
بصورة حية من جمال « شمس » الفتان الذي طالما تغنى به
شبان القرية .

فقد كانت شمس حقاً ، شمسا منيرة على القرية وساكنتها ،
تضيء بسناها وضحكاتها لياليلهم الداكنة وتبدد بابتساماتها الساحرة
شجونهم وأحزانهم ، وتشرح بأغنياتها الحلوة صدورهم المكلومة ،

فلا عجب أن كانت مهبطاً للقلوب ومحطاً للانظار ، والمثل الأعلى
الذي ينتصب في أذهان شباب القرية ورجالها .

وسمع عمران على حين بغتة صراخاً وولولة من بين الفتيات ،
يطلبن المعونة والنجدة ، فقد زلقت شمس بقدمها وغاصت تحت
الماء ، فاسرع لساعته وقذف بنفسه في التربة ، وظل يبحث عن
الموضع الذي استقرت به والتيار يجرفه ويبعده عنها ، وبعد جهد
ومشقة انفرجت شقة الماء عنه وقد رفع شمس بساعده القوي ، ثم
حملها الى الشاطئ ، وأجلسها على الحشائش الخضراء محاولاً جهده
أن يفيقها من غيبوبتها ، والفتيات يساعدنه بأن يفركن وجهها
وأطرافها حتى تدب الحرارة الى جسمها .

وأفاقت شمس قليلاً وعادت الى حالتها الطبيعية ، وكانت
أول كلمة لفظت بها : أنا فين . . . ؟ .

فلما أطلعنها صويحباتها على الحقيقة المرة ، بكت وانتحبت
وعزمت على ألا ترد الماء مرة أخرى ، وتفوهت بضع كلمات تشكر
بها منقذها ، ثم انصرفت معهن الى حال سبيلها ، تتوكل على سباعده
أختها فاطمة .

كان عمران اذ ذاك في الرابعة عشر من عمره ، ولم يكن
كشبان هذا الجيل من سكان المدن ، يتيه نحافة ويزداد شحوباً وضعفاً ،
بل كان وهو في هذه السن فتى يافعا ، تلوح على محياه أمارات

الرجولة والخشونة وتملاً جسمه الحرارة والقوة فلا عجب أن يتزوج أهل الريف وهم في مثل هذه السن المبكرة .

على أن حادثة كهذه ، سرعان ما تنتشر في أرجاء هذه القرية الصغيرة ، فتملاً الافواه والاسماع ، ويلهج بذكرها كل أنسان ، وكان من جراء هذه الهالة من المجد التي أحاطت بعمران ، أن وجدت له حساداً ومنافسين من شبان القرية ، ومن كانوا يتسامون بجسم شمس عن أن يمسّه مثل هذا الشاب الوضع الذي يعمل أبوه « خوليا » في « حقل الباشا » وأن يكون لمثل هذه الحادثة أثر في نفسها فتحله من قلبها مكانة رفيعة .

ومرت الايام تباعاً تحمل في أعطافها حسد منافسيه وقسوة محبيه ، وكانت أواصر المعرفة والصداقة ، قد انعقد لواؤها بين كل من أسرة عمران وأسرة شمس ، وصحت عزيمة والدته ، لتطلب الفتاة زوجة لابنها ، غير أنها رأت إرجاء هذه الفكرة الى أن تباع محصول القطن ، وتوفى بعض ديونها .

وبلغ عمران السادسة عشرة من عمره ، وكان شهر اكتوبر ، وهو الشهر الافرنجي الوحيد الذي يعرف اسمه سكان القرى عن كل شهور السنة الميلادية ، لان فيه تباع أقطانهم ويروج دولاب الاعمال ، وارتأى عمران أن يقصد الى القاهرة للتبرك بأولياء الله الصالحين وزيارة أضرحتهم ، حتى ينصروه على أعدائه وحساده ممن كانوا يزاحونه محبة شمس ، وليبارك الله في محصول الارض

التي استأجرتها أمه ، فيبيع أقطانه ويتزوج شمس ، وكان يفكر
في أمر زواجه كأنما هو يفكر في قصة جميلة أو حلم ذهبي ، وكان
سعيداً بهذه الأحلام ينسج حولها شتى الآمال والأمال
وعاد عمران إلى القرية بعد أدائه زيارة أضرحة أولياء الله ،
وقد أحس بالآيمان يعمر قلبه والتقوى تملأ صدره فتسد فراغاً
روحياً كان يشعر به من قبل .

وفي ذات يوم قصدت شمس إلى سوق القرية المجاورة ،
برفقة أختها فاطمة ، لشراء بعض الحاجيات ، وكانت أنوثتها قد
كملت ، فبرز نهديها كالكمثرى الناضجة ، وتوردت وجنتاها
حتى صارتا ككون الشفق الدامي ساعة الغروب ، ورآها عمران
فتبعها عن بعد ، حتى لحق بها عند آخر حدود القرية ، فلما
أبصرته أرتجفت أطرافها ، وغاض لون وجهها ، وأخذت نبضات
قلبها تثب في عنف وقوة . وأقبل عليها يحادثها قائلاً :

— على فين كده يا شمس . والله سلامات

والتفت إلى فاطمة فوجدتها تحديق النظر إليه ملياً . فقال لها :
— صباح الخير يا فاطمة .

فحيته بتحية ملؤها الخجل والحياء . وشرعت شمس تتكلم
فقالت له : أنها ذاهبة إلى السوق لا بتياع بعض الحاجيات الضرورية
فلما سمع منها هذا . رجاها أن يصحبها ليعاونها في شراء وحمل
حاجياتها فقبلت منه هذا بعد تردد .

وفي الطريق، بين المزارع والحقول، أقبل يحدثها عن يوم أن التقى بها صدفة، ويوم أن جازف بنفسه محاولاً انقاذها في حادثة التربة، وتدرج الحديث بهما، وأخذ يشرح لها شدة ما يعانیه من الوجد والهيام، فقد أحبها منذ أن وقع نظره عليها في أول مرة وعلق فؤاده بها، الى أن قال : انه لا بد سيتذوق ثمرة هذا الحب وهو الزواج .

وكانت شمس تعرض عن حديثه في بادئ الأمر، غير أن اعترافه الأمين بهذا السر الدفين من الوجد الصادق والرغبة الأكيدة في الزواج، حملها على أن تستسلم اليه وأن تخفض لحبه جناح الذل من الرحمة . . .

وتعدد ذهاب شمس الى سوق القرية المجاورة في صبيحة كل يوم أربعاء بحجة ابتياع بعض الحاجيات، اما الحقيقة، فلتلتقي بعمران، يتحدثان حديث الهوى والشباب . لكن استمرار هذه المقابلات بينهما، لا يمكن أن يمر بسكون، فسرعان ما تناقلت القرية، شيبها وشبانها، اسم شمس ولا كته الألسن بالسوء والاشاعات الراجفة، وفطنت أسرته الى الهمس الذي يدور حول ابنتها، وغضب أبوها وهددها بالقتل والقاء جثتها في البئر إن عادت الى مقابلة عمران مرة أخرى أو غادرت المنزل . حتى أنه لما ذهبت أسرة عمران لتخطب شمس، مانع والد الفتاة بشدة، لما بين

الأُسرتين من الفوارق من حيث الجاه والثروة والحسب .
واقترق عمران عن شمس وتلاشت آماله وأحلامه ، وأنكسر
قلبه تحت هذه الضربة الأليمة ، وعبست الدنيا في وجهه مرة واحدة
وأحاطته المصائب من كل جانب ، فقد توفيت والدته ، وسلط عليه
بعض منافسيه ، أشرار القرية فاقتلعوا زراعة قطنه بين سواد ليلة
وبياضها ، وسمموا مواشيه في ليلة أخرى ، وهكذا ظلت النكبات
تتوالى عليه ، ولم يقو المسكين على ردها أو دفعها بل تحملها في صبر
وإيمان بقضاء الله .

وجاء دور التجنيد السنوى لشباب القرية ، واقترع عمران
للانخراط في سلك الجندي ، وتحطم فؤاده لهذه الصدمة الأخيرة ،
التي لا حول له فيها ولا قوة ، من أين له في هذه الأزمة
الطاحنة ، بعشرين جنياً « قيمة البدلية » ، يشتري بها نفسه وراحته
من العسكرية ؟ سوف يبعد منذ الصباح التالى عن هذه القرية المحبوبة
التي أزدهرت بين رياضها وحقولها أحلامه وأمانيه ، والتي خفق
فيها فؤاده لأول مرة بالحب ، الى السودان وسط الصحاري والقيافي
تلفح رأسه حر الهاجرة ويذاق من عذاب الفرقة أمره وأقساه ،
بعيداً عن أهله وذويه ، وموطنه الذى نبت فيه .

الا أن الايمان كان لا يزال يعمر قلبه ويملاؤه روعة وجلالا
فعرف أن هذه إرادة الله والامرء لارادته . وطلعت شمس اليوم

التالى والقطار ينهب به الارض منها الى « العباسية » حتى اذا ماتلقى
المبادئ الاولى للجندي وانظمتها ، سافر الى السودان ، كجندي
عامل فى بناء مجد الوطن ، وعنوان عزته وفخاره .

وحاول مرة أن يعود بأجازته الصيفية الى القرية ، وكتب بهذا
الى ابن عمه ، غير أن الرد جاء يحمل اليه ، خيبة للامل الذى تعلق
بأهدابه ، فان الافراح سوف تقام فى هذه الفترة لشمس حيث
تتأهل بابن العمدة .

وجزع عمران لدى قراءته هذا النبأ ، وحل اليأس بفؤاده
الأيام ، وصدمته هذه الاخبار فى أعز رجاء يحتفظ به ويرجوه ،
وحملته شدة الوجد الصادق ومحبه البريئة لشمس ، على أن يظل
فى السودان بعيداً عنها وعن رؤية أهله ، وحتى لا تتخذ زيارته للقرية
ذريعة لاشاعات تقول بها خصومه . فقد كان يعلم أن شمس إنما
تزوجت من ابن العمدة قسراً عنها وطواعية لرغبة أهلها الذين
ساقوها الى هذا الزواج كالانعام ، لينبوا مجدهم وشهرتهم على
حساب ابن العمدة .

وساورته الهواجس العابسة والافكار المظلمة غير أنه استعاذ
بالله منها خيراً ، وعرف أن كل شئ إنما يجرى بارادته وطوع مشيئه
وكانت الشمس قد بدأت تغيب إذ ذاك لتعود قافلة وراء جبال

النوبة ، وظهر الشفق بلون أحمر قان ، الى أن هبت الريح مرة واحدة
وأثارت في الجو صفيرا مخفيا موحشا . ونظر الى السماء وقد غابت عنها
الشمس واختفت تماما ، ثم تنهد ملء صدره وقال في حسرة وحرقة :
— لقد اغتربت وغابت ، كما غابت بالأمس شمسي ، وشمس

حبي . . . !!

ثم قصد لساعته الى مسجد المعسكر ، يتوضأ ويستعد لصلاة
المغرب .

أ. مل ضائع

صاحب المعجزة

- ١٢ -

صاحب المعجزة

نشأت اقبال في بيت كريم تحوطه المهابة والجلال ، مشوقة القد
مشرقة الوجه ، فتانة الملامح ، حلوة الحديث ، تلهب حدة ونشاطاً
تهزأ بالتعاليم الحديثة وتسخر من المجتمعات ، لا تهدأ لها نائرة ولا
يستقر لها مقام . فأحياناً في الحديقة تطارد قطتها « مفيدة » لأنها
أختلست قطعة من اللحم وفرت بها ، وأخرى في المطبخ تلقى
محاضرة على الطاهية في عمل « الينجى ضولة — أو — الشركمية »
وثالثه الى « ما كينة الخياطة » تصنع لعرائس أخواتها الصغار ملابس
وقبعات . ورابعة تراها متصدرة مجلساً ضم الكثيرات من
صويحباتها وهي تندفق بينهن ثرثرة وشقشقة .

يجرى في عروق اقبال الدم الكردي ، إذ يعود تاريخ أسرتها الى
عهد دخول الاتراك هذه البلاد ، فورثت أسرتها عنهم تقاليدهم وطباعهم ،
وضربت على الحريم أستاراً كثيفة لا تنفذ منها أنظار المتطفلين
وبلغت اقبال الثامنة من العمر ، فلم تشجعها أسرتها الرجعية
على إدخالها المدارس لتلقى العلم ، اما خوفاً من سطوة المرأة
وتفوقها على الرجل ، ومعرفة أن لها حقوقاً يجب أن تحصل
عليها ان هي تثقت ونالت من العلم قسطاً وافراً ، واما لخوف
رب الاسرة . إن هي ذهبت الى المدرسة فيراها الجميع
سافرة . واستقر قرارهم اخيراً على احضار الشيخ عبد المجيد فقيه

المنزّل ليقرءها القرآن ويرويهها بعض التعاليم الدينية ، ولا خوف ، فقد ناهز الشيخ الحلقة الخامسة من العمر .

ثبت اقبال وترعرعت وألمت بمبادئ القراءة والكتابة وشغفت بالمطالعة شغفا زائدا ، فكانت تنتهز كل فرصة تتاح لها . فتقرأ الصحف اليومية وبعض المجلات والمكتب

على أنه في يوم ما وقعت في يدها قصة غرامية ، من تلك القصص المبتذلة التي تسمم العقول والابدان ، والتي لا يستحي بعض الكتاب من وضعها افسادا للاخلاق واغراء للشبان على اقتنائها ، لا تدري كيف وقعت هذه القصة في يدها . فكل ما تذكره أنها عثرت عليها صدفة في « الصالون » وربما نسيها ابن عمها عبد الرؤوف إذ كان يزورهم في الصباح .

وأنست اقبال ميلا غريبا الى قراءة القصص الغرامية والشغف بمعرفة كنهها وما تحويه من غريب الاسرار ، وكانت قد ناهزت الربيع الخامس عشر ، وصورت لها الحياة — الخفية عن ناظرها — في أجلى معانيها ، وأن هنالك عالما اسمه « الحب » ووجدانا يدعى « العاطفة » وشعورا خفي عنها سببه واستتر امره ، وكلما استوثقت من نفسها باكتشاف شيء اقبلت على الآخر . حتى تنبهت حواسها وتيقظت غريزتها النسوية ، وعرفت اصل المرأة ، ووظيفتها في الحياة .

ولكن كيف السبيل الى اشباع هذه الرغبة التي اضطرت

داخل صدرها ، وخبا أوراها بين جوانحها ، أنها تريد أن تكتشف
هذا ، تريد أن تقف على معرفته . ولو بذلت في سبيله عشرة أعوام
من عمرها .

فلنتركها قليلا منغمسة في تأملاتها العميقة . تبحث عن الحب
المرجو والهوى المذشود ، الذى أخذت تمخيله خلال سطور القصص
والروايات الغرامية التى كانت تساعد الخادمة على ابتياعها من
إحدى مكاتب « العتبة الخضراء » .

سكن الغرفة العليا من المنزل المرقوم (—) بشارع البغالة بحى
السيدة زينب ، فتى ريفى غض الالهاب ، أسمر اللون ، مفتول
العضل ، نزح الى القاهرة للالتحاق بإحدى مدارسها الثانوية .
وكانت أكثر أوقاته جلوساً عند توفيق افندي الترنزى الذى
يقع حانوته الضيق تحت المنزل . وقد يتناول الحديث خلال جلوسهما
شؤوناً شتى ، منها ما هو خاص بالاجواء والامطار . ومنها ما هو
خاص بأسرار الاسر . وقد يتناول السياسة أحياناً وذلك عند ما
يسكون الشيخ محمود الفقيه الاعمى وشقيق توفيق افندي موجوداً
أو خيرى بك والد اقبال .

وقد يحدث أن يعلو صوت المناقشة بينهم أحياناً فيتنبه الى ذلك
بعض السكان المتاخمين لحانوت الترنزى ، وسرعان ما ينظرون من
« شيش » الشبابيك ويتبعون باهتمام زائد موضوع المناقشة

وتنتبه اقبال الى صوت والدها وهو يعلو ويرتفع . ويهرع صاه
في الفضاء بحر كات عصبية . يدافع عن حكم الاثر اك . وكيف ان
العيش يومها كان رخيصاً والحياة كلها متاع ولذة وتحكم اقبال وضع
عينها في « الشيش » لترى الشخص الذي يناقش والدها ،
فاذا به شاب لم يتجاوز الثامن عشرة ربيعاً ، فتان الملامح أسمر
اللون ، فيأخذها الحنين اليه وتود لو تجالسه . انشبع نفسها بحلو حديثه
وظرف منطقته .

وتصعد اقبال في صبيحة اليوم التالي — وكان الجمعة — الى
« السطوح » لمساعدة الحنادمة في « نشر الغسيل » فتري فتى
الامس على « السطوح » المجاور وهو يخلع جيئة وذهوباً في جلاباب
نومه الريفي ، ويبدء كتاب محفوظات لا ينقل نظره عن الصفحة
التي يقرأ فيها بصوت عال « أفاطم لو شهدت بيطن خبث »
فتقف اقبال تنظر اليه بشغف وشراسة ، تكاد تلتهم عينها
تقاطيع وجهه الحلوة ومظاهر الرجولة البادية عليه ، ويقع نظر جلال
نجاهة عليها ، يرى أمامه فتاة سافرة الوجه عارية الذراعين والساقين
فيخالسها النظر في حياء وخوف بعد أن يرفع الكتاب عن وجهه ،
وتتقابل النظرات ويشعر كل منهما بشعور مبهم ، بماطفة
خفية أخذت تملأ فراغ الصدر شيئاً فشيئاً ، وان هي الا لحظات
قصار حتى تنخذل نظرات الشاب وتتكرر أمام نظرات الفتاة
الجريئة . . . ويسود السكون . . . والهوى يتكلم !

ويهب النسيم اذ ذاك بليلا ، فيأخذ في اتجاهه أحد المناديل
المنشورة على الحبل ، ويقع المنديل فجأة تحت قدمي الشاب ، وبحركة
مضطربة ، يتناوله ثم يسير بخطوات متعاقبات ليقدمه اليها . . .
وأن يظفر منها بكلمة شكر قصيرة !

كان هذا اليوم فاتحة حياة جديدة لكل منهما ، وبدء علاقة
خفية تسكناها عن الناس . فكانت اقبال تجلس في الشباك عصر
كل يوم تنتظر جلال وهو يعود من مدرسته ، فتبادلواياه النظرات
وربما صعدت الى السطوح بحجة « نشر الغسيل » ، فتتهادي
واياه اللامات والقبلات عن بعد . . . في الهواء .

اما الخادمة « جواهر » فكانت خير واسطة بينهما ، اذ ظلت
تؤدي وظيفة « مصاحبة البريد » في تبادل رسائلهما الغرامية
واقبلت ليالى رمضان بمسراتها ومبهجاتها ، وكان منزل خيرى
بك عامر آكل مساء ، بنخبة من رجال الدين وأرباب المعاشات من
اصدقائه ، يتوافدون بعد صلاة العشاء لاستماع القرآن ، يتلوه
الشيخ سكر بصوته الرخيم ، واصلاة التراويح .

وكان جلال قد تعود بحكم صلة الصداقة التي تمت وتوثقت
عراها على ممر الايام بينه وبين والد اقبال . أن يغدو ويروح
في « السلامك » وأن يقابل « جواهر » الجارية بحجة احضار طعام
« السحور » للفقهاء . في حين انه كان يجتمع باقبال في الحديقة
وراء غرفة عم آدم البواب ، وأن يتشاكيا حرقه الهوى وصبايته .

وجاءت العطلة الصيفية وسافر جلال الى بلده ليمضيها وسط أهله
وذويه، ومرض والده خلال ذلك مرضاً شديداً ثم توفي، وتعذر عليه
أن يرأس اقبال أزاء فجيعة بفقد والده، الى أن تناساها شيئاً فشيئاً..
ونظرت اقبال الى نفسها فوجدت أنها قد أصبحت وحيدة في
هذا العالم وأن الرجل الذي حملته أمانة الحب قد تخلى عنها وهجرها
الى الابد.... فاظلمت الدنيا في وجهها وأخذت تمهش في البسك،
بصوت خافت، وجواهر تطيب خاطرها وتؤملها أن جلالا لا يبد
وأن يحضر عن قريب.

وعاد جلال فعلا الى القاهرة، ولكن لا ليعود الى غرامه،
بل ليودع اقبال الوداع الاخير، فانه لا يستطيع أن يترك أمه واخواته
الصغار وحدهم في البلدة بعد وفاة أبيه. بل أنه سيباشر حالة الزراعة
ويواصل عمل والده تحت اشراف عمه...

بعد هذه الحوادث بأربعة أعوام، شبت اقبال وترعرعت،
وشعر والدها بحاجته الى أن ينعم برؤيتها زوجة سعيدة ناعمة البال
قبل أن يدركه الهرم والفناء، وظل يبحث شهوراً وأياماً عن الزوج
الكفء الذي يصلح لابنته، فلم يجد أليق وأكفاً من صديقه سلامة
بك الموظف بوزارة الاوقاف.

وتزوجت اقبال سلامه بك قسراً عنها، إذ أننا كما قال والدها
في الشرق، وليس من حق الفتاة أن تعارض أو ترفض الزوج

الذى تقدمه أسرتها ، بل أنها خلقت لتكون زوجة وأماً
فقط ! !

مكثت اقبال مع زوجها الكهل زهاء عامين كانت الحياة فى
ناظرها أضيق من سم الخياط كانت تريده رجلاً صحيح
الجسم ممثلثاً صحة وعافية ، كانت تريده قوى الساعد مفتول
العضل . ترمى فى أحضانها فتتعم وأيام الحياة السعيدة تتخللها أحلام
الشباب الغضة ومتمعة الحب الحارة ، فإذا بالقدر يسخر منها ويلقى بين
يديها رجلاً هزيلاً ضعيف الجسم ، لا تقوى قدماءه على حمله .
وكما نظرت الى صديقاتها المزوجات ، سعيدات ناعمات البال ،
يرعين أطفالهن تحت كنفهن ويتعهدن بالحنو والاشفاق ، تبكى
بكاء مرأ ، حتى أن الوسادة تبتل من فرط ما تذرف من دموع
. . . وشجون ! لقد هزأت بها المقادير وطوحت بين ذراعيها
رجلاً غير قادر على أن ينيهاها بقيتها فيعطىها طفلاً تسعد وتنعم به
طول الحياة . . .

فى يوم ما كانت اقبال جالسة كهادتها تبكى سوء
حظها الخائب وأملها العاثر ، وإذا « بأم احمد » الدلالة قد أتت
لترى عما اذا كانت فى حاجة الى شىء من بضاعتها لقد
أحضرت أصنافاً حديثة من المناديل « الأوية » والامشاط
« والفلايات » وغير ذلك مما فى حاجة قصوى اليه السيدات .

فتخبرها اقبال بقصتها من البداية الى النهاية ، كيف كتب لها
في سجل الحياة أن تعيش ، لكن لم يكتب لها أن تكون سعيدة
ناعمة البال . كيف ينعمن الاخريات ويسعدن باطفالهن ، لكنها
مجدبة ، تزرع في أرض قاحلة لا تحصد منها الا علقما . فتقبل عليها
« أم احمد » تطيب خاطرها وتبشرها أن عندها السر في ذلك ،
وأن في مكتبتها أن ترشدتها الى باب السعادة ، فتتهم اقبال بهذا
وتسألها في دهشة مريبة ، أن توضح لها مغزى ما تقول ...

فتذكر لها « أم احمد » أن هناك في ناحية « المحمدى »
رجلا مغربيا قد أوتي من السحر والحكمة شيئا عظيما . وأن في مكتبة
بفضل قوة علمه أن يكتب لها عن « وصفات » اذا تعاطتها فسوف
ترزق بمولود سعيد تقر به عيناها .

فتتلهم اقبال على سماع أخبار ذلك الشيخ المغربي و « أم احمد »
تروى لها عنه شتي الخيالات والحزيبات وأنها سوف تأتي به غدا
بعد خروج « البية » الى الديوان

وتنتظر اقبال صبيحة اليوم التالي على أحر من الجمر ، وتدنو
الساعة ، وتطرق الباب « أم احمد » وفي صحبتها صاحب المعجزة ،
فاذا به فتى أسمر اللون ، ضيق العينين ، مفتول الذراعين ، قد
ألهبت جسده شمس الصحراء ، ذو شارب قصير ، يتشح
بالملابس المغربية ، ويتمنطق بجراب من الجلد محشو بعدة أوراق

كلها تواسم وأحاجي سحرية

ومرت الايام تباغا وشعرت اقبال حقاً أنها حامل ، فابتهمت
لهذا أما ابتهاج ، وبشر المغربي زوجها بمولود سعيد الطالع
جميل الصورة

— لقد أتت اقبال بطفل جميل الصورة طلق الحيا اسمته
جلال ، بعد أن ظلت عاقراً مدة طويلة ، وان السر في هذا وصفات
الشيخ محمد المغربي .
هذا ما كانت تتهمس به سرّاً ساكنات حي البغالة ، في المنازل
والمجتمعات النسائية .

أما الحقيقة التي خفيت عن البعض ... فهي أن اقبال كانت
ولا تزال عشيقة وخليلة ذلك المغربي المدعى . لأنها وجدت بين
ذراعيه ، المتعة التي ظلت تحلم وتفتش عنها سنوات طويلة ، ولم
تحققها الايام لا في حبيبها الاول ولا في زوجها المحطم .

نداء الدم
قصة في رسائل

نداء الدم

السلام ١٧ ديسمبر

أخي « ك » .

خليق بي وقد أعتمدت على شهامتي وشرف نفسي أن أصدقك
القول فيما أقصه عليك عن حقيقة ما كان بيني وبين هذه المرأة ،
كما أطلعني أنت بصراحة عن حقيقة موقفك معها .

وما يهمني منها بعد يا صديقي ، وقد قطع ما كان موصولا
بينني وبينها ، وانفصمت عنها انفصاماً ما أظن أن له اتصالاً ، وما
حبها الآن عندي الا اطلالا توارت رسومها ودرست معالمها
فأصبحت أثراً بعد عين .

ألم أفقد في سبيلها مجموعه آمالي وأحلامي ؟ أفكان هينا عليها
يوم أن صرعتني في نفسي ، أن أجد في قلبها ذرة من الود القديم
نحوي ؟ أفيكون هيناً إذاً أن أنا قصصت عليك أو على غيرك
حقيقة ما كان بيني وبينها ، ضارباً بهذا الود عرض الحائط ؟

بدأت حياتي مع هذه المرأة كما يبدأ كل شاب مثلي حياته بالحب
وبنيت على هذا الحب آمالاً وأحلاماً ، لم تلبث أن انهارت
دفعاً واحدة .

لم أكن أبخل عليها بكل ما أملك . أنهلتها ماء مهجتي وأظلمتها
أحشاء صدري ، أوقفت عليها خفقات فؤادي وخطرات نفسي . . .

كان لى أصدقاء ، من أجلها عاديتهم وأحباء هجرتهم ، وصرت
لا أرى للحياة معنى الا فى عينيها ، ولا استمتع بالعيش ساعة الا
بين يديها .. !

لو سكبت حبي عند أقدام امرأة طاهرة الذيل ، لقدرتنى
حق قدرى ولازلتنى من قلبها المنزلة اللائقة بمقامى ، ولكن نزع
الى حب عاهرة من عواهر « عماد الدين » ، كل ميزة اتصفت بها
تلك التى خلعوها عليها فى غفلة الزمن ، فصارت تلقب « بالمشة
الفنانة » ، وراحت بعض الوريقات الصفراء ، تنشر صورها فى
أوضاع مماثلة شتى ، وأسبغت عليها شهرة من حيث لا تعلم ولا
تدرى ، والانسان مفتون بالشهرة ، تواق الى الغرور والى كل
المظاهر الكاذبة .

كنت قد سافرت الى « السلوم » كما تعلم ، متديبا من قبل
الحكومة لتحقيق مواقع الحدود المصرية الطرابلسية ، وكانت تعرف
أن مهمتى سوف تستغرق الثلاثة شهور حسبما أخبرتها بهذا ، وأقسمت
لى أنها سوف تظل وفية العبد ، صادقة الحب نحوى ، الى أن أعود
وكانت كتبها الى والحق يقال ، حافلة بصدق الوفاء وميزته
كانت خير سلوى لى فى هاته البقاع المقفرة ، الا من زرقة الماء
والسما ولفحة حر رمال الصحراء ، ولج بى الشوق فى ذات
يوم فانتهزت فرصة حصلت بها على أجازة قصيرة ، ولم أشأ أن
أخبرها حتى أفاجئها بمحورى ، ووصلت القاهرة فى مساء يوم

زمهرير ، كانت الرياح تعصف فيه كالموت ، وقصدت الى المنزل
توا ، وهناك قابلني البواب بترحاب زائد وحمل حقائبي ، فنفتحته
بما ألهج لسانه بالدعوات الصالحات ، ثم اندفعت الى الدرج متخطيا
كل أربع في قفزة واحدة ، الى أن وقفت أمام المسكن وقرعت
الباب ، ففتحت لي الخادمة التي ذهلت وارتبكت اذ لم تكن تترقب
حضورى . سألتها عن سيدتها فتلعثمت وأجابت : فى مخدعها
تستريح ، فداخلى الشك واندفعت الى الغرفة . . . وبالهول ما
رأت ، فقد كان الخبيث قابعا فى زاوية من المضجع ، جاثيا على
ركبتيه وهو أشد ما يكون فتنة وجمالا ، وشعر رأسه المجمع أتم ما
يكون لمعانا . . . أما هى فكانت مستلقية على وسائد من حرير
والى جانبها بضع كؤوس وزجاجات خمر فارغة ! وقد انبعث
من « الabajور » شعاع باهت ، على حين قبع كلبى « ركن »
فى الركن الجنوبي ، يشاهد المأساة ويسجل وقائعها !

تصور موقفى ولك أن تحسبكم يا صديق ، شاب مثلى لم يزل فى
مقتبل العمر وربيع الحياة ، صدم صدمة قوية كئذه ، هدت من كيانه
وزعزعت أركانه وكادت تشقيه بقية العمر .

أحسست فى تلك الساعة وكأن عاصفة هوجاء هبت هبة قاسية
على شجرة الأمل التى كثيرا ما تعهدت سقيها من دموى وآلامى
فاقتلعتها من جذورها ، وطوحت بها الى صحراء جدد ، لا نبات
فيها ولا ماء ، لا أمل فى إحيائها ولا رجاء فى الوصول اليها .

ألم قاس لا حول لي به ولا قوة ، صدمة شديدة هيهات لغيري
أن يتلقاها ويتحمها ، وقر في القاب لا يمحي ولا يزول ، ثورة في
النفس لا تهدأ ولا تدول ، آلام مبرحة فتت في عضدي وقصت
من جناحي ، يأمن مميت غلبني على أمري فخيرت نفسي بين أمرين
لا ثالث لهما ، الانتحار أو الموت .

الانتحار لأنني سوف أعيش بقية العمر شقياً معذباً ، وفي هذا
ما لا يحتمله قلمي الصغير ، والموت لها جزاء ما اقترفته من إرهاب
عاطفة لو بقيت لظلت مثلاً أعلى للوفاء والتضحية .

غادرت المنزل لأمضي ليلتي في أحد الفنادق وقد غاب كل
شيء في الوجود عن ناظري الا تلك المأساة ، هائماً على وجهي في
الشوارع ، لا أدري الى أين تقودني قدمي ، الى أن شعرت بهواء
بارد يهب على وجهي ، وكان الليل قد انسلخ منه نحو ثلثيه .

وقفت فوق جسر « قصر النيل » وقد سكنت كل سباحة
في الماء واختفت كل طائفة من السماء الهدوء باسط جناحيه والظلام
ماد رواقه ، ولم يعد يسمع سوى تنفس المدينة الراقدة وهمس ساعاتها
المعلقة في الميادين العامة ، ، تتحدث عن أحلام المنام

هل أقذف بنفسي في لجة النهر فاتخاص من عذاب ضميري
وتأنيبه ، ألقى بنفسي الى أحضان النيل ، عليه يكون أرحم من
أحضان امرأة ؟

على أن القدر سخر لي صديقاً يسوق سيارته في مثل هاته

الساعة المتأخرة من الليل ، وقد اكتظت السيارة ببضعة من أصدقائه
ومعهم خليلاتهم وهم سكارى ، وما ان رآنى حتى تعجب من حالى
وأدرك لأول وهلة — حسبما قرأ فى وجهى — ما اعتزمت ، وأقبل
الأصدقاء يمازحوننى ويضحوا عن كاهلى عب المصاب ، ثم أخذونى
الى منزل صديقى ، كل يهدى من روعى .

وفيا نحن على ذلك وقد سقط غطاء الليل عن شبح الصباح ،
واذا بهذه المرأة بالباب — أنت تستغفرنى وتسترحمنى ، وما
ينفعها غفرانى بعد أن صرعت فى نفسى كل عاطفة للغفران ، وما
تجديها رحمتى وقد قتلت فى قلبى كل عواطف الرحمة والاشفاق !
واقترقنا على أثر ذلك بعد أن ختمت المأساة التى قامت بدور
البطلة فيها خير قيام ، وأسدت أنا عليها ستار النسيان «ع»

— ٢ —

السلام أول يناير

أخى « ك »

بالأمس انتهيت بك الى سرد قصتى مع هذه المرأة ، وكيف
أنها أقامت بديلا عنى ، أخذت تساوم نفس العاطفة التى كانت
تساومنى اياها ويشاركها نفس الشعور الذى كنت أشاركها اياه .
بقيت لى كلمة لا أخالك ناكرها ، هى أنك كنت عشيقا لهذه المرأة
فى يوم ما ، وأنكما اتخذتما من صداقتى وطيبة نفسى علاقة أخفيتماها عنى
فترة طويلة ، الى أن شاء القدر أن يظهرها واضحة أمامى كالنهار .

مهما يكن يا صديقي ، فلا لوم عليك ولا تثريب ، انك أحق
بها مني ، ولم لا تكون كذلك وأنت من أبناء جنسها ووطنها ،
والقطعة الحية لنفسيتها ونزعتها .

انك لا تزال بعد في ميعة الصبا وبهجة الشباب ، عندك المكبد
الحري والقلب المتوثب الفياض ، لك الوجه المشرق والابتسامة
الفاتنة ، التي تغرى المرأة وتدفعها الى أن تلقى بنفسها بين ذراعي
الرجل دون وعي أو رشاد .

لكنك مسكين يا صاحبي ، لا تعلم أية امرأة تكون ؟ انك
تخدع نفسك في حب امرأة لا تفرق بين قلب تدوسه بقدمها
وحجر ملقى في الطريق !

انك توهم شعورك واحساسك في حب لعوب مستهتر ، عارضة
عواطفها في أسواق الغواية ، بائعة ما تملك لقاء سويعة أو سويعات
لذة موهومة ، امرأة تفسد الاخلاق وتستنزف الاموال ، تغرس
في النفوس القسوة والشدة وتنزع منها العطف واللين ، تسلبها المودة
والاخاء وتودعها العداوة والبغضاء ، وتسكنها أهاب التعاسة والشقاء
ان حواء أسقطت آدم وأخرجته من الفردوس ، فحاسبها
أبناءؤها على هذا حسابا عسيرا ، اضطهدوا بناتها حقبا طويلة
وأرغموهن على الطاعة والعبودية ، اما حواء الجديدة فتسقط في كل
يوم « آدماء » وتنزله الى حضيض المذلة والهوان ومع كل : فالعالم
لا يحاسبها ولا يحاكمها ، بل يشجعها ويغريها لتسلك السبيل الذي

اندفعت اليه . ذلك أن الرجل أصبح عبداً لشهواته ، بعد أن
اعتبرها شريكة حياته ، ووهبها من الحقوق ما جعلها سواسية في
الشريعة والمجتمع .

أخي العزيز : نصيحة أقدمها اليك خالصة صافية ، بلا طمع
ولا ثمن ، نصيحة شاب ذاق من حبها أمره وأقساه ، فكانت
كعصارة لما قاساه وما يقاسيه الآن من آلام مبرحة فتت في
عضده ووهنت من جناحه .

لتنبذ هذه المرأة التي أوقفك هذا الموقف المزرى المشين ،
اعص هواها ، فخرام أن تفقد شعورك وتبكت ضميرك في سبيل
تسليّة غانية ، فإن لم تستطع الى ذلك سبيلاً ، فليس أمامك سوى
أن تقابل خداعها بمثله ، واجتهد في أن تخفي عنها حقيقة ميولك .

أما أنا فأتركني وحدي ، دعني وشأني ، في هذه الديار
المقحلة التي لا يسكنها ديار ولا نافخ نار ، أنا سعيد بوحديتي
أرعي النجوم في الليل وابتهج برؤية الشاطئ ورماله البيضاء الضاحكة
في وضوح النهار ، أعيش الآن حياة هي أقرب الى البداوة ، بين
أقوام قلوبهم طاهرة ونفوسهم بالايمان عامرة ، لم تغرهم المدنية
بأشباحها ولا أنوارها الزائفة .

لقد تنصلت من هذا الحب ، وتظهرت نفسي في نيران
قسوته ، أنا الآن أداوى جراح الهوى بالهدى ، وعبثاً أفكر في
العودة ثانية الى القاهرة

في القرية المجاورة ، امرأة لا بأس بها ، يقصدها بعض الرفاق
من موظفي « مكتب الحدود » هنا ، وقد ترددت عليها انا الآخر ،
إنها ليست فاتنة ! ولكن بعدما يغيب الانسان عن المواطن الآئمة
زمننا طويلا ، يجد نفسه منساقا بشعور غريب اليها ؟ لقد علمتني
هذه المرأة ، أن أسعد الناس حالا وأروحهم بالا من لا يفكر الا
في ارتكاب موبقاتها .

وداعا صديقي ، حيث أود أن أراك بعد فترة ، تحدثني فيها
عما سيحدث بينك وبين هذه المرأة ، لا تظن أن في لهجتي هذه
روح شماتة ؟ كلا ! بل اعلم أن من أحبك هناك ، ومن أبغضك
أغراك ، وقد تكون لظمة الناصح خير من قبلة الغاش . . .
والى اللقاء .

« ع »

— ٣ —

القاهرة ١٥ يناير

أخي « ع »

أما زلت تسألني عن « ف » وحالها وعما اذا كانت بخير ؟
أواه ... حنانيك ، يا صديقي فما أخشى من شيء قدر خشيتي من
قسوتك واستهزائك بمصري ؟

كيف استطيع أن أفسر لك ما حدث تماما ؟ لقد غادرتني الشقية
بعدما استنزفت مني منابع القوة والثروة والشرف والمجد ، لم تتركني

— ٢٣٣ —

سوى شبحاً يحركه الهواء بعد أن أضمره الداء .

أية لطخة لا تزال لاصقة بجيبي ؟ لم تكن « ف » شريفة
كما حدثني أنت بصراحة عنها ويوم أن قدمتها لي في « كازينو
فؤاد » برأس البر خلال العمام الماضي ، ولم تكن بالامس
وقبل أن تهواها قلوبنا ، سوى سلعة معروضة في أسواق
الغواية وقد اتسخت من كثرة الايدي التي تداولتها ، ولم نجد من
يبتاعها سوانا ، لقد ورثتك في منبع حبك ، ولكن بعد أن رأيتها في
وسط أشفقت على سمعتك من أوضاره ، فقد كانت تتخذ من
سابق صداقتك لها ، شهرة تزجها الى عشاقها ، فيرتفع ثمنها تبعاً
لذلك !

انتشلتها من الحماة التي كانت تتمرغ في أوحالها وتقداني في
أفذارها ، واخذتها الى بيتي أحبوها بكل ما يملك رجل مثلي
من حب وثروة ، حتى أغضبت من أجل ذلك صحتي وأضعت
سمعتي ، فما كان جزائي منها ؟ .. جزاء سمار !

لقد علمتني هذه المرأة ما كنت أجهله وبجهله بالامس أمثالي ،
علمتني أن الظل لا يستقيم والعود أعوج ، وأن العطار لا يستطيع
أن يصلح ما أفسد الدهر !

معذرة وغفرانا يا أخى ! امرأه أحببناها نحن الاثنين ،
فهزأت بنا وحفرت هوة عميقة بيننا ، كانت تبغى أن يتردى في
أعماقها أحداً فتفوز بقلب الآخر .

أخى «ع» أشعر بفؤادى يحترق وبنفسي تذوب ألماً، ولقلما
أبقى على ما أرى، فالضعف استحوذ على، والمرض الخبيث ينتابني
وربما لا أستطيع الكتابة اليك بعد اليوم .
انى بحاجة الى التعزية ، في حاجة الى السلوان فأن كان
لديك منهما ولو النذر اليسير . . .
فالى السبيل

«ك»

«انتهى»

THE
LIBRARY OF THE
MUSEUM OF NATURAL HISTORY
AND
ZOOLOGY
OF THE
CITY OF BOSTON
1850

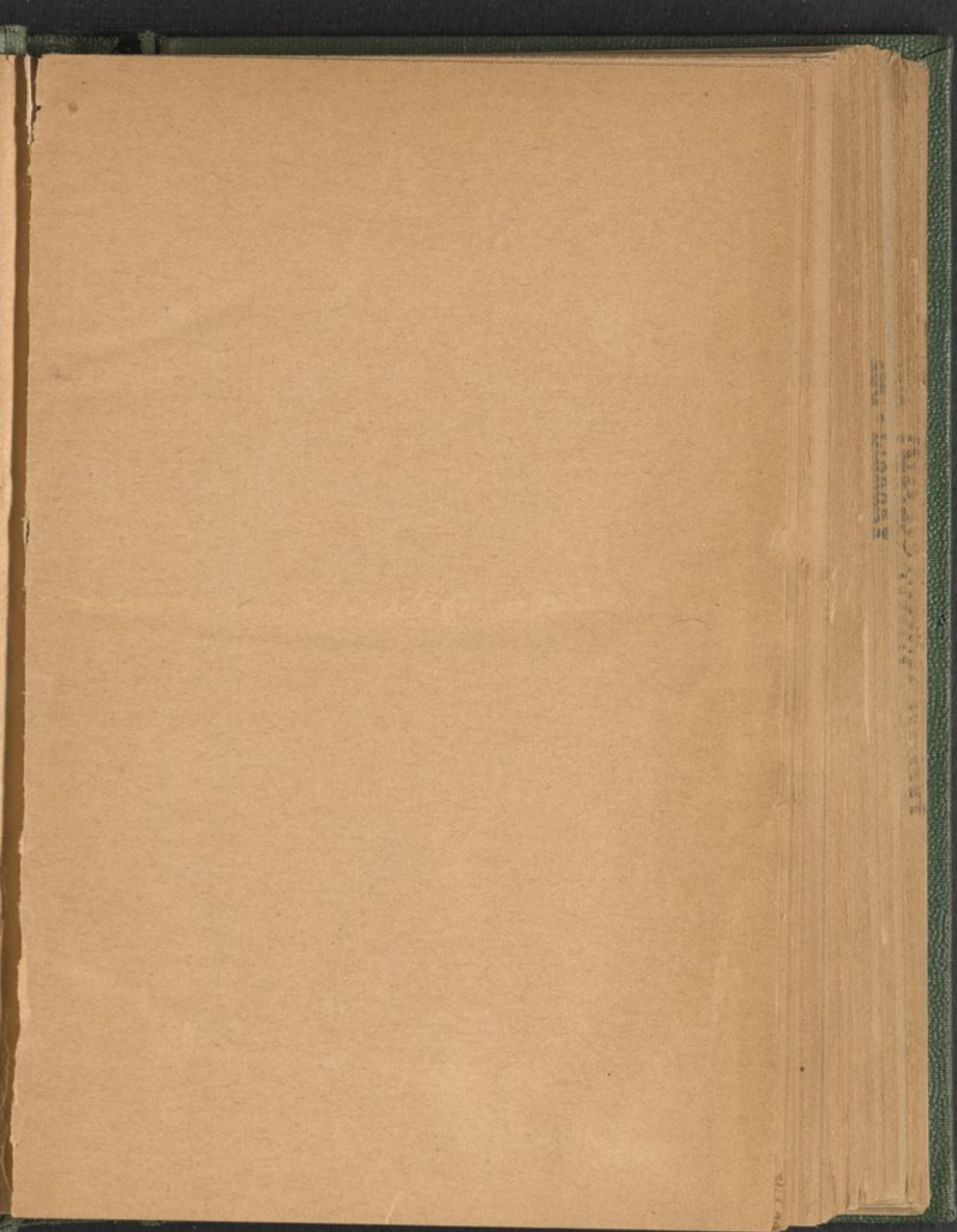
فهرست

تصدیر	۵
مقدمه	۱۰
الورد الابيض	۱۷
في الواحة	۵۵
فینی	۹۳
غرام الشاعر	۱۱۱
الثائرة	۱۲۳
الغمام	۱۴۱
رقصة الرومبا	۱۵۵
المرأة الجديدة	۱۶۹
انصاف عذارى	۱۸۷
الاديب ابودرش	۱۹۵
الغروب	۲۰۵
صاحب المعجزة	۲۱۵
نداء الدم	۲۲۵

مصرعته

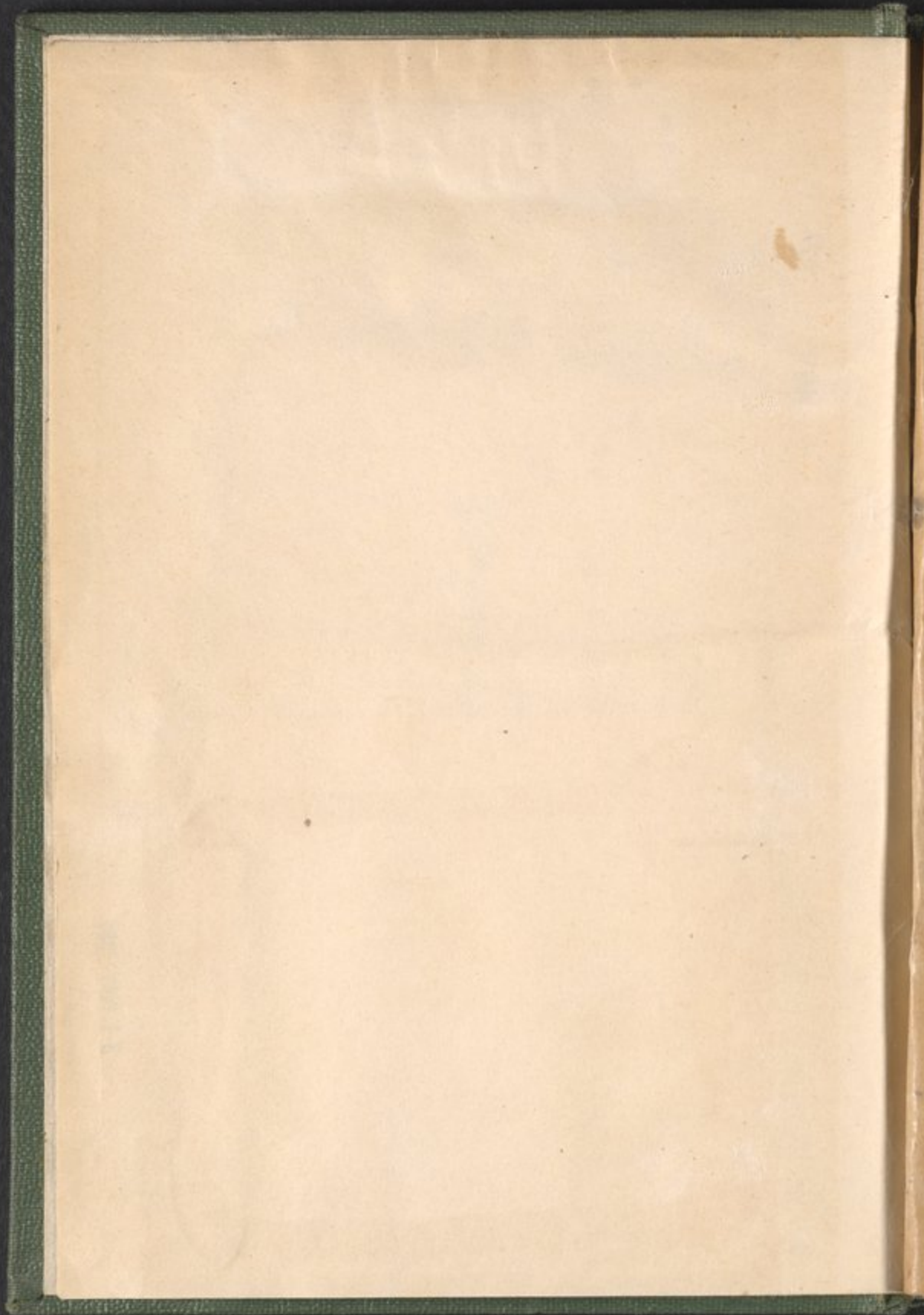
الدم





كان الفراغ من طبع «الورد الابيض» في ١٥ يونيو سنة ١٩٣٣

LIBRARY OF THE
HARVARD-YENCHING INSTITUTE
OF CHINESE STUDIES
HARVARD UNIVERSITY
CAMBRIDGE, MASSACHUSETTS



1974

NOV

PJ
7832
A7
W3x
1933

حسونة محمد أمين
السورد الأبيض

PJ
7832
A7
W3x
1933

31 MAY 1987

